إعداد وتقديم وتحقيق:
**الدكتور فندي أبو فخر**

# خليل رفعت الحوراني
# تــاريخ حـــوران
# و
# دعوته النهضوية في أرياف بلاد الشام

الحقوق كافة
محفوظة
لاتحاد الكتاب العرب

البريد الالكتروني: unecriv@net.sy E-mail

aru@net.sy

موقع اتحاد الكتّاب العرب على شبكة الإنترنت

www.awu-dam.org

❑❑

منشورات اتحاد الكتاب العرب
دمشق - ٢٠٠٥

# أضواء على شخصية
# محمد رفعت خليل الحوراني ((الزنبقة))

أدهشتني مقالات الصحفي محمد خليل رفعت الحوراني وأثارت في نفسي مشاعر كثيرة يمتزج فيها الفرح والقلق إذ قدّم نصوصاً رصينة رزينة علمية وموضوعية. نشرها على صفحات جريدة المقتبس للعلامة محمد كرد علي، التي بدأت بالصدور في شهر ذي القعدة سنة ١٣٢٦ هـ كانون الأول سنة ١٩٠٨م تحدث فيها عن حوران من الناحية التاريخية والجغرافية[1] والاقتصادية

---

[1] *أثناء إلقائي محاضرة بتاريخ ٢٠٠٤/١٠/١٠ في مبنى اتحاد الكتاب العرب في درعا حول أفكار الحوراني النهضوية والإصلاحية، وجه لي عدد من الحضور أسئلة مشوبة بالتأمل ألخصها بالتالي:*

*لماذا لم تقدم دعوة الحوراني الإصلاحية على فكرة العروبة لتشمل سورية والوطن العربي بدلاً من اقتصار دعوته على حوران؟ طالما أنه كان مؤيداً للاتحاديين الذين قد تربطهم علاقات بالماسونية والصهيونية التي كانت وراء الانقلاب على السلطان عبد الحميد. فهل لهذا الرجل موقف من هذه الأفكار السياسية؟*

*ولماذا لم يكن في دعوته الإصلاحية شبيهاً بالكواكبي ورواد النهضة العربية الآخرين مطلع القرن العشرين؟*

*وعلى الرغم من أن سائلي هذه الأسئلة لا يبغون إلا المعرفة والحقيقة ولا يريدون النيل من تاريخ الرجل إلا أن ذلك آثار حفيظة أحد أقاربه، فتدخل نافياً مجرد هذه التأملات. لم يخطر في بال عدد من السادة الحضور أن الفكرة العربية كانت تودي بصاحبها إلى أعواد المشانق وأن المجاهرة بها كان أمراً مستحيلاً ولم تكن قد تبلورت ممارسة قومية ناضجة بعد وبالتالي لا يجوز أن نحمل الرجل وزر واقع اجتماعي وسياسي على غاية مِنَ التعقيد، وأن تقرأ أفكاره بمعطيات الواقع الراهن وفي كل الأحوال هو موظف عثماني وإصلاحي معاً ولا يحمل مشروعاً سياسياً نقيضاً للإدارة وليس لديه مؤلفات فكرية وسياسية توضح هويته السياسية فقد تعلم في المدارس العثمانية وتخرج من معاهدها العليا وتثقف ثقافة عثمانية وإسلامية وهذا لا يضير الرجل أو يقلل من أهميته كداعية للإصلاح والنهضة والثورة على العادات البالية وعلى استغلال فقراء الفلاحين والبدو والدعوة إلى تأسيس وقيام مفاهيم* ←

والاجتماعية، من ثقافةٍ وتعليم وصحافةٍ.. الخ فزادتني غزارة معلوماته، وغناها وتنوعها قلقاً ورغبة للتعرف على هذا الرجل المثقف بل وربما الفريد من نوعه في حوران، أواخر القرن التاسع عشر وعقود القرن العشرين الأولى.

كثيراً ما سألتُ أصدقاء ومعارف من حوران، وكثيراً ما عدت لكتب ذات صلة بتاريخ المنطقة، ولم أجد ما يدلني إلى شيء مفيد، وازددتُ إعجاباً من جهة وقلقاً من جهة ثانية، عندما وقع بين يدي كتابٌ أصدرته منشورات لجنة التراث في جامعة مؤتة سنة ١٩٩٤م، بعنوان ماضي الكرك وحاضره إذ جاء في المقدمة ما يلي: ((.. إلا أن جوانب كثرة من حياته مازالت مجهولة لنا، فلا نعرف شيئاً عن مكان ولادته ولا عن تاريخها، ونجهل أين نشأ وتعلم، ومتى انخرط في سلك الإدارة العثمانية، ولا نعلم متى كانت وفاته))

بيد أن ذلك، لم يمنعني من الإصرار على ما قررت، ولم يدفعني إلى الكسل واليأس، لاسيما وأنني قمت بتحرير مقالاته كلها المنشورة في المتقبس عن لواءي حوران والكرك وعقدت العزم على نشرها لأغراض عدة، أهمها:

١ ــ الوفاء لذلك الرجل المتنور والعقلاني، والاعتراف بالجميل لعلمه وفضله.

---

*حديثة تؤسس لمفاهيم الدولة ومؤسساتها بدلاً من مفاهيم العشيرة والعائلة وفي دعوته هذه ريادة مبكرة في إطار النهضة والتطوير وإصلاح الواقع تسجل للرجل حتى ولو كانت صرخة في واد.*

*تتلخص دوافع الحوراني للهجوم على سكان الجبل، بأمرين اثنين:*

١- *أولهما شخصي لاعتقاده بأن أهل قرية شنيرة، وضعوا أيديهم على أراضي آل زنيقة في شنيرة، على الرغم من وجود حجج بيع لهذه الأراضي، ممهورة وموقعة بخط يده وبتوقيعه، مما دفع سماحة مطران حوران للرد عليه، على صفحات جريدة المقتبس، التي كان الحوراني ينشر مقالاته فيها، ومع ذلك لا بد من تجاوز هذا الموقف لاعتباره موقفاً شخصياً، إذ لا يجوز أن يحجب ذلك القيمة العلمية لمقالاته.*

٢- *لاشك أن الحوراني كان مؤيداً لإصلاحات الاتحاديين، بغض النظر عن احتمالية انخراطه السياسي في مشروعهم السياسي. إذ انقلبوا عليه، وأودعوه السجن، ونفوه إلى تركيا. ولا يعني تأييد الحوراني للإصلاحات، تأييداً مطلقاً لسياسة الاتحاديين لذلك نجده ينخرط في الجانب الاصلاحي من مشروعهم، اقتناعاً منه بضرورة شمولية هذه الاصلاحات لواء حوران. وهو على أية حال كان يرى أن الاصلاح يستوجب نزع سلاح الأهلين ومواجهة تعديات البدو على المزارعين، وإخماد الانتفاضات على الدولة ومؤسساتها. ولعل هذه أهم دوافع الحوراني، التي دفعته لتحريض الدولة على إخماد انتفاضة الجبل والكرك سنة ١٩١٠م،.*

٣- *- انظر نص الرسالة المثبتة في الكتاب. ص ٩٣.*

٢ ــ خدمة تاريخ المنطقة، ورفد المكتبة بمادة، كادت لا ترى النور من جديد، وبينما كنت أتابع البحث في أعداد جريدة المقتبس، وجدت فجأة ما أريد. ووضعت يدي على رأس الخيط كما يقال، عندما كنت أقرأ مقالة، كتبها سماحة مطران حوران نيقولاس قاضي إذ كان يرد في مقالته تلك، على الهجوم العنيف، الذي كان يشنُه محمد خليل رفعت الحوراني على سكان الجبل، على صفحات جريدة المقتبس، ليس ذلك فحسب، بل كان يحرض الضابط العثماني الشهير سامي باشا على سكان الجبل، إبان حملة الدولة العثمانية العسكرية على حوران عامة والجبل والكرك بخاصة.

وكان المطران يفند مزاعمه، ويدحض أفكاره حول سكان الجبل، إلى أن قال له:

((اما أصحاب الأملاك المغصوبة مثل عائلة الزنيقة التي أنتم منها بل مقدامها فما ضرهم لو راجعوا حكومة الجبل بمطاليبهم فقد نصبت اليوم موازين العدل))

آنئذ وجدت الطريق أمامي مفتوحة وواضحة، ولن أدخل القارئ الكريم بتفاصيل كثيرة وإن كانت مهمة، إذ حصلت في قرية شنيرة على وثائق، عرفتني بآل زينقة وشيء من تاريخهم، ومنها وثائق مكتوبة بخط يد الرجل نفسه، وتحمل توقيعه. وتعرفت بعد ذلك على أحد أبناء هذه الشخصية المتميزة، فزودني مشكوراً بوثائق جديدة ألقت الضوء على جوانب أخرى من تاريخه. فالرجل هو محمد خليل رفعت الحوارني ((الزنيقة))، ابن عيسى، وقد ولد سنة ١٢٩٣ هـ ١٨٧٦م في قرية شنيرة بجبل حوران، وتوفي في دمشق سنة ١٩٥٣م في منزله بحمى المهاجرين. أرسله والده الشيخ عيسى الزنيقة، ليتعلم في دمشق، فأتم دراسته في مدرسة عنبر، لينتقل بعدها موفداً من الدولة العثمانية، في منحة دراسية ليتابع تحصيله العلمي العالي في معاهد استانبول، وكان من بين زملائه في الدراسة فايز الغصين، شكري العسلي عبد الوهاب الإنجليزي، عاهد الزعبي.. وغيرهم.

حصل على أجازة في الحقوق بدرجة (عليّ أعلا) أي بامتياز، ونال عدة اوسمه في دراسته، ومازال ابنه شكري الزنيقة، يذكر الهدايا الثمينة التي حصل عليها والده أثناء دراسته، ومنها ساعة جيب ذهبية، لونجين، مع ثلاث سلاسل ذهبية.

بعد تخرجه وعودته إلى سورية، مُنح رتبة قائمقام عسكري (أي عقيد) وكلفته الدولة العثمانية بإسكان الشركس في مدينة عمان مطلع القرن العشرين، ومنحته لقب بك، ثم تسلم وظيفة مفتش المعارف في لواء حوارن، وعمل مراسلاً للمقتبس في حوران[1] والكرك كما عين قائمقام العلا لمدة شهرين، وقائمقام الطفيلة سنة ١٣٢٩ هـ ١٩١١م.

بينما كان عضواً في مجلس ولاية سورية عن لواء حوران أواخر سنة ١٩١٠م ١٣٢٨هـ

ويبدو أن موقفه المؤيد للإصلاحات التي حاول الاتحاديون (الإصلاحيون) تلميع صورتهم بها كان وراء تقلده هذه المهام، لاسيما موقفه المؤيد لحملة سامي باشا على حوران عامة والجبل والكرك بخاصة. بيد أن شهر العسل هذا بينه وبين سياسة الاتحاد والترقي سرعان ما انتهى، بعد أن انكشفت له ولغيره من القوميين العرب حقيقة الاتحاديين وجوهر سياستهم إذ أقام علاقات وثيقة مع الشخصيات الوطنية، التي كانت على اتصال بالشريف حسين وابنه فيصل أثناء العمل السري للتحضير للثورة العربية الكبرى. فزجه جمال باشا السفاح في السجن، وحُكم عليه بالإعدام، وبسبب توسط عيد المهايني والد زوجته وعطا الله الأيوبي استبدل الإعدام بالنفي إلى تركيا، مع من نفي من الوطنيين، ومنهم الشيخ مطلق المذيب شيخ مشايخ الجيدور. وهناك تزوج الحوراني ابنة الشيخ مطلق وتدعى شيخة التي أنجبت له كل أولاده.

وفي زمن الاحتلال الفرنسي، تم تعيينه قائمقاماً لبصرى الشام، لفترة قصيرة، انتهت بتحويلها إلى ناحية فعين قائممقام للزوية فقدم استقالته، بناء على نصيحة محافظ درعا عطا بك الأيوبي، بسبب اتهام الفرنسيين له بالتعاطف مع الثائر أدهم خنجر، وحمايته له بينما كان يعتصم في منطقة ووديان الزوية. ففر الحوراني إلى القريا حيث المجاهد سلطان باشا الأطرش ليعتصم في الجبل.

دافع عطا بك الأيوبي عن الحوراني، أمام الفرنسيين، وعلل أسباب استقالته بأنها كانت احتجاجاً على تهمته، إيواء المجاهد أدهم خنجر، فحُفظت القضية.

ثم أخذ يعمل بالمحاماة مع بعض زملائه في دمشق، ومنهم فايز الغصين،

---

[1] *يشمل تعبير حوران في صفات هذا الكتاب حوران الطبيعية وهي السويداء، درعا، القنيطرة، عجلون.*

بينما بقي مرتبطاً بالصحافة التي عمل فيها، فلمع نجمه وبسبب ظروفه الصعبة وتقدمه في العمر، حوّل الامتياز لجريدة كان قد أسسها باسم ((الحوراني) إلى جريدة رياضية كان يشرف عليها بهاء الطرابلسي.

كان الرجل إصلاحياً ومثقفاً متنوراً، شغوفاً بكل ما ينهض بوطنه وبسكان حوران من البدو والحضر، في البادية والقرية والمدينة ففصل في تاريخ حوران القديم والحديث، معتمداً على مصادر كثيرة، أدبية وجغرافية وتاريخية، وعلى أدائه المتميز في مهنة الصحافة إذ يظهر من خلال كتاباته، أنه زار معظم مزارع وقرى حوران في أقضية درعا والسويداء والقنيطرة وعجلون مما كانت تسمى آنذاك.

كما استفاد من عمله الوظيفي وسعة معارفه ومدى خبرته، التي تراكمت عبر عقود ولعلني أستطيع إلقاء الضوء أكثر، إذا ما ركزت الحديث على جوانب بعينها، وسأكتفي هنا بـ:

١ ــ موقفه من العلم في مواجهة الجهل.

٢ ــ ملامح حياته الإدارية.

٣ ــ دعوته الصريحة للعقلانية والمستمدة من صميم الواقع.

٤ ــ ملامح فكرة الاقتصادي.

## ١ـ موقف الحوراني في مواجهة الجهل والتخلف

كتبت كثيراً من المقالات، التي تركزت حول حث السكان على تعليم أبنائهم من جهة وحض الدولة على فتح المدارس من جهة أخرى ومن أحرى منه آنذاك بهذه المهام، وهو يحتل موقعاً وظيفياً متميزاً في إدارة التعليم، إذ كان مفتشاً للمعارف.

كان يعمل جاهداً لإقناع السكان من فلاحين وبدو، لتعليم أولادهم.

فجاء في بيان كتبه، ووزعه على السكان، وهو في موقع المسؤولية ما يلي:

((أيها الناس قوموا هلموا إلى بناء المدارس في قريتكم لتعلموا فيها أبناءكم الذين هم قطع أكبادكم كي يتذكروكم بالخير بعد مماتكم لأنهم بالعلم يسعدون بل يغنون فيعيشون عيشة راضية بل يستفيدون من المعادن الكريمة المكنوزة في صميم أرضكم المحرومين منها الآن.))

يبدو من هذا الكلام، أن الحوراني كان يائساً من قيام الدولة بأي دور هام في بناء المدارس، وهو الخبير بأوضاع الناس الاقتصادية والاجتماعية وبتوقهم لتعليم أبنائهم على الرغم من ضنك العيش، فكتب في ٢١ رمضان سنة ١٣٢٨هـ ٢٥ أيلول ١٩١٠ مقالة بعنوان: المعارف في حوران جاء فيها:

((لا جُناح عليَّ إذا قلت أن اسم المعارف مفقود في حوران فضلاً عن رسمها فإنها إلى الآن ليس فيها حتى ولا مدرسة ابتدائية منتظمة مفيدة. والرجاء أنه بعد إصلاح حوران وتوطيد سيطرة القانون الذي تنظمه الأمة بنفسها لنفسها فقط ستنال حوران من المعارف قسطها، فيصرف عليها العشرات من ألوف الليرات وإذا أنعم الله على حوران، رجال محبين للعلم والوطن والأمة[1] العثمانية، فخصصوا لمعارفها نصف دخلها، تؤسس فيها مدارس ابتدائية في كل قرية، وفي المهم منها مدارس ثانوية وفي الأهم منها مكاتب عالية زراعية تعلم أبناء حوران علم الزراعة، نظراً وعملاً. وذلك لأن أهل حوران كرام، لا يصنفون بإعانات تقوم بما ينقص من نفقة المدارسة جميعها كل قرية بقريتها)) ولإثبات مصداقية الرجل، وشغفه بالعلم، وحرصه على بناء اللبنة الأولى لعلها تصبح مثلاً. بادر عندما أصبح صاحب قرار، بعد تعينه قائمقام الطفيلة، إلى إنشاء مدرسة ابتدائية وأخرى رشدية في أقل من عام، وأنشأ مدارس ابتدائية في قرى عيمة وصنفحة وبصيرة وضانا، مثلما قام بتأسيس شركة تجارية برأسمال قدره ألف ريال مجيدي، لغرس أشجار التوت في الطفيلة، التي أنشأ فيها حماماً عاماً أيضاً.

كان وضع التعليم المزري في حوران يعتصر قلبه ألماً، وهو يشاهد الإهمال المتعمد ولو لبناء مدرسة واحدة، وإذا ما أُجبرت الإدارة العثمانية على مثل هذا العمل، فإن موظفيها لا يتابعون المهمة.

فيكتف الحوراني في ٦ ربيع الثاني ١٣٢٨ هـ ١٦ نيسان ١٩١٠ قائلاً:

((مدرسة تبعد عن دار الحكومة أربعين متراً بنيت لما بنيت دار الحكومة منذ نحو اثنتي عشرة سنة وقد وضعت أخشاب سقفها ولم ينقصها سوى وضع القرميد وهو موجود في دار الحكومة فمالنا بآمر حازم يأمر فقط بوضعه فتصبح مدرسة تنصرف الهمة إلى تلقي العلوم فيها بعد أن أصبحت مأوى

---

[1] *كان تعبير الأمة العثمانية يرد على لسان جميع السياسيين والمثقفين العرب آنذاك.*

للكلاب ومربطاً للدواب وقد انقضت الأموال الطائلة في تشييدها))

كان لمقالات الحوراني تأثير واضح في قرّاء المقتبس يتبدى ذلك في رد ممثل حوران في مجلس المبعوثان سعد الدين المقداد على ما كتبه الرجل في الصحافة بمقالة حملت عنوان

((كتاب مفتوح إلى الأخ الحوراني))

((أشكرك على تهنئتي بعودتي وجواباً على سؤالكم عما قمنا به لخدمة أهالي حوران في مجلس النواب أقول: قمت بها وأنا العاجز بعدة مواد في هذا الشأن وهي:

١ ــ تقرر لكل من أقضية حوران مدارس وضعت لتعليم الأهالي أمور دينهم.

٢ ــ تقرر إنشاء مكاتب ابتدائية للمحال المهمة لقراءة القرآن الشريف والخط والرقوم (الحساب).

٣ ــ إصلاح الجسور وتعميرها ورصف الطرق في جميع أنحاء اللواء.

٤ ــ تقرر للفلاحة من الآلات الجديدة للحراثة والبذار والحصاد والدرس.

٥ــ تقرر فتح آبار ارتوازية في المحال التي لا ماء فيها))

ومن اللافت للنظر أن المقتبس ذيلت المقالة بالسخرية من هذه الوعود الخيالية التي لو نفذت لصارت (حوران من أرقى المعمورة في هذه السنة أي ١٩٠٩م).

أولى الحوراني، شأنه شأن أقرانه من العثمانيين اهتماماً خاصاً بالتعليم الديني، فيشير هنا إلى تقصير الدولة في هذا الجانب من جهة، وإرسالها وعاظ أتراك لا يعرفون لغة السكان، ويتقاضون رواتب باهظة من جهة ثانية. ((ليس في قرى حوران كافة علماء عاملون يعرفون أحام الشريعة معرفة حقيقية ليُفهموا أهلها درجة مخالفة عاداتهم المذكورة لنص الشريعة، فيطبقوها على أحكامها، ويتركون المخالفة ويحافظون على المطابقة.. فلو فكر من بيدهم زمام أمور الأمة في هذا الموضوع، فأرسلوا لهم علماء حقيقيين يفهمونهم قواعد الشريعة الغراء بصورة حقة لا كما أرسلت حكومة الاستبداد وعاظها برواتب باهظة صرفتها لهم مدة سنتين ذهبت أدراج الرياح لأن الوعاظ لم يفيدوا الأهالي بشيء لأنهم لا يعرفون لغتهم)).

ولم يترك رفعت الحوراني جانباً من مشاكل الناس وهمـــومهم إلا وبحثـــه بحثاً عميقاً، متسلحاً بمعارفه الواسعة ومحاكمته المنطقية ورؤيته المستقبلية.

فنراه ويقدم لنا نصاً متوازناً وعميقاً حول خدمات البريد.. إذ يقول:

((يلزم لهذه الخمس مناطق لكل منطقة موظف سيار للبريد يطوف القـــرى ضمن منطقته خلال خمسة عشر يوماً بالكثير، فيأخذ أهل القرى الرسائل ويضع عليها التمغة (الطابع).. ويضعها في بريد مركزه عند عودته، ويأخـــذ الرســـائل التي ترد مركزه فيوزعها على أهل القرى. أما راتب أولئك الموظفين الســـيارين الخمسة فهو ثلاثون ألف قرش مسانهة لكل موظف خمسمائة قرش شهري.. فلو أمعنا النظر لوجدنا أن الوارد سيكون أعظم من هذه الرواتب)).

ثم يقدم لنا معلومات شاملة ودقيقة حول الثروة الحراجيـــة وأهميتهـــا ومـــا تتعرض له من أخطار باقتلاعها وتحويل أخشابها إلى فحم وأراضيها للزراعة.. ويتحدث عن غياب القانون لحماية الحراج، ومن ثم يعدد مصادر هـــذه الآليـــة، وفوائد الحراج فيكتب قائلاً: ((إن احتطاب الحـــراج يـــؤثر فـــي المزروعـــات الحورانية، لأن حوران يُسقى زرعها بماء المطر فقط، فمتى خلص المطر كمـــا يقول العلم.. فإذا قل وارد حبوب حوران فبكم قرش يصبح رطـــل الخبـــز فـــي دمشق؟ وكيف يصير حال فقرائها وصناعها والعملة فيها))؟.. ثم يخلـــص إلـــى القول ((فالفوائد التي تنتج من كثرة الحراج كثيـــرة كتحســـين الهـــواء وجلـــب الأمطار)).

تجد رفعت الحوراني، يستعين بكل ما يثير الاعتزاز بالتـــاريخ، ويســـاعد على السير بطريق النهضة والإصلاح، فيكتب مقالة عن معلم أثري في قرية أم الرمان،قرب خربة تدعى الصوخر، يحدد مكانه بالأمتار عـــن القريـــة، وعـــن مفرق قرية بكا.. الخ ويقول عنه ((إذا نزلت منه ترى نفسك في ســـوق ترتيبـــه وسعته وسقفه وارتفاعه كسوق الســـعادة (الحميديـــة) منحـــوت مـــن الحجـــر الأسود...)) ويتابع وصفه لهذه الأسواق البديعة المتفرعة عنه، وهي كلها تحـــت الأرض، ويحدد لنا المسافة والوقت الذي قضاه سيراً فيقول ((ســـرت فيـــه أنـــا ورفقائي مسافة ساعتين ونصف نفذ من المصباح زيته فرجعنا على أعقابنا)) ثم يقرر رأيه.. قائلاً ((لو أراد أحد أن يصنع مثله تحت الجبال والأوديـــة لبلغـــت نفقته الملايين الملايين.. وليس الخبر كالعيان. فهذه الآثار الكثيرة الكبيـــرة تـــدل بل لتشهد على عمران البلاد الحورانية وتنم بغنى أهلها القدماء وســـعة علمهـــم وعقولهم ووفرة أمجادهم واستعدادهم)) ثم تحدث عن أثـــار بعلبـــك، بصـــرى،

السويداء، درعا.... الخ.

ثم يتحدث هنا عن أهمية معادن حوران، ويفصل بكيفية الاستفادة منها، وما تدره من ربح وفير وثروة للسكان والبلد ((إني رأيت المعدن في عيني، وهذه المعادن كلها سرتُ فيها بقدمي فعسى أن يقطف أغنياء الوطن وأبناؤه ثمراته)). وينتقل من منطقة إلى أخرى ويتحدث عن ثرواتها المختلفة....

لذلك نراه يقول: ((ولا ريب أن هناك معادن منوعة في ربوع حوران، في القنيطرة وجبالها وجولانها، وفي عجلون وأوديته وجباله وغوره وحراجه، وفي جبل حوران وصحاريها ومقاطعاتها.

## ٢ ـ ملامح حياته الإدارية

تقلد الحوراني مهام إدارية رفيعة المستوى، منها قائمقام العلا والطفيلة وكان مفتشاً للمعارف في حوران، ثم عضواً في مجلس ولاية سورية عن لواء حوران. فكان شخصية إدارية متميزة بالحزم والأفق الرحب والتعاطف مع السكان إذ يبدو أنه كان مخلصاً في عمله، وفياً لإدارته التي زعمت أنها تريد الإصلاح، بعد الانقلاب الذي نفذه الاتحاديون على السلطان العثماني عبد الحميد الثاني سنة ١٣٢٦هـ ١٩٠٨م، فاستبشر الحوراني خيراً بالدعاوي الفكرية والسياسية والإصلاحية للاتحاديين معتقداً على ما يبدو، أنهم بحق دعاة إصلاح ونهضة، من خلال المقالات التي كتبها خلال عامي ١٩١٠ ـ ١٩١١م إذ لم نجد له مقالة واحدة بعد هذا التاريخ. إلا ما ندر

وهاهو وهو قائمقام يخاطب الناس في بيان وزعه على أهل القرى والشعائر قائلاً: ((يا أيها الناس اعلموا أن يومنا هذا يوم عدل وحق وشورى فإن كنتم تحبون العدل والحق لأنفسكم ولأخوانكم فعليكم باحترام حقوق بعضكم بعضاً ولا تتعدوا حدودكم فتكونوا من الخاسرين. يا أيها الناس ارفعوا من بينكم النميمة والفساد بل اعتزلوا كل من يريد بث الشقاق بينكم ثم أخبروا به حكومتكم لتلقيه في الحبس ليذوق وبال ما جنته يداه)).

كان الحوراني يعتقد أن النصح والإرشاد مع تطبيق القانون سبيل النهضة والإصلاح ولكونه مخلصاً للإدارة، كان يحض الناس على دفع الضرائب في أوقاتها، ويقدم هذه الإدارة للشعب، وكأنها صادقة في دعاويها السياسية والإصلاحية. فيعلو صوته قائلاً: ((يا أيها الناس اقرعوا باب عدل حكومكتم الشورية إذا أنستم ظلاماً وتجنبوا الزور والبهتان لأنه إثم مبين بل يعود على

الذين يسيرون بهما بالدمار)).

يبدو واضحاً مما تقدم أن الحوراني كان يدرك مفاسد الإدارة، من صغار موظفيها وكبارهم ((ولهذا نراه يخاطب الفلاحين ناصحاً فإذا دفعتهم ذممكم في مواعيدها تخلصون أنفسكم من نزول رجال الدرك والجنود عليكم بل تريحون وتستريحون فإن كنتم تحبون أنفسكم فافعلوا ما ذكرت لكم)).

ثم يدعو الناس للوقوف في وجه الظلم محرضاً على رفضه مبيناً لهم السبيل لمواجهته، فكان على شيء في هذا الأمر من الطوباوية، إذ نراه يقول: ((يا أيها الناس لا تقبلوا الظلم من أحد فإذا حل بأحدكم ظلم من شيخ أو مختار أو من أحد أو من درك أو من جندي أو من مأمور أو من آمر أو من دائرة فعليكم أن لا تقبلوا العمل بمثله، ارفعوا الأمر إلى الحكومة لتعاقب الفاعل بما يقضي القانون)).

لا أدري، إن كان الحوارني قد اطلع على كتابات النهضوي عبد الرحمن الكواكبي. لكونه كان يعمل بالصحافة، فتأثر به، وحاول محاكاة بعض جوانب شخصيته لأن هناك تشابهاً نسبياً في نبرة الخطابة، وإن لم يرق خطاب الحوراني إلى سوية وشمولية خطاب التحدي لدى الكواكبي، بل على العكس لم نسمع صوت الحوراني المناهض للاستبداد العثماني قبل سنة ١٣٢٦ هـ ١٩٠٨م، فلعله طلب السلامة، فآثر الصمت حتى جاء الانقلاب الاتحادي، فأفاض في تسليط الأضواء على مظالم العهد السابق.

ولابد هنا من إبراز ملامح من شخصيته الإدارية، وآلية معالجته للخارجين على القانون من وجهة نظره وشدته في تطبيق القانون إذا ما كان في صالح الإدارة، فالويل لمن لا يطيع الحكومة، والسلام على من يطيعها ((أما عشائر الطراونة والصرايرة فهم مطيعون للحكومة تماماً وينفذون جميع أوامرها)) وهاهو ينحاز بشكل صارخ إلى الإدارة.

وفي مواجهة رافضي أوامر الحكومة، والتي هي بشكل عام تنطوي على ظلم السكان نراه يقول:

((... أما مضارب المجالي فقد حُرق قسم منها وجئ إلى الكرك بالقسم الآخر وغير معلوم لدينا الجهة التي فرّ إليها رفيفان المجالي وأعوانه)).

ولتوضيح سبب هذا الموقف لابد من الإشارة إلى ثورة الكرك على الاتحاديين التي اشتعلت في وجه سامي باشا أثناء حملته على الجبل وحوران

عامة. والتي لم يشترك (( في إشعال نارها سوى زعماء عائلة المجالي وزعماء عشائر نفس قضاء الكرك.))

وبحق كان الرجل داعية للإصلاح يشخّص الواقع يظهر المفاسد ببصيرته النافذة وعقله الراجح، فيدرك خطورة ذلك على بلده وشعبه فينتقل إلى تحديد العلاج وسبيل الخلاص بحلول كان يراها ناجحة.

إضافة إلى ذلك كان ينادي بمقاومة الفساد والاستبداد وهما من ثمار العهد السابق قبل ١٩٠٨م حيث لم يكن بالإمكان الإفصاح عن الرأي الصريح خوفاً من طغي وبغي رجاله المستبدين. وفي هذا السياق كتبت صحيفة المقتبس تحت عنوان المؤلمات الحورانية ما يلي:

١ ــ يؤلمني استبداد مشايخ الحوارنة والبدو بشعبهم ويفعلون كيفما شاؤوا كما كان يفعل عبد الحميد في الأمة.

٢ ــ يؤلمني حرمان حوران من المكاتب الابتدائية والرشدية.

٣ ــ يؤلمني عدم إصلاح حوران وإدخالها في المساواة مع الجامعة العثمانية.

٣ ــ دعوته الصريحة للعقلانية المستمدة من صميم الواقع.

يسهب رفعت الحوراني في الحديث عن العادات والتقاليد ولم يقف عند حد الوصف الذي تراه دقيقاً وشاملاً فحسب، بل وينتقد منه ما لا يجاري روح العصر والتطور ويدعو إلى رفضه فيتحدث عن الزواج مثلاً في أقضية حوران، درعا، السويداء، القنيطرة وعجلون والبادية وعن المهر ومقداره، وجهاز العروس وطريقة الزواج، ويفصّل في ذلك لدى سكان البادية قبيلة قبيلة وسكان السهل والجبل والتركمان والشركس... الخ.

ويوضح لنا موقفه من المهر، فيقول: ((اعتاد الحوارنة أن لا يزوجوا بناتهم إلاّ بمبلغ من ٥ إلى عشرة آلاف قرش وهذا المبلغ يأخذه الوالد والأخ أو عم البنت فلا يعطيها منه إلا مبلغاً زهيداً والباقي يأخذه ظلماً وعدواناً)) ويردف قائلاً أنهم ((أن لا يعطوا إرثاً إلى الأنثى من دار وأرض أو ملك أبيها وأخيها إذ كانت ذات زوج فإن لم يكن لها زوج فتعيش في دار أبيها أو أخيها أو عمها، وليس لها حق بأن تكون صاحبة أرض أو ملك بتة)).

ولعل الإحاطة التي يقدمها لنا حول موضوع المرأة زواجاً وميراثاً، خير دليل على عمق رؤيته الإنسانية والنهوضة لتلك العلاقات، التي لابد لها من

الإصلاح.. فلنسمع ما يقول في هذا الأمر:

((ولو مات أبوها وأخوها وعمها، وكانت شرعاً ترثهم، فالحوارنة لا يورثونها البتة ما دام من أهل هذا الدار ذكر ولو كان بعيداً منذ أربعة أجداد فهو يحرمها الإرث بحسب عاداتهم..)) ثم يعرج على المبادلة بالزواج.. دون مهر.

يستطيع القارئ أن يتلمس فهم رفعت الحوراني لما نسميه اليوم المسألة السكانية لجهة دور السكان في التنمية والتطور، فبعد أن يحدد لنا عدد سكان حوران في عام ١٩١٠ بنحو ٢٣٨ ألف نسمة. منها ١٨٨ ألف مسلم سني و٤٧ ألف درزي، وتسعة آلاف مسيحي يقول في هذا الإطار: ((يدلنا التاريخ على أن حوران كانت تضم الملايين من النفوس في زمن العرب والرومانيين.. وقد كانت عامرة، فإذا بسط الأمن في قراها وفيافيها وضواحيها لا يمر عليها نصف قرن حتى يصبح عدد نفوسها مليوناً لأنها تقتصد في كل عام نفوساً وافرة يقتل بعضها بعضاً بسائق الجهالة والعادات القديمة البربرية مثل أخذ الثأر والغزو والهجوم على بعضهم بعضاً أفراداً وجماعات، فلم يمض عليها بضعة قرون حتى تعود لما كانت عليه من العمران والغنى والسعادة فحينئذ يتصل عمران حوران بالحجاز وبالعراق)).

كان الحوراني يقرأ الماضي، وينتقد الحاضر الذي هو في كثير من الأحيان يشبه الماضي، إن لم يكن عنواناً له. ولعله كان ينفذ بنظرته الثاقبة، إلى تشخيص الجوانب السيئة في الماضي، والتي تمتد إلى الحاضر، ولا يحمل المسؤولية كلها للسكان، بل يرى أن الدولة ومؤسساتها، تتحمل قسطاً كبيراً منها. يقول الحوراني في مقالة كتبها بجريدة المقتبس بتاريخ ٢٣ شوال ١٣٢٨ هـ ١٩١٠/١٠/٢٧ ((بات أملنا وطيداً بحكومتنا الدستورية ورجالها الأحرار أن يقطعوا تلك العادات المخالفة للقوانين السماوية والقوانين الوضعية وأحكام الشريعة والعقل ووضع أشياء تقوم موضعها كي يسير عليها الحورانيون.. فمتى رأوا ذلك يتركون عاداتهم المذكورة من تلقاء أنفسهم هذا إذا جرت الأحكام حسب منطوق القانون والشريعة في المحاكم والدوائر الرسمية في زمن الدستور)) ويتابع الحوراني نقده اللاذع للعادات السائدة والتي يسمى بعضها بالأعمال البربرية. وتتلخص هذه العادات على سبيل المثال بالثأر من أقارب القاتل ((ولو منذ خمسة جدود، وتخريب دور من ليس لهم مدخل، وترحلهم منها ويطال القتل والضرر حتى أرزاق حيوانات من لهم تلك الصلة بالقاتل)).

ومن جانب آخر، نراه يشخص الحال المتردي للقضاء والقضاة الشعبيين

واحكامهم ((غير المطابقة للقوانين والعقول بل يبحثون أموراً حرفتها القوانين والعقول)). فهو يكتب في هذا الشان ((اجتمعتُ بكثير من أولئك القضاة، فجرت محاورة بيني وبنيهم بهذا الشأن فوجدتهم يجهلون أحكام الشريعة، ولا يعلمون من القوانين السماوية ولا من الطبيعية ولا من الحقوق ولو على حساب أقرب المقربين. قال بعض العارفين بأحوال حوران أن بعض المشايخ تسابقوا على ((المخترة)) فدفع الواحد منهم ٣٠٠ ليرة ودفع ابن أخيه ١٥٠ ليرة إلى أحد متصرفي حوران في ذلك الزمن الغابر فأبقى الشيخ مختاراً أول والثاني مختاراً ثانياً وقس باقي القرى على ذلك)) ويعلق الحوراني على عملية ابتزاز المتصرف لوجهاء حوران والشيخ الذي ((كان يفعل ذلك فيحصل المبلغ أضعافاً مضاعفة من أهل القرية، ليمتص دماء كثيرة من أفرادها)).

إن مجاهرة رفعت الحوراني برأيه هذا في الصحافة، تدل على انخراطه في خط الداعين للإصلاح من جهة، ولثقته بالإدارة الجديدة من جهة ثانية. على الرغم من معرفته بأن ذلك الجديد، الذي ينشده، ما زال بعيد المنال. ((ولم تلمس الناس شيئاً جديداً بعد. وإن كان بقاء الحال من المحال))، ولعله أفرط في التفاؤل. إذ سرعان ما انكفأ عن ممارسة العمل الإداري، دون إرادة منه، خلال العقد الثاني من القرن العشرين، أواخر الحكم العثماني.

## ٤ ـ ملامح الفكر الاقتصادي عند رفعت الحوراني.

مما لاشك فيه، إن استناد رفعت الحوراني، إلى العلم فيما كتب، يدل على شغفه بالتاريخ وبالجغرافيا وبالعلوم المختلفة. بيد أن الأمر لم يقف عند هذا الحد بل جعل من نفسه داعية للعلم والإصلاح والنهضة. فلم يكتب مقالاته من أجل الكتابة بعيداً عن المجتمع والناس، والهموم العامة، إذ نراه يصور كيف ينهض المجتمع بالعلم.. اقتصادياً واجتماعياً ومعرفياً....

((حوران كورة زراعية واسعة البقاع والرباع، وهي مخصبة مستوية فإذا أنشئت فيها تلك المدارس العالية الزراعية، وخرج منها رجال أتموا تحصيلهم في أوروبا وأمريكا، فجُلبت لها الآلات الزراعية الحديثة، فاستعملوها فيها، حينئذ تعطي من أنواع الحبوب وثمر الأشجار ووارد الأغنام والماعز والبقر من الحيوانات الأهلية إذا جرى تربيتها على الأصول الحديثة مبالغ لا تقل عن العشرين مليون ليرة)).

وما يثير الإعجاب هنا بتحليلات واستنتاجات رفعت الحوراني، استنادُ كل

فكرة استنتجها، وكل فرضية انطلق منها إلى العقل والعلم.

وفي استطراده في النص أعلاه، يظهر للقارئ معقولية ما استنتج فها هو يقول: ((وهذه المبالغ بنيت من هذا الحساب الإحصائي، وهو أن حوران ستبلغ ٧٣٠ قرية منها ٥١٠ القرى الحورانية والجركسية في أقضية عجلون والقنيطرة واللواء ودرعا وشمسكين وبصر الحرير و١١٠ قرى في جبل حوران و١١٠ قرية اعتبارية، وهي على الحساب الوسطي أرض ١٥٠ فداناً ويوجد في بعضها من ١٥٠ إلى ١٠٠٠ فدان كقرية نوى والسويداء ودرعا، فلو ضربنا ١٥٠ في٧٣٠ فيأتي كل فدان في كل سنة من الحبوب المتنوعة ٧٠٠ مد على الأقل... وهكذا يتابع عملياته الحسابية ليصل بإنتاج حوران إلى ٧٦.٥٠٠ طن أو ٧.٦٥٠.٠٠٠ مد)).

يرتكز هذا التحليل لرفعت الحوراني على معارف علمية اقتصادية عامة وكونية بنسبة ما فلا يكتفي بالتشخيص والتحليل ورسم الأفق، إنما يذهب بعيداً في نصه ليقول ((هكذا غنيت بلاد أوروبا وأميركا، وأخرجوا كنوز الأرض بقليل من دراهمهم، وصرفوها في تحصيل أبنائهم وأبناء وطنهم العلوم النافعة، اكتشفوا به الكنوز الأرضية، فاغتنوا لا كما يفعل في بلادنا الدجالون والسحرة والمحتالون)) يتحدث الاقتصاديون ورجال التخطيط هذه الأيام، عن شيء هام يسمونه البنية التحتية اللازمة للنهوض الاجتماعي والاقتصادي للمجتمعات.

ومع أن عصر الحوراني لم يكن يستخدم تعبير البنية التحتية إلا إن قراءة إنتاجه، تدل على أنه كان ملماً بمستلزمات الإصلاح والنهضة. فقدم لنا إحصائيات عن عدد السكان وثرواتهم وأراضيهم وإنتاجهم الزراعي والحيواني وسكنهم ومستوى معارفهم، بالإضافة إلى معلومات متنوعة عن المناخ والأمطار والأودية والينابيع والحراج والرخام والآثار والطرق القديمة. ثم انتقل إلى أمر أكثر أهمية، تمثل في دعوته لتطوير الطرق وشقها وتعبيدها، ضمن رؤية شمولية غطت حوران كلها.

((حوران أرض مستوية لا يكلف إصلاح طرقها كثيراً من المال في أقضية الشيخ مسكين ومركز اللواء في بصر الحرير وثلاثة أرباع طرق عجلون وقضاء القنيطرة ونصف طرق جبل حوران))... الخ.

ثم تحدث عن خصوبة التربة الزراعية ((تربة حوران جيدة خصبة، تعطي المحصول من دون أن تسقى بالماء...)).

ولدفع الناس إلى العمل الجاد لتطوير الزراعة، يتحدث عن معاصر الزيتون والعنب القديمة، ثم ينتقل إلى الحديث عن استصلاح الأراضي وحفر الآبار، وتأمين مياه الشرب للقرى، ليشرب سكانها منها في سنوات الجفاف. وبعد ذلك تحدث عن أهمية السكك الحديدية وتطويرها.

ولم يغفل أهمية التجارة، فأسهب في وصف الطرق القديمة، التي تربط مثلاً صلخد بالبصرة في العراق، وعن دور مدينة بصرى التجاري القديم، فأردف قائلاً:

إن الاستبداد والظلم والبغي هو الذي أدى ببصرى من النور إلى الظلمات ومن العمران إلى الخراب.

* * * * * *

إن من يقرأ مقالات الحوراني في جريدة المقتبس الدمشقية النهضوية في عامي ١٩١٠ ــ ١٩١١م يلمس بوضوح أنه أمام عَلَم نهضوي من طينة خاصة. ولا يزال هذا النهضوي الفريد في بابه مجهولاً لدى المؤرخين والمهتمين بالنهضة العربية. ونأمل أن نسهم في نشر مقالاته في إلقاء أضواء جديدة على حركة النهضة العربية في بلاد الشام، وتحديداً في ريفٍ من أريافها الهامة.

اقتصر هذا النهضوي على الدعوة للإصلاح في دائرة المنطقة التي عمل فيها وهي حوران التي تشمل منطقة درعا وجبل حوران والجولان وعجلون والسلط والكرك[1].

ويتبدى لنا أنه لم يكن على اتصال مستمر برجالات الإصلاح في كل من دمشق وبيروت ولكن غزارة المعلومات التي نشرتها المقتبس النهضوية باسمه تدل على أن حضوره الفكري كان موجوداً في كل مكان تصله جريدة المقتبس.

ويمكن القول أن الحوراني من أوائل دعاة النهضة والإصلاح في منطقة حوران المهملة في ذلك الحين دون أن يكون له أي نشاط سياسي يُذكر وهو

---

[1] *صحيح إن دعوة الحوراني الإصلاحية تتركز على حوران لكنها كانت تشير إلى ضرورة شمول عملية الإصلاح ((البلاد العربية كافة فتسعد البلاد ويسعد أهلها، وتقوى الدولة وجنديتها فتصبح البلاد العثمانية أغنى البلاد)) أنظر ص ٢٤، ولا نخفي على حصانة القارئ بعض الأخطاء اللغوية في النص التي تركتها كما هي دون تصحيح تحاشياً لتغيير النص.*

النهضوي الميداني الذي طالما كان يضع البرامج العلمية القابلة للتطبيق.

دعا الحوراني ذو الثقافة ((العثمانية ــ الإسلامية)) في مقالاته إلى تحقيق الأمور التالية:

- ــ تغيير العادات والتقاليد المخالفة للشريعة والمنافية لروح الإصلاح والنهضة.
- ــ الدعوة إلى العلم وبناء المدارس من أجل القضاء على الجهل تلك الدعوة التي هي من أهم مطالب رجال النهضة العربية في كتاباتهم.
- ــ الدعوة إلى بناء الدولة الحديثة بما يتلائم مع ظروف حوران في ذلك الحين. فدعا إلى تأسيس الدوائر الرسمية مثل دائرة البريد وحماية الغابات مثلما دعا لشق الطرق العامة والطرق الزراعية وتأمين مياه الشرب. كما أنه عبّر عن سعادته بقيام سكان حوران بتسجيل أسمائهم في دفاتر النفوس. وألقى الأضواء على أهمية الكشف عن الآثار لمعرفة الماضي والإسهام في تطوير الحاضر اعتماداً على هذا الماضي التليد.

ومن الملفت للنظر اهتمام الحوراني بالتنقيب عن المعادن فيخص بالذكر وجود مادة ((الكاز)) أي البترول في حوران. وهو يدعوا أيضاً إلى تأسيس شركة مغفلة لاستخراج النفط. أليس في هذه الدعوة دعوة صريحة لإقامة الرأسمالية التي هي أحد أسس النهضة في كل مكان؟. مع دعوته إلى تطوير أدوات العمل الزراعي وتحديثها دعا أيضاً إلى تشجيع زراعة الزيتون والاهتمام بأصناف أخرى جديدة وحماية الكرمة وبناء معاصر للعنب والزيتون.

يوازن الحوراني موازنة دقيقة بين الدولة والأهالي فيما يتعلق بجباية الضرائب. فهو مع الدولة في بعض الأمور ومع الأهالي في أمور أخرى.

- ــ الدعوة الحارة والصادقة لتطبيق القانون حتى تتمكن البلاد من السير خطوات إلى الأمام.
- ــ يدعو الحوراني من منظوره الاجتماعي إلى وضع حد لتصرفات الوجهاء وموظفي الدولة في استغلالهم للناس فهو يهاجم مشايخ فلاحي وبدو حوران في استغلالهم للسكان مثلما يهاجم علاقة التحالف بين الوجهاء وموظفي الدولة العثمانية في استثمار الأهالي.
- ــ المناداة بإنصاف المرأة و الدفاع عنها فهو ينتقد حرمان المرأة من

مهرها ومن إرثها الذي أقرته الشريعة والقوانين الوضعية. إذ نراه هنا يستند إلى الدين من جهة وإلى انتشار القوانين الحديثة القادمة من أوربا وذات الصبغة البرجوازية من جهة ثانية. إذ نلمس في مقالاته تعاطفاً إنسانياً واضحاً مع المرأة المضطهدة في سائر الأرياف الشامية.

وأهم ملامح الفكر النهضوي ذي النكهة الخاصة لدى الحوراني هو تشديده وتأكيده على الدعوة إلى احترام القانون فيما يتعلق ببناء الدولة الحديثة. ودعوته في أكثر من مكان إلى احترام العقل كي يكون الحكم في حل الأمور وتطوير البلاد.

ويستوقفنا أخيراً موقف الحوراني من أسباب التخلف فهو يرى أن السبب الرئيس للتخلف هو العامل الداخلي الذي حدده بـ ((الاستبداد والظلم والبغي)) الذي هو المسؤول عن الانتقال بالبلاد ((من النور إلى الظلمات ومن العمران إلى الخراب)).

■■■

# نصوص المقالات
# التقسيم الإداري لحوران

## حدود هذه الكورة

حوران[1] كورة عظيمة من كور سورية، يحدها من الغرب نهر الشريعة (الأردن) الفاصل بينها وبين فلسطين ومن الشرق البرية وبادية الشام، فنجد وجوفها، ومن الشمال إقليم الغوطة، وهي عبارة عن القرى المحيطة بدمشق، والبادية التي بينها وبين أقضية دوما والنبك وجبل الشيخ والحولة، وفي الجنوب لواء الكرك يبتدئ من فوق قصر الزرقاء حذاء قرية الرصيفة، وينتهي بجبال متسلسلة تفصل جريباً ورجم الشوك والرمان[2] من زينات الربوع وأرض يأجوزة تنتهي برأس وادي الرمان بعد أن يلتقي بمسيل الزرقاء ثانياً، فيمتد السيل إلى أن يصب في الشريعة وهذه الحدود بموجب التقسيمات الملكية الحاضرة.

## الجبال في حوران:

في الشرق من هذه الكورة جبل حوران المتشعب من جبل الشيخ، أي أنتي لبنان وفي جبل حوران محال مرتفعة أعلاها (قليب حوران) وسالة ويزيد

---

(1) *جريدة المقتبس. دمشق العدد ١٨/٤٨١ رمضان ١٣٢٨ هـ/٢٢/ ٩/١٩١٠م ولمزيد من المعلومات حول حوران. معجم البلدان. اختيار وتعليق وتقديم عبد الإله النبهان. وزارة الثقافة دمشق ١٩٨٣. السفر الثالث. ص ٢٩٢ ــ ٢٩٤.*

(2) *المقتبس العدد ٥٥٧ تاريخ ٢٤ ذي الحجة ١٣٢٨/ ٥/ ٢٦/١٢/١٩١٠م..*

أكثرها عن مساماة البحر نيفاً و(٥٠٠متر)[١] ارتفاعاً، وفي الغرب تلال أعلاهـا جبل عجلون[٢] القلبي المزين بالغابات والحراج.

## السطوح المائلة أعني الأنهر[٣] الحوارنية

السطوح المائلة في حوران ثلاثة أقسام، منها في الشرق والثاني في الغرب من القبلة والثالث في الشمال من الغرب. ويجتمع القسم الشـرقي فـي موسـم الشتاء من المطر أقنية تتجمع منها مسايل يكون منها أنهر عديـدة تجـري فـي

---

(١) *يبلغ ارتفاع القليب ١٦٩٨م عن سطح البحر، ويقع جنوب شرق مدينة السويداء. بنحو ١٥ كم وشمال شرق قرية الكفر ب ٣كم. انظر المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، بإشراف العماد مصطفى طلاس، ومركز الدراسات العسكرية. دمشق. المجلد الرابع. ط أولى ١٩٩٢ ص ٥٩٧.*

(٢)

(٣) *كتب الخوري بولس سيور البولسي في مجلة المسرة عن المياه في حوران مايلي:*

*المياه في حوران قليلة جداً. والسبب في ذلك على ما يظهر لنا قلة الأشجار والمزارع الخضراء والتي تجذب السحب وتعقد الغيوم وتستنزل الأمطار الغزيرة. فتمتلئ مخازن المياه في بطون الأرض وتنفجر الينابيع وتروي الأرض فيكثر النبات ويترطب الهواء وتعود النباتات فتكون مجلبة للأمطار.. علماً أن جبل عجلون لم يزل إلى يومنا هذا جزيل الخصب مكسواً بالأشجار وبعض الغابات ومياهه غزيرة متعددة. كذلك سهل الجولان فيه من المراعي ما يجعله خضراً نضراً وفيه المزارع الحسنة والمراعي الخصبة.*

*أما النقرة فمياهها قليلة جداً تكاد تعد ينابيعها على الأصابع وأكثر ما يكون شرب أهلها في الصيف من البرك.. ومن هذه البرك يستقي الناس والبهائم ومتى ينضب ماؤها يستوردون الينابيع والآبار البعيدة وفي السنن التي تقل فيها الأمطار يذوقون الأمرين بسبب قلة المياه.*

*غير أن جبل الدروز فيه نصيب من الينابيع والآبار البعيدة أكثر من السهل. وأشهرها نبع عرى في الجهة الجنوبية وهو على الأرجح النبع الذي نزل عليه الغساسنة يوم دخلوا حوران فدعي لذلك نبع الغساسنة. وهو غزير جداً يدير الطواحين ويسقي الجنائن، والبساتين ثم يروي ما يزيد منه السهل عند كعب الجبل. وكان قديماً يُجر ماؤه في قناة إلى بصرى أسكي الشام. وعين موسى في قرية سهوة (السهوة) عند حضيض القليب وماؤها عذب جداً. ويوجد نبع قنوات.*

*وفي اللجاة ينابيع قليلة منها نبع المسمية الغزير، نبع الهجير قرب خبب ونبع الكتيبة قرب تبنة. أما مجاري المياه فما سوى السيول الشتوية التي تجري في الوديان عند هطول المطار الغزيرة وتملئ الصهاريج والبرك لا نعرف إلا نهر الزيدي في شمالي صلخد وهو أحد ينابيع نهر اليرموك (وهو شريعة المنذور) يجري ما بين الجولان وجبل عجلون ويصب مياهه في نهر الشريعة (الأردن) تحت بحيرة طبريا عند جسر المجامع ثم نهر بيوق (وادي الزرقاء) وفي حوران أيضاً نهر المدائن)). المسرة، السنة ٢، جـ ٢، حزيران ١٩١١، ص ٥٤ ــ ٥٦ كُتبت مقالة الحوراني قبل عام من نشر هذه المقالة والأولى اكثر غنى في المعلومات من الثانية ويبدو أن الخوري، بولس سيور لم يقرأ مقالة الحوراني.*

ذروة الجبال إلى جهة الشرق فبعد أن تتوسط في البادية تغور في الرمل فتموت ويبقى أثرها ماء راكد في المحال المنحطة التي تسميها العربان الرحالة. (غدران ماء) تشرب منها وتسقي مواشيها عندما تكون موغلة في البادية.

**القسم الثاني**

بعد أن تجتمع نقط الماء، وتكون منها أقنية، تتولد منها مسايل، ومنها تتألف أنهر تسيل إلى الغرب من وسط قرى الحوارنة. وتتصل بمياه تنصب في الشريعة، وأشهرها وادي الزيدي[1] ووادي الذهب ووادي العاقب، وتملأ قرى الحوارنة مصانعها وآبارها منها في موسم الشتاء فهذان القسمان لا يجريان إلاَّ من ماء المطر، ومتى انتهى موسم الشتاء تنقطع جريتهما.

**القسم الثالث**

يتولد من جبل الشيخ أنهر عديدة، في الشتاء تجتمع بماء يخرج من ينابيع أشهرها نبع عيون الصخر وعيون السريا، فتجري من الشمال إلى القبلة متوسطة بين قرى قضاء القنيطرة وقضاء شمسكين (الشيخ مسكين اليوم) حتى تصل من قريب سحم ومن قرية جلين ومن قرية الشجرة ومن قرية تل شهاب شلالات وأودية عميقة. فبعد أن تجتمع في محل يدعى المقارن في حدود أقضية عجلون والقنيطرة وشمكسين ومركز اللواء درعا مع القسم الأول تغدو واحداً ويجري إلى جهة الغرب حتى يصب في نهر الشريعة.

وأشهر هذه الأنهر نهر الهرير، ونهر الرقاد، ونهر العلان، ووادي الحماء (وادي اليرموك) المجتمع من نهر المزيريب، وينابيع شتى في وادي الشلالة الفاصل قضاء عجلون عن قضاء مركز اللواء درعا فهذه الأنهر تسيل في الفصول الأربعة، لأن لها ينابيع. أما الأنهر التي تجتمع في الشتاء من جبال عجلون فتصب في وادي الزرقاء من الجهة القبلية وفي الشريعة من الجهة الشرقية من الجبال.

---

[1] *انظر المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، مذكور سابقاً. المجلد ٣ ص ٥٨٣ كانت هذه الأودية المصدر الرئيس لمياه الشرب وري الأراضي القريبة منها فتمتلئ منها البرك التي يستخدمها السكان. بيد أنها على كثرتها لم تكن تغطي احتياجات السكان الكثيرة التي لا سيما خلال سنوات الجفاف وقد جفت اليوم معظم هذه الينابيع مثل نبع عرى، بينما مازال نبع عريقة يؤمن مياه الشرب لسكانها.*

وبالنظر لقربها من ذينك النهرين لم يجتمع منها نهر يـذكر، ولـيس فـي كورة حوران سوى التي ذكرت.

## تقسيم حوران الملكي والإداري

تنقسم حوران إلى ثمانية أقضية وإحدى عشرة ناحية.

### أولاً: الأقضية

١ ــ مركز اللواء درعا[١] ٤ ــ القنيطرة
٢ ــ شمسكين (الشيخ مسكين) ٥ ــ السويداء
٣ ــ بصر الحرير ٦ ــ صرخد (صلخد اليوم)
٧ ــ عجلون (مركز إربد)[٢] ٨ ــ عاهرة (عريقة اليوم)

### ثانياً: النواحي

١ ــ عجلون.
٢ ــ الكفارات.
٣ــ الوسيطة.
٤ ــ جرش (مركزها فيق) من قضاء القنيطرة.
٥ ــ المجدل.
٦ ــ جاسم من قضاء شمسكين.
٩ ــ اللجاة. من عمل قضاء بصر الحرير.
١٠ ــ سالة. من قضاء بصر الحرير.

---

[١] *لم تكن هذه التقسيمات خلال القرن التاسع عشر كما هي عليه، إذ كانت الإدارة العثمانية سرعان ما تصدر قرارات إحداث هذا القضاء أو ذاك، وهذه الناحية أو تلك وتعطينا ولاية سورية (التقارير السنوية لولاية سورية) صورة واضحة عن التغييرات الدائمة لهذه التقسيمات الإدارية بموجب الأوامر الملكية (السلطانية). انظر د. أبو فخر، فندي، تاريخ لواء حوران الاجتماعي ١٨٤٠ ــ ١٩١٨ (السويداء، درعا، القنيطرة، عجلون، دمشق) ١٩٩٩ ص ٦٧ ــ ٧٨.*

[٢] *المرجع نفسه، ص ٧٦ ــ ٧٨.*

١١ ــ بصرى اسكي شام (بصرى الشام اليوم) مــن مركــز اللــواء درعا.

## تقسيم حوران الطبيعي

١ ــ **النقرة:** أعني قرى الحوارنة المتوسطة والقبلية

٢ ــ **الجيدور**[١]: قسم من قرى الحوارنة يدعى بهذا الاسم.

٣ ــ **الجولان**[٢]: وفيه قرى الجراكسة، وقرى عربان الجولان، ومــزارع وقرى عبد الرحمن بك اليوسف[٣] وسكانها وعشــائرها مزارعــون عنده.

٤ ــ **عجلون**[٤] وإربد. قرى عديدة تبلغ ١٥٠ قرية ملك لأهلها الحوارنــة ومن جملتها خرب عديدة وأراضي واسعة خصبة جيدة يقال لها بنى حسن، وهذه الأراضي بيد عشيرة بني حسن، تزرعها، وتقيم فيهــا،

---

(١) *بالفتح ثم بالسكون وضم الدال وسكون الواو والراء. وهي كورة من نواحي دمشق فيها قرى وهي في شمالي حوران: ويقال أنها والجولان كورة واحدة. الحموي، ياقوت: معجم البلدان، اختار النصوص وقدم لها: عبد الإله نبهان، منشورات وزارة الثقافة، السفر الثالث، القسم الأول، دمشق ١٩٨٣م ص ٣٩٢*

(٢) *لمزيد من المعلومات عن الجولان. انظر: أبو فخر، د. فندي، تاريخ لواء حوران الاجتماعي، المرجع نفسه ص ١٣.*

(٣) *جبل عجلون: هو جبل جلعاد المشهور يشمل الأراضي ما بين نهري اليرموك (شريعة المنذور) ويبوق (وادي الزرقا) على ضفة الشريعة (الأردن) الشرقية وهو يوازي غرباً جبل الدروز (جبل حوران) القائم في الجهة الشرقية من حوران ويطلق منه النظر على سهل حوران والبلقاء شرقاً وجنوباً وعلى غو رالشريعة وبحيرة طبريا غرباً وعلى مزارع الجولان وغياض الشام شمالاً.. وهو جزيل الخصب إلى الغاية مكتس بالأشجار وبعض الغابات الكثيفة وفيه المياه الغزيرة.*
*ويقسم جبل عجلون إلى ٨ مقاطعات هي من الشمال إلى الجنوب: ١ ــ الكفارات فيها ١٢ قرية معروفة منها خمسة أمست خراباً والبقية عامرة ٢ ــ (السرور) فيها ١٧ قرية منها ٩ خربة و٨ عامرة. ٣ ــ البطين أبو الجهامنة فيها ١٦ قرية و ٦ عامرة ــ ٦ــ الكورة فيها ٢٠ قرية خربة و١٥ عامرة ــ ٧ ــ عجلون فيها ٢٢ قرية ١١ خربة و١١ عامرة ــ ٨ ــ المعراض فيها ٢٠ قرية منها ١٢ خربة والباقية عامرة. (المسرة، السنة الثانية، ج٢، ١٥ حزيران ١٩١١، حوران بحث جغرافي تاريخي أخلاقي كتابي، ص ٥١.*

(٤) *انظر. خوري. فيليب. أعيان المدن والقومية العربية (سياسة دمشق ١٨٦٠ ــ ١٩٢٠) ترجمة عفيف الرزاز، منشورات الأبحاث العربية. بيروت ١٩٩٣ ص ٧٣.*

منها الزراع سوى خرابة جرش نزلها الجراكسة، وفيها عدة دكاكين من أهالي دمشق للتجارة.

٥ ــ **اللجا**[١] **والصفا**[٢]: يقيم فيها وفي جوارهما عرب اللجاة وعرب الصفا الذين ذكرناهم في (مقال العربان الرحالة في حوران)، وفي أطراف اللجاة من الغرب والجنوب قرى الحوارنة، ومن الشمال قرى الأراضي الأميرية المدورة وهي: كريم، وشعارة، والمسمية، ومن الشرق قرى دروز حوران التابعة لقضاء عاهرة (عريقة اليوم).

أما الصفا فأطرافها برية، تتصل بادية الشام المؤدية إلى العراق وهي أقرب ما تكون من قضاء عاهرة.

٦ ــ **جبل الدروز:** ينقسم إلى مقرن قبلي ومقرن شرقي ومقرن غربي، ينزلها كلها دروز حوران وفي بعض قراه قيل من المسلمين والمسحيين، وبين قراهم قرى للمسلمين والمسيحيين مثل عنز والدارة والدور.

٧ ــ **الحولة وقرى سفح جبل الشيخ:** الحولة قرى منها بيد عشيرة الفضل، وقرى بسفح جبل الشيخ، قرى منها بيد الدروز ومنها بيد المسلمين والمسيحيين.

## شلالات حوران:

كثيرة أهمها واحدة في قرية تل شهاب، وواحدة في قرية جلين الأولى، تصب من ارتفاع لا ينقص عن ثلاثمائة متر، ينزل ماؤها شاقولياً، فيدور خمسين طاحوناً متفرقة قوتها تزيد عن قوة (١٥٠٠) حصان. تزيد الثانية عن الأولى في عامة أوصافها، ويأليت أهل الثروة والفن يخرجون من قوتهما البالغة قوة ٣ آلاف حصان ليشغلوا بها الآلات الزراعية المتنوعة الحديثة في صميم أرض حوران الواسعة المستوية السهلة التي حواليها، ويديرون سككاً حديدية

---

(١) *للمزيد من المعلومات حول اللحاة انظر: أبو فخر، د. فندي، تاريخ لواء حوران الاجتماعي، المرجع نفسه ص ١٣.*

(٢) *ديسو، رينيه. العرب في سورية قبل الإسلام، ترجمة عبد الحميد الدواخلي، دار الحداثة، بيروت، ط٢، ١٩٨٥ ص ١ ــ ٢٤.*

كهربائية، لو فعلوا لخدموا حوران بالنقل والعمران، بل ربطوا عامة قرى حوران البالغة ٦٠٠ قرية لبعضها ببعض الخطوط الحديدية الكهربائية، فتصبح كأنها بلد واحد أو مدينة، فتغبطها على ذلك سكان الكرة. دع عنك أهل أوروبا وأمريكا ممن لم تمنحهم الطبيعة هكذا نعم ربانية ومواقع طبيعية.

## امواه اللجاة وجوارها:

ماء قراصة الجاري[١] إلى بصر الحرير، وماء عاهرة[٢] الذي قرب قلعتها، وماء الشرايع قرب قلعة المسمية، وماء قرية ازرع المكنى بماء النعيرة، وماء قرية شقرة، وماء حامر وايب، وماء قيراطة، وماء جنين، وماء سليك، وعيون، وماء في جوار قرية كريم، وبئر براق بالقرب من مخفر عسكري، وماء الزباير والزبيرة، وهاتان العينان ينقص ماؤهما في هذه الآونة.

وهذه المياه كلها واقعة في الجهة القبلية والشمالية والغربية من اللجاة، ونبعها قليل جداً لا يكفي إلاَّ لشراب الناس والمواشي خلا ماء قراصة. أما الصفا فليس فيها نبع ماء البتة سوى بركتها التي ذكرناها، ويجتمع فيها الماء وقت الشتاء.

## إلى رئيس [٣] البريد والبرق في سورية ومفتشيها:

أيها الأخوان. تقسم حوران وجبلة فقط خلا قضاء عجلون إلى خمس مناطق.

---

[١] *لم يعد هذا النبع يكفي اليوم سكان قرية قراصة نفسها وهي من القرى الصغيرة في محافظة السويداء، ولم تكن قرية مسكونة عند كتابة هذه المقالة عام ١٩١٠م ويمتلك أراضيها سكان قرية نجران الواقعة إلى الشرق منها بـ ٣ كم. وأصبحت منذ نحو خمسين عاماً قرية مسكونة عامرة من قبل قسم من سكان نجران، ومن الجدير بالذكر إنه بعد معركة الكفر ٢١ تموز ١٩٢٥، دعا سلطان باشا الأطرش لاجتماع عام لقيادات الثوار في ٣٠ تموز بجوار نبع قراصة لدراسة مواجهة حملة ميشو القادمة باتجاه السويداء.*

[٢] *عاهرة هي قرية عريقة اليوم، وكانت مركز ناحية حيناً ومركز قضاء أحياناً اخرى أيام الحكم العثماني وقد بنى فيها العثمانيون قلعة عسكرية قرب ماء النبع لمواجهة انتفاضات السكان على الدولة العثمانية، ولم يبق اليوم من القلعة أي أثر.*

[٣] *عمدت إلى اختيار مكان هذه المقالة مباشرة بعد المقالة السابقة بسبب صلتهما الوثيقة ببعضهما من حيث التقسيم الجغرافي والإداري لحوران انظر المقتبس. دمشق العدد ٥٨٣ تاريخ ٢٤ محرم ١٣٢٩هـ /٢٥/ ١/ ١٩١١هـ.*

## ١ ـ المنطقة الأولى.

درعا وهي عبارة عن قرى، نفس درعا، الرمثا، الشجرة، عمراوة، ذنيبة عمراوة، الطرة، تل شهاب، المزيريب، العجمي، سجرة المذايبة، سحم الجولان، طفس، الخربة، داعل، يادودة، الغرية الشرقية، الغربة الغربية، عثمان، نعيمة درعا، صيدا، المسيفرة، الكرك، كحيل، ام الميادن، نصيب، جابر، الجيزة، والشرك ( الكرك)، السهوة، غصم، معربة، امتاعية، طيسية، الطيبة، هذه القرى تبعد عن المركز درعا من الساعة الواحدة حتى الساعة الرابعة، أعني أقربها للمركز ساعة أو نصف ساعة، والبعيدة عنه نحو أربع ساعات على الفارس.

## ٢ ـ المنطقة الثانية:

الآن صرخد[١] وبعد أن تجري أحكام التشكيلات الجديدة بصرى اسكي شام (بصرى الشام) نفس صرخد (صلخد اليوم)، عرمان، امتنان، السهوة، الرشيدة، طليلين، سهوة الخضر حبران، العفينة، المجيمر، القرية، خربة، جبيب، جمرين، بصرى اسكي شام، صماد سمج، بكة، حوط، ذيبين، أم الرمان، غرية شبيح، عنز، خربة عواد، شنيرة، العنات، المشقوق، المشنف، الكفر، وعدة قرى صغيرة،

## ٣ـ المنطقة الثالثة:

وهي الآن شمكسين. وبعد تطبيق التشكيلات إزرع، نفس شمكسين أبطع، نامر، نمر، علمة[٢] الصورة، دير السلط والحريك، الحراك، المليحات، ناحته، شقرة، النقيع، نوا، شيخ سعد، جاسم، الكتبية، الحارة، بسطاس، قيطة، سملين، زمرين، عقربة، المال، أم العوسج، كفر شمس، رخم، الدارة، الدور السجن، كفر ناسج [٣] وهذه القرى أقربها للمركز المذكور نصف ساعة وأبعدها خمس ساعات.

---

[١] *صلخد اليوم وهي مركز منطقة في محافظة السويداء*

[٢] *المعجم الجغرافي، المرجع نفسه ج٤ ص ٤٢.*

[٣] *سالنامة ولاية سورية لعام ١٢٨٨هـ ، ص ٢٨٤ ــ ٢٧٨*

## ٤- المنطقة الرابعة:

وهي بصر الحرير، وبعد تطبيق التشكيلات الجديدة المسمية [١]نفس بصر الحرير، محجة، القنية، خبب، بصير، صنمين، دير العدس، موتبين، دستة، كمونة، براق، جباب، مسمية، شعارة، كريم، الصورة الصغيرة، الصورة الكبيرة، وقرى وادي اللواء (اللوا)، وقرى لحف اللجاة الدرزية، وهي خمس عشرة قرية، وأقرب هذه القرى للمركز المذكور نصف ساعة وأبعدها خمس ساعات.

## ٥- المنطقة الخامسة:

وهي نفس السويداء

السويداء، الأصلحة، عرة، أم ولد، ولغا، ريمة (ريمة حازم) قنوات، سليم، عتيل سالة، مردك، شهبا، عاهرة، المجدل، ثعلة، ونحو خمس عشرة قرية غير هذه القرى [٢]فأقرب القرى نصف ساعة عن المركز وأبعادها خمس ساعات.

يلزم لهذه الخمس مناطق لكل منطقة منها موظف سيار للبريد، يطوف القرى الواقعة، ضمن منطقته في خلال خمسة عشر يوماً بالكثير، فيأخذ من أهل القرى الرسائل، ويضع عليها التمغة (الطابع) ويبطلها تجاههم، ويضعها في بريد مركزه عند عودته ويأخذ الرسائل التي ترد مركزه، فيوزعها على أهل القرى.

---

[١] *يشير هنا خليل رفعت الحوراني إلى إحداث قضاء المسمية الذي حل محل قضاء بصر الحرير وذلك عند مجيء القائد العثماني سامي باشا على رأس جيش جرار من الجنود عام ١٩١٠ لقمع انتفاضة جبل حوران والكرك. انظر أبو فخر، د. فندي تاريخ لواء حوران، المرجع نفسه ، ص ١٨ ــ ١٩*

[٢] *إن القرى غير المذكورة أعلاه والتي كانت مسكونة آنذاك وتابعة لأقضية بصر الحريري والسويداء وصلخد هي:*

*ميماس، مفعلة، مصاد، تل اللوز، الخرسا، الرضيمة الشرقية، صلاخد، ريمة اللحف، الدويرة، سميع، الهيات، خلخلة، لاهثة، العجيلات، المغير، الهويا، المنيذرة، أبو زريق، بهم، قيصيما، رساس، كناكر، الرحا، نجران، بوسان، رضيمة اللوا، صميد، صما، عمرة. المتونة، البثينة، دوما، الهيت، الخالدية، شقا، تيمة، أم حارتين، لبين، داما، السعنة، بارك، الشريحي، حران بريكة، الطيبة، الكسيب، الغيضة، الحريسة، الحقف، جرين، نمرة، الجنينة، أم ضبيب، مجادل، أم رواق، أم الزيبون، عراجي، حزم، ذكير، رامي، شعف، انظر. المقتبس العدد ٤٥٤ تاريخ ١٦ شعبان ١٣٢٨ هـ لـ ٢٢/ ٨/ ١٩١٠م*

أمَّا راتب أولئك الموظفين السيارين الخمسة فهو ثلاثون ألف قرش مسانهة لكل موظف خمسمائة قرش شهري. فلو أمعنا النظر نجد أن الوارد سيكون أعظم من هذه الرواتب لأنَّه لو فرضنا في ٢٥٠ قرية كل قرية فيها خمسة عشر تاجراً، لرأينا الوارد من رسائل التجار فقط نحو العشرين ألف غرش مشاهرة، ولا يقل عنها أجرة الرسائل التي ترد إلى أهل القرى، وخصوصاً الرسائل التي يرسلها أهل الجنود للجنود، وأجرة الصحف والمجلات والكتب وغيرها، فإذا فعلتم تنفعون أداة بريدكم، بل تكونون سبباً لرقي التجارة والصناعة كالصحف والمجلات. ففي أول عام سيكون الوارد أكثر من رواتب الموظفين، ثمَّ يتضاعف الوارد أضعاف الرواتب فيها، وأنتم تغنمون خير الدعاء تجاه فعلكم الخيري العمراني والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً

## المعارف في حوران[1]:

لاجناح علي إذا قلت أن اسمها مفقود من حوران فضلاً عن رسمها فإنها إلى الآن ليس فيها حتى ولا مدرسة ابتدائية منتظمة مفيدة [2]، والرجاء أنه بعد إصلاح حوران، وتوطيد سيطرة القانون التي تنظمه الأمة بنفسها لنفسها فقط ستنال حوران من المعارف قسطها، فيصرف عليها العشرات من ألوف الليرات وإذا أنعم الله على حوران برجال محبين للعلم والوطن والأمة العثمانية فخصصوا لمعارفها نصف دخلها، تؤسس فيها مدارس ابتدائية في كل قرية، وفي المهم منها مدارس ثانوية، وفي الأهم منها مكاتب عالية زراعية تعلم أبناء حوران علم الزراعة، نظراً وعملاً وذلك لأنَّه أهل حوران كرام ولا يضنون بإعانات تقوم بما ينقص من نفقة المدارس جميعها كل قرية بقريتها. حوران كورة زراعية، واسعة البقاع والرباع وهي مخصبة مستوية، فإذا أنشئت فيها تلك المدارس العالية الزراعية، وخرج منها رجال أتموا تحصيلهم في أوروبا

---

[1] *المقتبس العدد ٤٨٣ الأحد ٢١ رمضان ١٣٢٨ هـ، ٢٥ أيلول ١٩١٠م*

[2] *كتب أحد مراسلي المقتبس قائلاً (( بلغني أن الحكومة باذلة قصارى الاهتمام بالمكتب الرشدي الكائن بمركز اللواء والذي يتقاضى المعلم راتبه بدون أن يقرأ أحد فيه)) المقتبس، العدد ٤٨ الأحد ٢٤ محرم ١٣٢٧ هـ شباط ١٩٠٩ م ولعل ذلك القول يشير على صحة ما جاء في مقالة خليل رفعت الحوراني هذه*

وأميركا الزراعية، فجُلبت لها الآلات الزراعية الحديثة فاستعملوها فيها حينئذ، تعطي من أنواع الحبوب وثمر الأشجار ووارد الأغنام والماعز والبقر من الحيوانات الأهلية، إذا جرى تربيتها على الأصول الحديث مبالغ لا تقل عن العشرين مليون ليرة. وهذه المبالغ تبينت من هذا الحساب الإحصائي، وهو أن حوران ستبلغ (٧٣٠) قرية اعتبارية، منها (٥١٠) القرى الحورانية والجركسية في أقضية عجلون والقنيطرة واللواء ودرعا وشمكسين وبصر الحريري، (١١٠ قرى) الدروز في جبل حوران، و (١١٠) قرية اعتبارية، وهي الخرب التي ذكرناها في مقالة (العربان الرحالة في حوران) مجموعها ٧٣٠ قرية، كل قرية على الحساب الوسطي أرض /١٥٠/ فداناً، يوجد في بعضها من ١٥٠ إلى ١٠٠٠ فدان كقرية نوى والسويداء ودرعا فلو ضربنا ١٥٠ في ٧٣٠ فيأتي في كل سنة من الحبوب المتنوعة (٧٠٠) مد علي الأقل فلو ضربنا ١٠٩٥٠٠ في ٧٠٠ فيكون حاصل الضرب (٧.٦٥٠.٠٠٠) مد، فإذا فرضنا سعر المد (٢٠) قرشاً تكون أثمانها (١٥٣٣.٠٠٠.٠٠٠) قرشاً هذا ثمن الحبوب فقط، فلوا ضفنا عليه دخل المواشي كالأغنام والماعز والبقر والإبل لقرب وارد حوارن[١] السنوي من مليارين أعني عشرين مليون ليرة، وإذا أخذت الحكومة خمسة في المائة من الوارد الحقيقي تنال مسانهة من حوران عامة مليوناً وكسور ليرة، هذا من لواء واحد فلو صلحت المماليك العثمانية سوف يبلغ إيراد الحكومة فقط السبعين مليون ليرة هذا على الأقل.

هكذا غنيت بلاد أوروبا وأميركا، وأخرجوا كنوز الأرض بقليل من دارهمهم، صرفوها على تحصيل أبنائهم وأبناء وطنهم العلوم [٢] النافعة،

---

[١] *لم تهتم الإدارة العثمانية بشكل جدي وعميق بنشر التعليم بين أوساط السكان في البادية والريف والمدينة. لقد كتب أحد صحفيي المقتبس من المتفائلين بالاتحاديين قائلاً ((منذ أن أعلن القانون الأساسي هبت الأمة من رقادها فقامت تجد وتجتهد في جميع العناصر وتأسيس أندية ودور العلم ولم يفكر أحد منها في العرب الذين هم حالة البداوة لا يفقهون شيئاً، وأن الواجب يقتضي أن ننشلهم من هذا الجهل وأن أنجع دواء أن يرسل لهم وعاظ يعلمونهم التعليم الابتدائي)) المقتبس، العدد ٤/٣١ محرم ١٣٢٧هـ ٢٥ كانون الثاني ١٩٠٩م غير أن ما قاله خليل رفعت الحوراني يقترب من الحقيقة أكثر.*

[٢] *هناك شواهد كثيرة تحتويها أعداد جريدة المقتبس تشير إلى حالة الفساد التام التي تنتاب سياسية الإدارة العثمانية في حقل التعليم منها على سبيل المثال ما جاء في العدد ٣٤٥ تاريخ ٦ ربيع الثاني ١٣٢٨ هـ ١٦ نيسان ١٩١٠ م: ((مدرسة تبعد عن دار الحكومة أربعين متراً بنيت لما بنيت دار الحكومة منذ نحو اثنتي عشرة سنة وقد وضعت أخشاب سقفها ولم ينقصها سوى وضع القرميد وهو موجود* ←

اكتشفوا بها الكنوز الأرضية، فاغتنوا لا كما يفعل في بلادنا الدجالون والسحرة والمحتالون.

إذا تمَّ ذلك في حوران بل في البلاد العربية كافة تسعد البلاد، ويسعد أهلها، وتقوى الدولة وجنديتها، فتصبح البلاد العثمانية أغنى البلاد.

## الطرق في حوران:

حوارن أرضها سهلة مستوية، لا يكلف إصلاح طرقها كثيراً من المال، هذا في أقضية شمكسين ومركز اللواء في بصر الحريري وثلاثة طرق عجلون وقضاء القنيطرة ونصف طرق جبل حوران، أمَّا الأقسام الباقية فيه تحتاج إلى مبالغ زائدة لأنها وعرة، ومع ذلك هذا لا تحتاج إلى كثرة الجسور التي تستوجب صرف المبالغ الباهظة، هذه الطرق هي التي تمر في وسط اللجاة وفي مقرن الدروز الشمالي وقسم من المقرن المتوسط أعني ظهر الجبل، والطرق التي توصل السلط بقضاء عجلون وقضاء علجون بقضاء القنيطرة، وقضاء القنطيرة وعجلون بقضاء مرجعيون وبقضاء طبريا وبنابلس والقدس. فنفقات هذه الطرق يمكن الحصول عليها، وهو أن جميع أهل حوران بعد إتمام الإصلاح فيها حسب القانون ستدفع ما يقرب من المليون غرش باسم تكاليف العملة المكلفة، فلو صرف هذا المبلغ في عشرات من السنين بكل ضبط وأمانة ودقة تكون قرى حوران وأقضيتها ونواحيها ارتبطت بعضها ببعض حتى لنراها ارتبطت مع الأقضية والألوية التي في جوارها، فتصبح فائقة على عمران جبل لبنان جارتها مع عظمة جباله ووعورة سهوله، وهذا سيكون إذا أنعم الله عليها برجال يقومون بها لما أمر الوجدان والفن والعدل.

كما كان يفعل بحوران متصرفها السابق فوزي باشا [1]، فإنه أصلح الجسور والعبارات القديمة، وأنشأ فيها جسراً على نهر العلان وجسراً على نهر الرقاد وجسراً على نهر المزيريب وجسراً على نهر وادي الزيدي يسمى جسر

---

*في دار الحكومة فمالنا بأمر حازم يأمر فقط بوضعه فتصبح مدرسة تنصرف الهمة إلى تلقين العلوم فيها بعد أن أضحت مأوى للكلاب ومربطاً للدواب وقد أنفقت الأموال الطائلة في تشييدها))*

[1] *تسلم فوزي باشا متصرفية لواء حوران بين عامي ١٨٩٨ ت ١٩٠٤ م وقد ورد اسمه في المصادر العثمانية على النحو الثاني: إبراهيم فوزي باشا. انظر أبو الفخر، د. فندي، لواء حوران، المرجع نفسه ص ٨٥ ــ ٨٦*

المدان، وجسراً على نهر الهرير وعبّارات عديدة. فبواسطة هذه الجسور والعبارات اتصلت أقضية حوران بعضها ببعض، بل قراها، وهان النقل والسفر بواسطتهما خصوصاً أيام الشتاء فلو بقي سنين أخر لأتم ما بقي في مدة وجيزة، ولكن استبداد الناظم [1] باشا ولظلمه دعاه إلى ترك الحياة قهراً. هذه أثاره، فكل من رآها ومر من فوقها يذكره بالخير وخدمة الوطن، أمَّا الناظم فكل من وقف على أعماله الحقيقية يرى أن التأخر في حوران والأحوال الحاضرة هي أثره، فيذكر فيما يستحق ذكره.

جاء إلى حوران قائمقامون متصرفون كثيرون قبل المرحوم فوزي باشا بعده، فلم نرى أحداً منهم قام بأمور عمرانية ولم يفكروا في غير مصلحتهم الذاتية. لهذا نقول رحم الله ذاك المصلح، ويّسر لحوران رجال أمثاله وهذا على الله ليس بعزيز، فالذين تركوا آثاراً في حوران يذكرون بها هما اثنان: سنان باشا وفوزي باشا فكان فوزي باشا يقف على عمارة الجسور بنفسه ليالي وأياماً، وهو يقاسي البرد والحر، وصرف من رابته قسماً وافياً، وضمها إلى العمارة هو وبعض الحوارنة محبي الخير أهل الحمية.

## أرض حوران وتربتها[2]:

تربة أرض حوران [3] جيدة خصبة، فهي تعطي المحصول من دون أن

---

[1] *بالغ خليل رفعت الحوراني في تفاؤله بالدستور والاتحاديين وفي المقتبس نفسها الكثير من المقالات التي لا تشاطره أراءه منها مثلاً ((..فهل يصدق الأهالي بأننا انتقلنا من عهد العدل بمجرد قولنا ليحيى الدستور دون أن نريهم العدل الحقيقي؟ وهل تجدي الأقوال بلا أفعال يا أولياء الأمور؟)) المقتبس، العدد ٤٠٦ الأحد ١٨ جمادى الآخرة ١٣٢٨ هـ ٢٦ حزيران ١٩١٠*

[2] *المقتبس، العدد ٤٨٤ الاثنين ٢٢ رمضان ١٣٢٨ هـ ٢٦ / أيلول ١٩١٠*

[3] *حوران بلاد الحبوب والحنطة وسكانها لا يعرفون غير فلاحة الأرض، صناعة إلا ما لا أهمية له مثل نحت حجارة الرحى من الصخر الأسود الأصم وما لا غنى لهم عنه مثل نسج الصوف بسطاً وخيماً، فثروة حوران إذن في تربها وأنها لتغل ذهباً أو أتقنت فلاحتها على الصناعة المستحدثة بيد أنها لم تزل على عهد الفطرة الأولية، يحرثون الأرض على الثيران وأحياناً على الخيل والحمير فيشقون الأرض بل يخدشونها تخديشاً بسكة لا تبلغ من الأرض أكثر من بضعة أصابع لولا خصب الأرض وجودتها لما أنتجت لهم شيئاً وهي إلى اليوم غير مقسومة على أصحابها في كثير من القرى قسمة نهائية بل إنها بينهم مشاعة يتوزعونها مدة بعد مدة ولذلك لا يعنون بتسويتها وتمهيدها وتنقيتها من الحجارة ودفنها، ولولا جودة أصلها كما تقدم لأصبحت قاحلة ماحلة. على أن الفلاح لا يكاد ينقطع عن الشغل يوماً واحداً فإنه يبتدئ بحراثتها وزراعتها من تشارين فينتهي في كوانين وحينئذ يأخذ بفلاحه ←*

تسقى بالماء، فتكتفي بماء المطر خلا أرض الغور والأودية العميقة فإنها لا تعطي المحصول إلا بإسقائها الماء.

أرض الأودية قليلة، أمَّا أرض الغور فواسعة رملية، ولشدة حرارة الغور فإن الفلاحين الموجودين فيه قلائل لنسبة أرضه الواسعة، أمَّا الأنهار التي تسيل فتنحدر عليه، وبعد أن تمر منه تجتمع بالشريعة المارة من وسطه، فهذه الأنهر أعلى من أرضه كلها، فلو فتح لها جداول وأقنية لحييت أراضيه التي تبلغ الملايين من الدونمات، فيغرس فيه أنواع الأشجار التي تعيش بالماء والرمل والحر، كالنخيل والرمان والليمون وأضرابه، فإذا غرست فيه الأشجار قلت حرارته، وجاد هواؤه، فحينئذ ينتفع به بنو الإنسان والأمة والوطن والدولة.

أمَّا أرض الجولان وأرض الجيدور والمقرن الشمالي من جبل حوران (الدروز) والأراضي الواقعة في ذروة الجبل ووسطه فهي في السنة التي يكون مطرها زائداً يغرق محصولها، وإذا قل المطر عليها يزيد محصولها.

أمَّا أراضي الزيدي وأرض وادي الذهب أعني أراضي حوران المتوسطة القبلية هي بعكس ذلك. إذا زاد المطر عليها يأتي الفدان في السنة الواحدة من الحبوب (١٠٠٠ إلى ١٥٠٠مد) وإذا قل المطر عنها يأتي محصولها من (٣٠٠ إلى ٥٠٠ مد)، والأنهار التي ذكرناها هي دائمة الجريان في الفصول الأربعة، تذهب مياهها، لا يستفيد منها أهل القرى الذين تمر من أرض سوى إسقاء مواشيهم وشربهم منها، هذا وهي تجري على وجه الأرض بل هي مرتفعة عن جميع الأرض التي تمر فيها.

فلو اعتنى أهل القرى بتقسيمها جداول وأقنية لزرعوا بمائها بساتين مختلفة ألوانها وأشجار منوعة أجناسها وغياضاً ورياضاً ثمينة مغلة. وقتئذ تفوق قرى حوارن ببقاعها الشجراء قرى وادي بردى والغوطة والمرج، كما تفوقها

---

*القسم الذي تبقى بغير زرع ليرتاح إلى السنة القادمة. ولا ينفك الحواري يتعب فيه ويعيد فلاحته إلى أوان الحصاد في أيار. وهناك الشغل الحثيث والتعب الجزيل.. ثمَّ يدرس الحب بالدواب والنورج ويذريه في تموز وآب ويجمع حبوبه ويذهب بها إلى التجار إن لم يسبق التاجر ويأتي فيقف على البيدر ليستوفي ديونه أو رباها الذي قد يتجاوز العشرين والخمسين في المئة، وبسبب ذلك كثير من الفلاحين الذين تدر أرضهم حنطة لا يكادون يذوقون طعمها بل يأكلون الذرة والشعير خبزاً. المسرة، المصدر نفسه، ٣٦٧*

بمحصول الحبوب، لأنَّ قوة أرضها وجودة هوائها تدل عليهما وآثارها الموجودة اليوم تدلنا على أنها كانت شجراء لأننا نرى فيها آثار معاصر الزيتون والعنب وغيرها.

فإذا نظرنا إلى فن الزراعة، يقول لنا أن تربة حوران تنبت الحبوب والأشجار على اختلاف أنواعها وأشكالها وأجناسها، ولو زرع فيها شجر التوت لفاق فيها محصول الحرير على بيروت وبورسة لبنان

## تاريخ حوران

كانت هذه الكورة تدعى ما وراء الأردن وعبر الأردن، ولما استولى عليها الآشوريون والكلدانيون جرى عليها كثير من التخريب، ولما بسط المقدونيون والرومان بعد الاسكندر سلطانهم عليها كانت في عمران يقابل استعدادها الطبيعي، ففي تلك الأيام بنيت فيها أكثر المدن الموجودة اليوم آثارها، وكانت الأورام يسمونها (أوانتيس) غلطاً وهي مقسمة لعدة أقسام.

وقاعدة هذه الكورة من قبل الفتوحات الإسلامية مدينة بصرى المعروفة اليوم (بصرى اسكي شام) الموجودة آثار عمرانها وعظمتها إلى عهدنا هذا، ففتح المسلمون أعظم ربوع الكورة الحورانية صلحاً.

وقد كانت في أوائل الإسلام عامرة لا كما يزعم بعض كتاب أوروبا: أنها خربت على عهد الفتح الإسلامي، بل خربها مهاجمة جيوش التتر وتيمور وأهل الصليب وملوك الطوائف المتوحشة، وما برحت منذ ذاك العهد إلى يومنا فريسة البدو السيارة لهذا لم تنل حظها من العمران الأول، خلا جبل الدروز وجبل عجلون والقسم الغربي من قضاء عجلون فإن هؤلاء منذ أعوام وهم يحمون قراهم وأنفسهم وأموالهم من فريسة البدو.

ليس في حوران اليوم من مدنها القديمة عامرة كما كانت، فلم يبق سوى آثارها، وإن مركز الأقضية واللواء والنواحي في القرى لم يتغير سوى في هذه الآونة، إذ انتقل مركز اللواء إلى قصبة درعا الوقعة على نقطة الاتصال بين سورية وفلسطين والحجاز

كانت الحكومة عندما بدأت بالتنظيم الإداري في حوران اتخذت بصرى اسكي شام مركزاً للواء وللقوة العسكرية معاً، ثمَّ نقلته إلى الصنمين، ثمَّ إلى

المزيريب، ثمَّ إلى شيخ سعد، ثمَّ إلى شمكسين، ثمَّ في هذه الآونة نقل إلى درعا.

مدن حورن القديمة وآثارها:

## ١ ـ بصرى ـ بصرى اسكي الشام ـ

هي من مدنها القديمة، واقعة في الجنوب من الكورة الحورانية، تبعد عن دمشق ٩٠ كيلوا متراً من الجهة القبلية الشرقية، وعن القدس ١٣٠ كيلو متراً من الجهة الشمالية الشرقية، موقعها في البرية أعني الصحراء، وكانت مدينة عامرة جسيمة حصينة مهمة مركزاً للخطة نفسها مدة أربعة آلاف سنة وهذه المدينة كانت لها مكانة وافرة عند الرومانيين القدماء، فوجدوا فيها آثار معابد جسمية وثنية.

وكذلك كانت بعد الميلاد من المراكز النصرانية، وفيها صومعة تنسب للراهب بحيرة مازالت جدرانها قائمة إلى الآن، وفي سنة ثلاثة عشرة للهجرة فتح حوران خالد بن الوليد وأقام بها عمر بن الخطاب رضي الله عنه جامعاً، وبنى المسلمون فيها مساجد ومحال للخير وقلعة فيها اتسعت وازدانت ثمَّ خربتها الزلازل والحروب المتوالية في القرون الوسطى أثناء مهاجمة الأمم التترية والتيمورية وأهل الصليب وطوائف الملوك. ومن جملة آثارها القديمة قلعة قديمة محاطة بخندق عمقه ٢٠ وعرضه ٢٠ ذراعاً، كان أهلها السابقون يملؤنه ماء ليكون جاهزاً بينهم وبين من عاداهم، وبناؤها من الحجر الأسود مبني خمس طباق، وفيها بئر ماء قطره يقرب من ٢٠٠٠ ذراع وعمقه عشرون ذراعاً، وفيه ٧٥ عموداً من الحجر الأسود يقوم سقفه عليها المبنى فوقه ثلاث طبقات، وفي جهة من القاعة ملعب يسع ٢٠٠٠ نفس شكله نصف دائرة ومحل العقود فيه درجة فوق درجة، تبتدئ من أرض طبقة القلعة الثالثة فتنتهي بأعلى بناء الطبقة الرابعة، والقاعة مبنية، عند سور بصرى. ونرى مثل هذا في آثار مدينة جرش، وآخر في مدينة عمان، تدل الآثار أن بناء بصرى كان أربع طباق من الحجر الأسود النحيت، وأنه كانت فيه أبنية عظيمة، منها قصور وأواوين مبنية على عمدان من الحجر الأسود طول القاعدة منها ٣٠ ذراعاً وثخنها عشرة أذرع وبين كل عمودين (٥) أذرع والقصور والأواوين والقاعات والغرف قائمة فوق تلك الأعمدة يحسبها من يراها من بعيد أنها قائمة في الهواء. وقد جلب أصحاب هذه المباني لها ماء من جبل حوران على مسافة خمس ساعات بقساطل فاستفادوا من ارتفاع منبعها، فحصروها حتى صبت في

أحواض القصور والقاعات والغرف المذكورة.

وكانت دورها وسبلها مرصوفة بالحجر الأسود كمنشية اسكندرية لاكسبل مدينة دمشق اليوم. فيها آثار طرق التجارة، طريق منها يربطها بصرخد، ثمَّ ينتهي بولاية البصرة في العراق هذا من الجهة الشرقية، ثمَّ هذا الطريق يمتد غرباً فيمر في درعا، ثمَّ إربد وينتهي بالبلاد الفلسطينية والمصرية ومن الجهة القبلية طريق يمر في خربة أم الجمال ثمَّ في الزرقا ثمَّ في ضبعة والقطرانة ثمَّ بمعان إلى أن ينتهي إلى المدينة المنورة ومكة المكرمة، ومن الجهة الشمالية طريق يمر في السويداء ثمَّ في عاهرة، ومنها يتوسط منتصف اللجاة، فينتهي بدمشق، وآثار هذه الطرق لا تزال موجودة.

وقد عمر المسلمون فيها المحل الذي نزل فيه فيما يقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجداً، فمنذ نصف قرن أرسل خديوي مصر ولداً ليدرس أحوال عربان البادية، فبينما هو ضيف عند الرولة توفي فنقلوا جثته حسب وصية أبيه إلى بصرى، فدفن في مبرك الناقة، وبعد أن ضبطها المسلمون عمروا بقلعتها، والدليل على ذلك النقوش الموجودة اليوم على بروج القلعة بالحروف العربية التي لا تزال موجودة وهي: بسم الله الرحمن الرحيم أمر بعمارة البرج المبارك مولانا الملك العادل سيف الدنيا والدين قامع الكفرة والمشركين ملك الحرمين الشريفين وبيت المقدس والشام ومصر واليمن أبو بكر أيوب خليل المؤمنين أمير الرشادين الملك العادل تمت عمارته في جمادى الآخرة سنة ٦١٠ هجرية.

وبسم الله الرحمن الرحيم عز مولانا السلطان السيد الأجل الملك العادل نجم الدنيا والدين أبو المظفر أيوب[1]بن الملك محمد بن أبي بكر أيوب سلطان الإسلام والمسلمين، قامع الكفرة والمشركين، محب العدل في العالمين، منصف المظلومين من الظالمين، سلطان العرب والعجم، صاحب الحرمين الشريفين، ملك البرين والبحرين، ملك الهند والسند واليمن، ملك صنعا وزبيد وعدن، سيد ملوك العرب والعجم، سلطان المشارق والمغارب، الملك الأعز نجم الدنيا والدين أدام الله أيامه بالهنا والسرور، وإني توسلت بمحمد وآله وحسبنا الله ونعم الوكيل وعما في ولاية الأمير الأجل شجاع الدين عنبر الصالحي ٦٤٧ هجرية.

وبسم الله الرحمن الرحيم مر بعمارة هذا البرج مولانا السلطان الملك

---

[1] *المقتبس ، العدد ٤٨٧ الخميس ٢٥ رمضان ١٣٢٨ هـ ٢٩ أيلول ١٩١٠*

الناصر العادل العالم المؤيد بالمصطفى المنصور صلاح الدنيا والدين وسلطان الإسلام والمسلمين قامع الخوارج منصف المظلومين من الظالمين خليل المؤمنين الشهيد الملك العزيز محمد بن الشهيد الملك الطاهر غازي ابن الشهيد الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب منقذ بيت المقدس من أيدي المشركين، تغمدهم الله برحمته سنة ٦٤٧ هجرية في ولاية الفقير إلى رحمة الله في الدارين ياقوت الملكي الناصري دام عزه. وأمر بعمارة هذا البرج مولانا الملك العادل المجاهد المؤيد من سلطان المسلمين أبو بكر بن أيوب خليل المؤمنين الفقير الدنيا والدين الملك العادل المؤيد المجاهد تمت عمارته في سنة ٦١٦

وبعد أن كتب على زوايا البرج على الأولى (الملك الله) وعلى الثانية (الواحد القهار) جاء قوله بسم الله الرحمن الرحيم هذا برج الناظر المعمور في أيام مولانا الملك العادل المجاهد سيف الدنيا والدين أبو بكر بن أيوب، وأيام ولده الملك المعظم شرف الدنيا والدين عيسى أدام الله نصرهما سنقر المظفر التكني الوالي يومئذ بمحروسة بصرى وابتدأ في تأسيسه في مستهل سنة تسع وتسعين وخمسمائة هجرية بناية إبراهيم بن علي بن فهيد.

هذا ما جاء في التواريخ عن حال بصرى القديم، أمَّا حالتها الحاضرة ففيها ما يقرب من ٣٠٠ دار من الحوارنة وهم ثلاثة عيال بنو المقداد، وبنو حميد، والصلاخدة، كانوا في الزمن القديم في صرخد، فلما نزحوا منها سكنها بعدهم دروز جبل حوران. دور بصرى أنشأها الحوارنة فوق الأنقاض الأصلية أعني فوق أنقاض أربع طباق وأجدر بعمارة هذه الدور بأن تدعى مغاور وكهوفاً، أمَّا بصرى اليوم فهي مركز ناحية فيها ٥٠ دكاناً لتجار من دمشق، يبيعون فيها مال القبان واللباس الحوراني، وليس فيها حمام ولا فرن ولا فندق لأنَّ الحوارنة عامة يضيفون بعضهم بعضاً، وفي كل دار من قرى حوران غرفة مخصصة للضيوف غربياً كان أو حورانياً، ومن أي ملة أو قوم أو إقليم كان، فهم يضيفونه ويكرمونه حسب عادتهم، ولا يأخذون منه شيئاً ولو قام عندهم أياماً عديدة.

إن الاستبداد والظلم والبغي هو الذي أدى ببصرى من النور إلى الظلمات ومن العمران إلى الخراب، أمَّا اليوم فقد مات الاستبداد بهمة رجالنا الأحرار فلا يمضي نصف قرن على بصرى إلا وتعود إلى عمرانها ومكانتها ومجدها الذي سلف، ولنا كلمة نقولها لحضرة سامي باشا الفاروقي وهو عندما يشرف على

بصرى نرجو أن يشاهد جامع جده العمري الذي لا تزال جدرانه باقية إلى يومنا هذا بلا سقف فأملي وطيد بحضرته عندما يراه أن يأمر وجوه أهل بصرى وتجارها ويحرك حميتهم لسقفه، وتنظيف داخله، فيعمر لأنَّ بصرى في حاجة لهذا الجامع العمري. يعمل أهل بصرى كلهم في الفلاحة، وكلهم مسلمون سنية، وليس فيها مدارس البتة حتى ولا مدرسة ابتدائية مفيدة، وقد أسس في هذه الآونة شعب للبريد والبرق

## جرش[1]

وهي أشهر مدن حوران القديمة، واقعة شرقي جبل السواد في البلقاء في حوران، وهي عريقة بالقدم في آثارها العظيمة الخالدة، وكانت تعد من المدن العشر الفلسطينية

((دوقالبيس)) وآثارها الموجودة والمستور في التراب منها ينبئنا بقدمها وعمرانها وغنى أهلها السالفين ومعارفهم، أمَّا موقعها الطبيعي فيزيدها مجداً لأنَّها محاطة بالغابات وفيها نبع ماء جار، وبناياتها الجسمية الحجرية وجسامة بناء معابدها وقصورها ودورها ومسارحها وأواوينها فيها شاهدة على مجدها وعمرانها القديم.

أمَّا اليوم، فقد خربت، فنزلها خمسون عائلة من مهاجري الجراكسة، فعمروا فيها خمسين داراً تشبه دور بصرى، وفيها دكانة لتجار دمشق يبيعون الجراكسة والعربان الثياب ومال القبان، ويتعاطى ساكنوها من الجراكسة الفلاحة، وبعضهم يصنع دواليب خشبية من الغابات لمركبات البقر فيبيعونها إلى جراكسة عمان والقنيطرة وليس فيها مدرسة ابتدائية مفيدة.

أمَّا جرش، فشهيرة بآثارها القديمة، وقد أجرى فيها بعض الألمانيين حفريات مراراً عديدة وقد أصبحت أكثر أنقاض جرش تحت التراب لطول الزمان وتطاول الدهور.

---

[1] *يبدو أن خليل رفعت الحوراني استعان بياقوت الحموي ومعجمه الشهير بـ (معجم البلدان) وهي تنسب لرجل يدعى جرش بن عبد الله بن عليم بن جناب بن هُبل بن عبد الله بن كنانه بن عوف الحموي ياقوت، معجم البلدان ـ المصدر نفسه، السفر الثالث، القسم الأول ص ٢٧٤*

## السويداء

هي أعظم قرية في جبل الدروز فيها ٥٠٠ دار سكانها دروز ومسلمون ومسيحيون أهلها يتعاطون الفلاحة، ومنذ عشر سنين سلك بعضهم طريق التجارة، وفيها ٣٠ دكاناً أصحابها من أهلها، وهي اليوم أم قرى دروز حوران، وفيها قلعة عسكرية أنشأتها الحكومة منذ خمس عشرة سنة. موقعها الطبيعي في حضيض الجبل، وهواؤها وماؤها جيدان، ودفنتها جسيمة، ولكن ليس فيها من الآثار القديمة ما يذكر سوى آثار قصر موجود من شماليها على كتف واديها، يقولون له الدبيس وأظن أنه كان معبداً. وفيها كروم عنب تعطي محصولاً جيداً، وأصحاب العنب يجلبونه إلى قرى الحورانة فيقايضونه معهم بالحبوب

## مكيس: (أم قيس)

وهي واقعة في منتهى قضاء عجلون من جهة الغرب ناظرة إلى الغور وفلسطين، ولها مكان في التاريخ تشهد لذلك معابدها التي يزوروها كل سنة السياح من أوروبا.

## بيت راس:

هي في قضاء عجلون من الجهة الغربية يزورها السواح بعض السنين.

## الصنمين:

واقعة على السكة الحديدة في قضاء شمكسين في ناحية غباغب، وتدل آثارها على أنها كانت عامرة بل كانت مختصة بالمعابد.

## إزرع:

واقعة في كنف اللجاة، وتدل آثارها على أنها كانت عريقة بالعمران، وربع سكانها نصارى والباقي مسلمون، فهي من أعمال قضاء بصر الحريري.

## قنوات:

هي من الجهة الشمالية من السويداء، وسكانها ٣٠ داراً كلهم من الدروز يسكن فيها رئيس رؤساء الدروز الروحانيين أي شيخ مشايخ العقل في حوران، وهو اليوم أحمد الهجري، وفيها آثار معبد تدل نظافة حجاره وبنائه وحسن

صنعه على عظم شأنه، فهو اليوم خراب وفيه آثار ملعب ليس في درجة ملاعب بصرى وجرش وعمان.

وموقع قنوات الطبيعي جيد، وهواؤه معتدل، لأنها مزدانة بالحراج مرتفعة تشرف على القسم الشمالي الغربي من الجبل، ومناظرها الطبيعية طيبة، فمتى بسط العدل والأمن في جبل حوران رواقهما يفضل الإقامة فيها لتنشيط النفس، فتكون مصيفاً، ومن رآها من المصطافين فضلها على جبل لبنان، وهي والقرى التي في حضيض حواليها مثل قرية سالة وميامس والسهوتين والسويداء والكفر وحبران.

## شهبا[1]:

واقعة في قضاء عاهرة[2]، تدل آثارها على أنها كانت عامرة في السنين

---

[1] *بالقرب من شهبا في الجبل يرى المسافر على طريقه جبلاً اسمه غرارة وهو في الحقيقية أشبه بكومة قمح كله من تراب ليس فيه ضرس صخرة خلافاً لما حوله من الجبال وبإزانة أكمة أخرى تشبه الجمل، وفي أساطير العرب هناك أن فرعون أمر فجمعوا له من حوران كمية وافرة من الحنطة لكعام فعلته الذين يشتغلون في الكرك ثمَّ أرسل إليهم جملاً عظيماً ليحمل إليه المبرة قيل وحول الله الجمل جبلاً وكومة الحنطة تلاً من التراب. ذلك لا شك فيه بسبب دعاء أحد مشايخ تلك البلاد وقتئذ. المسرة، المصدر نفسه، ص ٣٧٠ علماً أن تل شيحان (الغرارة) يقع ضمن فوهة البركان الذي تشكل منه الجبل.*

[2] *هيئة الحكومة في حوران. حوران متصرفية تابعة لولاية سوريا ومركزها اليوم في درعا وكان قبلاً في شمكسين أمَّا الأقضية التابعة لها فستة، ثلاثة في الجبل وهي السويداء وعاهرة/ عريقة اليوم/ وصلخد وثلاثه في النقرة وهي شمكسين وبصرى الحرير وعجلون في أربد. يقال أن الحكومة الجليلة ستقسم حوران إلى متصرفيتين الأولى يكون مركزها في السويداء ويتبعها أربع قائمقاميات في صلخد وعاهرة وبصرى الحرير وقائمقامية شمكسين وعجلون والقنيطرة وإليك بيان عدد العسكر الذين أخذتهم الحكومة السنية من حوران على أثر هذه الحملة الأخيرة، حملة سامي باشا ١٩١٠ م وهم الواقعون في الأسنان العسكرية ما بين سنتي ١٣٠٠ و ١٣٠٦ هـ ١٤٠٠ من جبل الدروز بينهم ١٠٠ من المسيحيين ١٢٠٠ من جبل عجلون وهم ثلثان من الإسلام وثلث من المسيحيين. كما جاء في المسرة: إن في نية الحكومة أن تجري عدة إصلاحات جزيلة الفائدة جداً منها: إنشاء مكاتب تعليم الأولاد ـ تصليح الطرقات وفتح غيرها من جملتها سكة حديدية من المفرق وعند درعا إلى بصرى اسكي شام وأربع طرق كبرى قد تمَّ تخطيط اثنتين منها بين درعا واسكي شام وجرش والقنيطرة وتنشيط الزراعة وإنشاء مكتب زراعي (مدرسة زراعية، تأسيس شعب لمصرف مالي يقرض الأهليين لوازمهم المالية بطرق حسنة ـ ثمَّ تنظيم المحاكم وبناء محلات لآلاف الجنود الشاهانية في عمان وبصرى ودرعا وتحضير عرب البادية، المسرة، المصدر نفسه، ص ١٧٦ ـ ١٧٧*

الغابرة، وفيها آثار تدل على أنه كان لها حرات واسعة وجواد متسعة، وإن الطريق الذي بين بصرى ودمشق يجتازها، وسكانها اليوم ١٢٠ داراً كلهم من الدروز، وفيها يحيى عامر بن أبي هلال عامر كان يبث روح الشقاء والعداء على الحكومة، فلهذا ترى بعض دروز حوران يحبونه من فرط جهلهم كما يحبون قفطان العزام.

## درعا [١]:

في نقرة حوران على وادي الزيدي محيط بها الوادي من الجهة الشمالية بنصف دائرة، فيها جسر قديم ما برحت آثاره إلى الآن يفيد المارة عندما يسيل الوادي في موسم الشتاء، وفيه آثار قناة كانت تسيل فيها إلى درعا من منبعها.

أمَّا الآن فلم يبقَ سوى قساطلها مكسرة وبعضها تحت التراب مطمورة، وتستقي درعا الآن من آبار واقعة في سفح وادي الزيدي عمقها من ٥ أذرع إلى ١٠ أذرع فيها نبع يمتاحونه منها بالدلاء، فيشربون ويسقون مواشيهم منه.

وليس في درعا أثر قديم يذكر، وكانت مركز قضاء فأصبحت مركز لواء حوران وذلك لأنها تحسنت بمرور السكة الحديدية الحجازية لأنها على نقطة اجتماع سكة حيفا والمدينة المنورة ودمشق وبسببها اصبح فيها مخازن لتجارة الحبوب والمتاع ودكاكين عديدة للتجارة وفنادق للنوم والأكل وفرن الخبز، وهي سائرة نحو المدينة بعد اليوم وأهل درعا كلهم مسلمون سنة.

## نوى:

في منتصف بلاد الجيدور، وهي أعظم قرى حوران كافة بدورها وعدد نفوسها. وليس فيها من الآثار ما يدلنا على درجة عمرانها في الزمن الغابر سوى مرقد يقال عنه مرقد النووي الشهير بعد أن خرج من دمشق إليها كما رواه بعض المؤرخين، وفي قبليها قرية صغيرة أسست على مياه تدعى بالشيخ سعد، فيها مقام النبي أيوب عليه السلام ويقال أنها وقف لمقامه، وأهل نوى وأهل الشيخ سعد كلهم مسلمون سنة

---

[١] *المقتبس، العدد ٤٨٨ السبت ٢٧ رمضان ١٣٢٨ هـ تشرين الأول ١٩١٠*

## بصر الحريري:

مركز قضاء بهذا الاسم، واقعة في طرف اللجاه القبلي، فيها قلعة للجنود العثمانية بنتها الحكومة العثمانية حديثاً، فيها قبر النبي اليسع عليه السلام، وليس فيها آثار تدل على أنها عامرة، ولها شأن في القرون الغابرة، وأهلها مسلمون سنيون، ويقال أنها مرقد الحريري.

## جاسم:

هي في شمال نوى مركز ناحية الجيدور، وليس فيها أثر قديم يذكر، وقد ذكر بعض المؤرخين أنها مسقط رأس الشاعر العربي الشهير أبي تمام حبيب الطائي صاحب كتاب الحماسة وكتاب الاختبارات وكتاب فحول الشعراء.

**أعوام وصلٍ كادَ ينسى طيبها ذكر النوى فكأنها أيام**

**ثمَّ انبرت أيام هجر أردفت نحوي أسى فكأنها أعوام**

**ثمَّ انقضت تلك السنون وأهلها فكأنها وكأنهم أحلام**

## صرخد:

واقعة في الجهة القبلية من جبل حوران، فهي بعد السويداء أهم قرية في الجبل عامة، ومركز قضاء صرخد وقراه سكانها دروز، وفيها ٣٠٠ دار نزلها الدروز منذ خمسين سنة، وكان يسكنها الحورانة قبلهم، ويقال لسكانها الصلاخدة والأولى أن يقال الصراخدة. وها هم اليوم في قرى الحوارنة لا يقلون عن ٣٠٠ دار، أمَّا سكن الصراخدة فيها فكان منذ القديم لأنهم تركوها من تعدي البدو، فبقيت خراباً إلى أن سَكَنَها الدروز، وفيها قلعة قديمة آثارها وصورة بناها تدل على قوة من أنشأها وسطوته وغناه. وهاأنذا (هأنذا) أبين موقعها الطبيعي ولو طال المقام.

دور صرخد على سفح وحضيض جبل بعضها فوق بعض، فتنتهي الدور قبل أن تصل إلى ذروة الجبل (١٥٠٠) ذراع، فبانيها قد حفر رأس الجبل، ورمى حجارة وتراباً على دائرة الجبل المرتفع عنها، مساحة محيطها تقرب من ٤٠٠٠ ذراع وترك عرض ١٠ أذرع خندقاً لها. وبنايتها في لب الجبل على خمس طباق من الحجر الأسود الأصم النظيف، وقد أنشأ من عمرّها في لبها

بئر ماء عظيم، وما زالت الماء توجد فيه، فهي لارتفاعها يراها أهل عجلون وأهل نابلس وأهل القنيطرة وبلاد حوران كافة. وموقعها وصورة إنشائها أهم وأحصن من قلعة الشهباء الشهيرة إلا أنها أصغر منها حجماً، ولكنها أبلغ منها رواء وبناء وحصانة وهندسة، وهذه القاعة لا تزال عامرة فيها ثلاث طبقات سوى الطبقة الرابعة خربها دروز صرخد، وأخذوا حجارتها، فعمروا بها دورهم. ففي ترك هذه القلعة، وتعمير ثكنة للجند في صرخد في محل منحط أكثر من دور صرخد برمتها يفيد نابل يثبت لنا والي سورية السابق ناظم باشا وكيل القائد السابق إسماعيل حقي باشا على هذه البلاد جناية تقشعر منها الأبدان الصادقة للوطن والأمة والإنسانية لأنَّ إنشاءها مخالف للقوانين الجندية والملكية والإدارية وللعقل والحكمة مضرَّ بمنافع الحكومة

## عرمان:

وفي الشرق من صرخد قرية تدعى عرمان، فيها ١٥٠ داراً، وأهل هذه القرية هم الذين قتلوا من فرسان الدرك ٥٠ رجلاً وهم ضيوف[1]عندهم غدراً وهم في مضايفهم.

نعم إن أهل هذه القرية مع الدروز عامة في حوران هم الذين قتلوا ٨٠٠ نفر من التابورين اللذين ساقتهما الحكومة لتأديبها لقتلهم الخمسين فارساً من الدرك، وقتلوا مع فرسان الدرك البيكباشي عبده أفندي جبولية والمجير محمد بك الجركس أيام كانت صرخد مركز ناحية وقتلوا مع الجند جميع الهيئة الحربية وقواد التابورين الأمير الاي أيوب بك والقائمقام محمد علي بك بخدة درزي اسمه سليم الجارية (الجاري) كان في الدرك فرقهم عند الجند حتى دخلت الدروز بينهم وبين القوة ففعلوا بالجميع ما فعلوا بموقع وعريقال له (العيون) فبعض الدروز بعد أن سلم بقية التابورين لهم أخذوا عدة رجال لقريته فذبحهم واحداً بعد واحد ومن جملة من فعل هذا الفعل الشنيع هم عائلة العبد الله في قرية حوط وعائلة الحجلة في قرية صرخد فهم إسماعيل ويوسف الحجلة

---

[1] *جاءت هذه القوة لإلقاء القبض على عدد من قيادات الانتفاضة في الجزء الجنوبي من الجبل على مظالم الإدارة العثمانية، انظر: أبو فخر، فندي (تاريخ لواء) حوران، المرجع نفسه ص ٢٦٩ وجريدة المقتبس، العدد ٦٤٦ السبت ٧ شوال ١١٢٨ هـ م ٤/٧ / ١٩١١م ومن الجدير بالذكر أن استمرار مقاومة الفلاحين للقوات العسكرية العثمانية التي كانت تحاول قمع الفلاحين، أدى إلى قتل الكثير من الجنود العثمانيين في المعارك الذين لم يقصدوا الجبل ضيوفًا مسالمين بل مدججين بالسلاح.*

والعبد الله الأطرش وإخوانه وأبوه بعد أن فعل أهل عرمان والدروز بالدرك والجند ما ذكرنا ساقت عليهم الحكومة قوة عظيمة في تلك الأيام أي سنة ١٣١١ فنفت بعض الدروز واكتفت بالنفي ولم تضرب على يد واحدة من أهل عرمان الذين أزهقوا ألف روح من الجند وأمرائه هكذا كانت إدارة رجال الاستبداد فنلفت نظر قائد الحملة سامي باشا الفاروقي وما كان يفعله رجالها رجال عبد الحميد ألا لعنة الله على المستبدين الخائنين أجمعين.

## القنيطرة [١]:

مركز قضاء سكانها جراكسة فيها ٢٥٠ داراً وفيها ٧٠ دكاناً لتجار من الدماشقة، وليس فيها شيء من الآثار القديمة يذكر، والطريق بينها وبين دمشق عمرت نصفه النافعة والباقي لا يزال على حاله، ولكن سمعنا أنه تقرر لديها إتمامه.

ففي كل قرى حوران وخربها آثار تدلنا على أنها كانت عامرة في القرون الأولى والوسطى، وهي من الحروف الكلدانية والحروف الرومانية والحروف العربية القديمة والحديثة ولا تزال منقوشة على جدران كل قرية وخربة منها، وأنه يوجد في كل قرية وخربة جامع بناه المسلمون، ولا سيما في قرى الدروز وأكثرها جوامع عمرية، ولا يزال في كل جامع محرابه وترتيبه القديم فهذا أكبر شاهد على أن قرى حوران كانت في العمران الذي ذكره لنا التاريخ.

## الحراج والغابات في حوران:

**الحراج في حوران** [٢]: كان واحد في قضاء القنيطرة أعنى في منتصف الجولان والثاني في جبل حوران والثالث في قضاء عجلون.

---

[١] *المقتبس، العدد ٤٨٩ الأحد ٢٨ رمضان ١٣٢٨ هـ ٢ تشرين الأول ١٩١٠م*

[٢] *في حوران غابات شجر كثيفة تسكو الجبال إلا أنه اليوم لم يبق منها إلا اثر قليل من البطم في اللجا وعما قليل سيضمحل. فإن الحطابين على كثرتهم هناك يعملون فيه الحديد والنار بغير مسيطر ولا وازع. أمَّا شجر الفاكهة فعزيز في حوران تجد منه القليل لا سيما في الجبل كالمشمش والرمان واللوز والتين والعنب وأقل منه البقول والخضرة. وكيف تقوم المزارع وتغرس الجنائن في بلاد قل ماؤها وذهب أمانها.*

*المسرة، المصدر نفسه، ص ٣٧٢ ــ ٣٧٣*

## الحرج في القنيطرة.

هذا الحرج كان فيه الأشجار الوافرة حتى جاء مهاجرو التركمان، وبعدهم مهاجرو الجراكسة إلى قضاء القنيطرة، فبنوا قرى الجولان، وسكنوها، فمن تلك الأيام بدأ العربان وإياهم يحتطبون الشجر بلا قاعدة، ويحرقونه للفحم حتى في هذه الأيام كان أغلب فحم دمشق من ذلك الحرج، وهذا قبل إنشاء السكك الحديدية في حوران ولقربه عن دمشق مسافة ١٢ ساعة وإن مسافة حراج عجلون عنها ٣٦ ساعة فلقرب المسافة كان فحم دمشق منحصراً فيه ــ والاعتبار بالمسافة مشي الإبل الجمالة ــ بعد أن عمرت قرى التركمان والجراكسة، وأدرك فوائد الزراعة عرب النعيمات وعرب الفضل، فتسابقوا جميعاً إلى الغابة، فأحرقوا أشجارها، وقلعوا جذوعها وأخرجوا أراضي يفلحونها، فلم يمض على الحراج عدة سنين حتى أصبح كله أرضاً زراعية فلاحة ليس فيها شجرة [1] ولم يبق من ذلك الحرج الجسيم إلا قطعة صغيرة في منتهاه من الجهة القبلية في أرض إربد من قطاع عجلون، وبسبب بقائها في موقعها الطبيعي لأنها بعيدة عن قرى الجراكسة والتركمان والعربان المذكورة، وبينها وبينهم أودية واسعة عميقة صعبة المرور، هذه القطعة أيضاً يكاد لم يبق فيها شجرة لأنَّ أهل القرى المجاورة لها من قضاء عجلون آخذون بقطعها للانتفاع بأرضها، فلا يمضي عليها بعض سنين حتى لا يبقى فيها شجرة فتصبح أرض فلاحة وزراعة، وموقع هذه القطعة المنفردة من الجهة القبلية من الزوايا على كتف وادي اليرموك والحمة الذي ينتهي بالغور غوربيسان.

وأن أهل قضاء القنيطرة يسفرون اليوم القوافل إلى حرج علجون أعني إلى القسم الثالث فيحضرون معه ما يلزمهم من الفحم والحطب مع أن المسافة بينهم وبينه خمس عشرة ساعة على الإبل والعجلات الجركسية فهذا القسم قد انقرض أيضاً، فليس من الممكن إعادته لأنَّ أرضه أصبحت مفلوحة مزروعة.

## الحرج في عجلون

وهو حرج عجلون الواقع ما بين وادي الزرقاء والقرى الوسطية وأرض

---

[1] *كانت الأشجار المثمرة والمزارع الخضراء كثيرة في أنحاء حوران بدليل أسماء بعض القرى فيها كالتينة وعذبة وخوخة وجوزة ونخيلة وأم الرمان وتل اللوز وأم الزيتون وعيون جوز. المسرة، المصدر نفسه، ص ٣٧٢*

بني حسن وقرى سوف وجرش ونعيمة بني عبيد والصريح وإيدون وكفر خل والصحفية والناطفة وهام المحتوي على أودية جسمية كثيرة منها وادي الزاغ ووادي مغارة مفتاح وأودية عين جنا ووادي دراج رامون وأضرابها.

قلت أن الحراج واقع بين تلك المحال، وهذه حدوده الأصلية، وأما مسافته من الشمال إلى الجنوب أعني من الصريح إلى وادي الزرقاء فتبلغ خمسه ساعات ومن القرى الوسطية إلى منتهى قرى بني حسن من الشرق ١٢ ساعة، فكل ما حوت هذه المسافة من الأرض والأودية والجبال كافة مملوء بالحراج من الأشجار كافة. أمَّا اليوم فلم يبق سوى خمسة إن لم تكن أقل فهذا من وقت مُدت سكك الحديد في حوران فإذا بقي مهملاً من لدن الحكومة. والملتزمون لفحمه يبعثون به وأهل القرى التي وسطه الهاجمين على حرق أشجاره ومحوه يبقى أرضاً يفلحونها مدة سنين على هذه الصورة، فإذا دامت هذه الحالة سوف نرى بعد سنين قليلة أن الحراج في عجلون تصبح كما أصبحت الحراج في القنيطرة وحوران أثراً بعد عين.

الحرج في جبل حوران وهو الحرج الذي كان في ذروة جبل حوران. وهو ممتد من السويداء فمياماس فالسهوتين[١] فأبي زريق فمفعلة فقنوات فسالة وهو الواقع في حضيض قليب حوران، فهذا الحرج أحرقه أهل الجبل، ليعملوا منه الفحم والحطب فأصبح للمقسم الأول فلاحة وزراعة فقط، فلم يبق سوى أثر منه قليل جداً بين قرى قنوات والسويداء وعتيل وقليب وحوران، فلوا اعتنى بهذين القسمين فغرس في الجبال والأودية التي لا تصلح للزرع والفلح مثل تلول الجولان ووادي السمك ووادي فيق والجبال والأودية المشرفة على الغور الواقعة بين الجولان والغور من القسم الأول، وغرس في أطراف قليب حوران وحضيضه أعني في المكان الذي كان في الحرج من القسم الثاني، ودام الغرس لا يمضي عليه عشرات من السنين حتى يصبح فيهما حرج ليس بقليل يكفي أهل تلك الأقضية. فالفوائد التي تنتج من كثرة الحراج كثيرة كتحسين الهواء، وجلب الأمطار[٢].

---

[١] *يمتد الحرج ليشمل قريتي: ا ــ سهوة بلاطة وسهوة الخضر المشار إليها بعبارة (السهوتين)*

[٢] *كتب بولس سيور البولسي ما يلي: هواء حوران على حد هواء سورية من الاعتدال والجودة فلا حرٌ لافح في الصيف ولا برد قارس في الشتاء إلا ما ندر وفي قرى الجبل لا تتعدى الحرارة ٨٧ من ميزان فهرنهيت أي أنها تستمر عشر درجات أقل من حر الشام. وجودة الهواء في حوران على قلة المياه* ←

أمَّا إهمال الحكومة فهو عدم محافظتها على أحكام قانون الحراج، وتطبيق أحكامه على قطع الأشجار وكيفية قطعها بصورة صحيحة، ورب قائل أن لها محافظين يقال عنهم (قولجية) فهم يحافظون عليها، نعم إن هناك محافظين ولكن لا يفيدون الحراج أبداً، ولا هم مطبقون أحكام القانون فيه، فمن له شك فليأخذ قانون الحراج وليذهب إليه، وليطبقه هناك، فحينئذ يتأكد حقيقة الحال، أمَّا تخريب الملتزمين للحراج فهو ناتج من عدم تطبيق قطع الشجر وإحراقه كما هو مصرح في القانون لأنَّ الملتزم لا ينظر إلا إلى منفعته الخاصة، وهي في أقرب وقت إحراق مقدار الفحم الذي التزمه قبل خلاص مدة التزامه، فهو لا ينظر إلا إلى هذه النقطة إن كان الفلاحون قطعوا الأشجار على الأصول القانونية أم لا، لأنَّ الملتزمين يعطون الفلاحين الفحامين دراهم سليم على كل قنطار فحم خاص من ١٢ قرشاً إلى ٢٥ قرشاً، فاختلاف القيمة بنسبة المدة التي يعين فيها تسليم الفحم، فلهذا ترى الفلاحين يشتغلون ليل نهار بقطع الأشجار عن بكرة أبيها، لا يتركون منها صغيرة ولا طرية ليستخلصوا الفحم من الأشجار البالغة الجسيمة، ويستحصلوا الأرض إذا قطعوا منها الأشجار الصغيرة الطرية، فيملكونها أرضاً يزرعوا فيها الحبوب والكروم. فلهذا السبب ترى الحراج من يوم إلى يوم من كل جهة فيه يكون في الصباح حراجاً وفي المساء أرض فلاحة وزراعة كأن لم يكن بالأمس، ومثل هذا في الأسبوع والشهر والعام، فإذا حسبنا السنين الذي بدأ فيها التزام الملتزمين قسمنا عليها مقدار الأرض التي بسببها أصبحت للزرع لا يوجد فيها شجرة وعلى هذا النسبة حسبنا الباقي يظهر لنا أن الباقي من الحراج سيخلص عن بكرة أبيه في بضع سنين، فتصبح الحراج في عجلون أرضاً بلا شجر.

أمَّا المضار العامة التي تنشأ إذا خلص حراج عجلون فهي:

أولاً: سيصبح قنطار الفحم في دمشق ٣٠٠ قرش على الأقل إذ تقضي الحال حينئذ بجلبه من الأصقاع البعيدة الموجبة للأجرة الباهظة، فكيف تكون حالة أهل دمشق الذين فيهم ثلاثون ألف نفس أهل سعة وأملاك وقرى و ٢٧٠ ألف نفس من أهل الكفاف والاحتياج وليس لهم أرض أو ملك يدر عليهم ينابيع الثروة؟.

---

*الطيبة تجعل الأجسام صحيحة قوية نشطة. وقيل أن الهواء الأصفر لا يدخل جبل حوران أبداً. المصدر نفسه، ص ٥٧*

ثانياً: ينقطع وارد الخزينة من تلك الحراج فلو حفظه القانون بعمل من يجب عليه فحافظته عليهم لدام الوارد ما دام الحراج.

ثالثاً: يؤثر في المزروعات الحورانية، لأنَّ حوران يسقى زرعها بماء المطر فقط، فمتى خلص الحرج قل المطر كما يقول العلم. فإذا قل وارد حبوب حوران فبكم قرش يصبح رطل الخبز في دمشق؟ وكيف يصير حال فقرائها وصناعها والعملة فيها..؟

هذا من جهة، ومن جهة ثانية يقل وراد الخزينة بنسبة قلة الحبوب من الأعشار، وتتضرر الحيوانات الأهلية التي تشرب في البادية من ماء المطر الذي يجتمع في كهوف أوديتها ومغاورها.

فلوا نظرت الحكومة [1] في هذه الأمور، فتلافت المحل منها بصورة تليق بالمصلحة العامة وتوافق الحكومة الدستورية قانونها لأحسنت صنعاً وزادت قوتها وغناها وحياتها من غنى أمتها وحياتها وسعادتها

## السكك الحديدية [2]:

منذ مدت شركة السكة العثمانية الفرنساوية من دمشق إلى المزيريب، ومنذ

---

[1] *كانت مقالات خليل رفعت الحوراني المنادية بإصلاح الزراعة والتعليم والطرق تجد صدى لها في أوساط الإدارة ومجلس النواب دون أن يترجم هذا الصدى إلى فعل ملموس. ففي رده على مقالات الحوراني كتب سعد الدين المقداد ممثل حوران في مجلس المبعوثان (النواب) قائلاً في مقالة عنوانها ((جواب الكتاب المفتوح لحضرة الأخ المقداد الحوراني)) ((أشكرك على تهنئتي بعودتي وجواباً على سؤالكم بما قمنا به لخدمة أهالي حوران في مجلس النواب أقول: قمت بها وأنا العاجز بعدة مواد في هذا الشأن وهي:*

*١ـــ تقرر لكل من أقضية حوران مدارس ومفت لتعليم الأهالي أمور دينهم*

*٢ـــ تقرر إنشاء مكاتب ابتدائية للمحال المهمة لقراءة القرآن الشريف والخط والرقوم*

*٣ـــ تقرر إصلاح الجسور وتعميرها ورصف الطرق في جميع أنحاء اللواء*

*٤ـــ تقرر للفلاحة من الآلات الجديدة للحراثة والبذار والحصاد والدرس*

*٥- تقرر فتح آبار ارتوازية في المحال التي لا ماء فيها"*

*وهنا تسخر المقتبس من هذه المقررات قائلة: وعلى قول مبعوثنا الحوراني يصبح لواء حوران بمقررات هذه السنة فقط من أرقى المعمورة فعسى أن يكون حظ دمشق وحماة والكرك كذلك.*

*المقبس، العدد ٢١٩ الأربعاء ١٦ شعبان ١٣٢٧هـ أيلول ١٩٠٩م.*

[2] *-المقتبس –العدد ٥٠٤ /١٨ شوال ١٣٢هـ /٢٢ تشرين الأول ١٩١٠م.*

مدت الحكومة العثمانية السكة الحجازية من دمشق إلى درعا ومن درعا إلى حيفا ومن درعا إلى المدينة المنورة ارتبطت حوران بأقاليم سورية وفلسطين والبلاد الحجازية. فقد مضى على السكة الأولى خمس عشرة سنة، وعلى الثانية خمس سنين تمت إلى حيفا والمدينة المنورة، فارتقت حوران خلال هذه المدة الارتقاء الاقتصادي والتجاري، حتى صار مد الحنطة يساوي ٢٥ قرشاً في بيدره، بعد أن كان يجلبه الفلاح الحوراني على إبل من قريته إلى نفس دمشق وإلى عكا ويافا والقدس، فيباع المد من الحنطة من ٦ إلى ١٠ قروش. وقد أصبح ثمن أرض الفدان الحوراني الذي يأخذ بذاراً من ٦٠ إلى ١٢٠ مداً من الحبوب يساوي من ١٠ إلى ٣٠ ألف غرش بعد أن كان يساوي من ١٥٠٠ إلى عشرة آلاف قرش، وتوفر عناء كثير على ما كانوا يطوفون بين فلسطين وسورية للتجارة من أهل حوران.

فلو نشأت شعبتان أخريان في حوران لتضاعف رقي حوران الاقتصادي والتجاري تضاعفاً بليغاً.

## الشعبة الأولى:

وهي إما من موقف المسمية يمر من وسط اللجاه من الطريق القديم الروماني الذي يتوسطها ثم إلى عاهرة والشهباء، ثم إلى السويداء، ثم إلى صرخد، ومنها إلى بصرى اسكي شام، ومنها إلى بصرى، فدرعا، أو من درعا إلى بصرى، ثم إلى السويداء، فعاهرة، وبالجملة فإذا أنشئت هذه الشعبة تنجم عنها فوائد كثيرة. أولها: عمران تلك الأصقاع والبقاع.

ثانيها: رقي تجارتها. وثالثها: تخدم سوقيات الجيش والأمن العام في حوران.

ورابعها: تدر إلى إدارة السكة الحجازية بمبالغ تتيف على الخمسين ألف ليرة أجرة نقل حبوب هاتيك القرى والأصقاع وأجرة البضائع من دمشق وفلسطين لها.

## الشعبة الثانية:

وهي إذا مدت شعبة من درعا إلى أربد وإلى الحصن فيوجب عمران قرى قضاء عجلون وسعادة أهلها مادة ومعنى ويدر على السكة الحجازية مسانهة زهاء ستين ألف ليرة وهذه المبالغ أجرة حبوب قرى عجلون وإربد والبلقاء

وأجرة نقل الفحم الذي يجلبه الملتزمون من حراج عجلون إلى دمشق، وهو يشحن اليوم على خط الشركة الفرنساوية من موقف المزيريب إلى إربد وجوارها والحصن متوسطة في بلاد عجلون وقريبة من الحراج ومن قضاء عجلون عامة ومن موقف المزيريب، والخلاصة إذا أنشئت (أنشأت) إدارة سكة الحجاز الشعبتين المذكورتين ستأخذ في كل عام منهما ١٠٠ ألف ليرة إلى ١٢٠ ألف ليرة من أن إنشاء الشعبتين لا يكلفانها ثلاثمائة ألف ليرة، لأن القسم الأول يزيد طوله من ٤٠ إلى ٦٠ كيلو متراً من أي طريق من الطرق الذي ذكرناها والشعبة الثانية لا يزيد طولها عن ٢٥ إلى ٣٠ كيلو متراً فإذا أخذ وسط الحسابين يظهر لنا أن طول الشعبتين تقريباً من ٧٠ إلى ٩٠ كيلو متراً دع عنك قرب المسافة، وليس ثمة أودية أو جبال توجب الخرق وإقامة الجسور الجسيمة التي تستلزم النفقات الزائدة سوى جسراً وجسرين وعدة منافذ صغيرة لأن الأرض مستوية سهلة هذا في الشعبة الثانية التي من درعا إلى إربد فالحصن.

أما الشعبة الأولى فهي من درعا إلى بصرى، ومنها إلى السويداء، وإلى صرخد أرض مستوية سهلة لا تحتاج إلى الجسور الجسيمة إلا إلى جسر وجسرين ومنافذ صغيرة، ففي هذه الشعبة من بصر الحرير فالسويداء، ثم إلى صرخد، ومن المسمية إلى عاهرة، ثم السويداء، ثم إلى صرخد، أرضها وعرة يوجد فيها كتل من الحجارة فقط، وليس فيها سوى ذلك من الجبال والأودية التي تستوجب الخرق والجسور الجسيمة سوى كسر الحجارة، ورصها لتسوية الطريق، وهذا لا شأن له بالنسبة لمصاريف الجسور والخروق، فهذه الطرق كانت عامرة في زمن الرومانيين والكلدانيين والعرب، والدليل على ذلك آثار عمرانها الباقية إلى يومنا هذا إذ أن في كل مسافة ساعتين يوجد آثار مخفر.

ولما كانت هذه الطرق عامرة كانت حوران سعيدة، فالآن نحمد الله وقد أنعم على الوطن بنعمة الدستور، فليس بعزيز على رجالها الأحرار قيام مثل هذه الأمور النافعة العمرانية.

وإذا أسست الشركة شعب لها من موقف الصنمين حتى القنيطرة فتكون قد ربحت إيراداً سنوياً لا يقل عن الثلاثين ألف ليرة، لأن عامة أهل قرى القنيطرة ونقل حبوبها وتجارتها ينحصر بها، فتخدم نفسها، ولسببها تعمر، وتغنى تلك الأصقاع والبلاد فتحديد الشعبة الأولى سيكون مقدمة لتحديد سكك حديدية من حوران إلى نجد، ومن حوران إلى ولاية البصرة، فتعمر تلك الأصقاع الواسعة، ولو عمرت كما كانت في القرون السالفة لأصبحت نفوس سكانها يبلغ الملايين

كما هو مسطر في التاريخ، ومع هذا فإن آثار الطرق الموجودة القديمة التجارية تدلنا على عمران تلك الربوع الواسعة، وارتباطها بعضها ببعض، وبسبب خصبها وجودة تربتها وطيب هوائها.

## المعادن في حوران.

من فقدان المعارف والشركات في حوران لا تزال مجهولة معادنها، اللهم إلا ماء الاستحمام المعدني في وادي الحمة (يرموك) الواقع على سكة درعا – حيفا الحجازية، وفي كل عام يقصد هذه الحمامات الطبيعية والمعدنية جم غفير من أهل دمشق وأهل حوران وإقليم وادي العجم وأهل الغوطة والنبك أكثر الذين يقصدونها المصابون بالأمراض الجلدية والعصبية، فكثير منهم يرجع بريئاً من دائه، والوقت المخصوص للذهاب لهذه الحمة اعتباراً من غرة شهر آذار الرومي إلى شهر أيار في كل عام.

هذه المعادن تعد داخل قضاء عجلون فتلزمها كل عام بلدية عجلون لقاء مبلغ يدفعه من يلتزمها لها. ولو نظمت بلدية عجلون هذه الحمامات الطبيعية، وأقامت بها محال للزائرين، وبنت فوقها جدراناً للستر وسبلاناً للذين يزورونها، فيستريحون بها، ويدخلونها بكل راحة لكثرة زوارها من عامة الطبقات، فحينئذ يزيد واردها للبلدية نفسها وللملتزم، ويكثر زوارها والمنتفعون بها.

وفي حوران معدن ثان غني جداً، فلو حللت ماءه لخرج منه زيت الكاز يكفي ولاية سورية وحلب وبيروت، فأتمنى من أهل الوطن وخصوصاً منهم أهل العلم والغنى عقد شركة مغلفة (أتوينم) لاستخراج هذا المعدن الذي يدر عليها مئات الألوف من الليرات فينتفعوا بها، بل يغنوا منه، ويفيدوا وطنهم وأهل بلادهم.

## الصخور:

ومن آثار حوران ثقب في شمالي قرية أم الرمان قرب خربة تدعى بالصوخر تبعد عن الخربة من جهة الشمال ألف متر عن الطريق الذي يجري شمالاً نحو ماء نمرة وقرية بكا مسافة مائة متر من شماليه ثقب إذا نزلت منه ترى نفسك في سوق ترتيبه وسعته وسقفه وارتفاعه كسوق السعادة (سوق الحميدية) منحوت من الحجر الأسود فتسير به من القبلة إلى الشمال مقدار ٥٠٠

متر يواجهك باب فتدخل منه فتجد السوق نفسه فتسير فيه مسافة ساعتين فيزيد انتظامه ونقش حجارته. فتجد من طرفيه اعتباراً من أرضه ارتفاع ثلاثة أمتار من الرخام الأبيض تراه أبيض ناصعاً كأنه الثلج شقفة واحدة منحوته منتظمة فلما سرت فيه أنا ورفقائي مسافة ساعتين ونصف نفذ من المصباح زيته فرجعنا على أعقابنا فخرجنا منه بعد غروب الشمس وكنا دخلناه بين الظهر والعصر أي أننا قطعنا في ذهابنا وإيابنا فيه خمس ساعات ولم نصل إلى آخره.

قال لي بعض العارفين الذين دخلوه أنهم مشوا فيه عشر ساعات ولم يصلوا إلى منتهاه.

أما أنا فلما دخلت ورفقائي فيه وجدت الماء يقطر من سقفه ورايت الحجارة البيضاء نابتة فيه كنبات عشب الأرض ورأيت فيه عند أول دخولنا إليه من الثقب على جانبيه دكاكين كحوانيت الصياغ والجوهرية مرتبة على ترتيبها أما هذا الثقب فليس بابه الأصلي بل هو حصل من نزول سقفه. فيستبان من ترتيبه وصنعه أنه معدن رخام أو غيره إذ لو أراد أحد أن يصنع مثله تحت الجبال والأودية لبلغت نفقته الملايين الملايين من الليرات وليس الخبر كالعيان فهذه الآثار الكثيرة الكبيرة تدل بل تشهد على عمران البلاد الحورانية وتنم بغنى أهلها القدماء وسعة علمهم وعقولهم ووفرة أمجادهم واستعدادهم.

## الرخام [1]:

يأتينا الرخام من المغرب، فلو اعتني بهذا المعدن، فأخرج منه الرخام، لاستفادت منه الأمة والوطن معاً، ولسعد من يشتغل به، فيأخذ قُرشهُ مائة قرش في مدة وجيزة، لأن المعدن ظاهر لا يحتاج إلا إلى الحجّارة الذين يقطعونه من مقاطعه. إني رأيت المعدن في عيني، وهذه المعادن كلها سرت فيها بقدمي، فعسى أن يقتطف أغنياء الوطن وأبناؤه ثمراته. نعم إن آثار بعلبك أكبر شأناً، ولكن هذا الأمر أوسع صنعه وأعود تجارة، ويوجد في جبال عجلون الغربية القبلية معادن جديدة متنوعة، قد اكتشفا الكثير من السياح والعارفين بعلم المعادن، ويوج تراب ناعم وأحمر كثيراً جداً، فخرج من بين طبقات الحجارة في الجبل كالدقيق في البلقاء في محل يقرب من وادي طاحونة عدران قبل أن تصل إلى ماء الزرقاء من الجانب الأيمن، وأنت قاصد إليها من طريق جرش

[1] المقتبس –العدد ٥٠٨ تاريخ شوال ١٣٢٨هـ/٦ تشرين الأول ١٩١٠م.

الذي يسير مع الماء الذي يخرج من أرض بني حسن فينصب بماء الزرقاء عند الطاحونة المذكورة عند ملتقى المائتين بكتف الجبل الذي على ضفاف الماء المذكور. يقولون أنه فضة أو ذهب، أو غيرهما، فإذا صح أنه معدن فهو غني جداً أما من جهة أشكاله المذكورة فقط قصدتها وشاهدتها بعيني رأسي.

وقد قال لي الكثير من المهندسين: إن هناك معدن كلس رومي أحسن من الكلس الذي يجلبونه من أوروبا في أطراف وادي الزرقا عندما كانوا يشتغلون في السكة الحجازية. فإذا شغل هذا المعدن يكفي سورية وبيروت لكثرة أحجاره. وهناك شجر ينبت في أرض البادية يدعى بالشنان، يجمعونه، ويحرقونه فيصير (قلياً) معدن، يصنعون منه الصابون في المعامل في دمشق ونابلس وغيرها. ولا ريب أن هناك معادن منوعة في ربوع حوران في القنيطرة وجبالها وغورها وجولانها، وفي عجلون وأوديته وجباله وغوره وحراجه، وفي جبل حوران وجباله، وفي حوران وصحاريها وقطعانها.

**جدول (١) إحصاء الحيوانات (٤٢) الأهلية في حوران تخمينياً**

| غنم | ماعز | بقر [١] | جاموس | جمل | |
|---|---|---|---|---|---|
| ٣٠٠٠٠ | ٥٠٠٠٠ | ٣٠٠٠٠ | | ١٠٠٠٠ | جبل حوران أقضية صرخد السويداء عاهرة وعربان الجبل. |
| ٢٥٠٠٠٠ | ٥٠٠٠٠ | ٣٠٠٠٠ | | ١١٠٠٠ | أقضية شمكسين وبصر الحريري ومركز اللواء وعربانهاه وعربان اللجاه والصفا. |
| ٢٥٠٠٠٠ | ٨٠٠٠٠ | ٣٠٠٠٠ | | ٥٠٠٠ | عجلون وتوابعه وعشيرة بني حسن وغوره وعربانه. |
| ٢٠٠٠٠٠ | ٥٠٠٠٠ | ٣٠٠٠٠ | ١٥٠٠ | ٢٠٠٠ | القنيطرة ونواحيها وغورها وعربها ومواشي التجار. |

---

[١] *وفي حوران من البقر والغنم والمعزى والإبل لا سيما عند العرب /البدو/ عدد لا يحصى والحكومة تستوفي عن كل رأس غنم أربعة غروش وعن الجمل نصف مجيدي. أما بقية الطرش أي الماعز والخيل فقد حاولت غير مرة لا سيما سنة ١٩٠٢ أن تضرب عليها ضريبة فقامت لها حوران وقعدت وإلى الآن لم يستتب فيها أمر الحكومة على حال، بيد أنها استطاعت أن تفرض الضرائب التي حددتها لاحقاً ولا سيما في السهل.. المؤلف وتتابع المسرة.*

*الجمل في حوران ثلثه: الخوار والنجدي وجمل الجزيرة والبقر.*

*المسرة، المصدر نفسه، ص ٣٧٢.*

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| ٧٠٠٠٠ | ٢٠٠٠٠ | | | ٣٧٢٠٠٠ | مواشي العربان البادية الرولة والمعجل الولد علي والسوالمة محيد والخريشة والسهمان والجبور وبني خالد والسردية والعيس. |
| **١٠٧٠٠٠٠** | **٢٥٠٠٠٠** | **١١٠٠٠٠** | **١٥٠٠** | **٤٠٠٠٠٠** | **المجموع** |

**جدول (١) إحصاء الحيوانات الأهلية في حوران تخمينياً**

| فرس | كديش | بغل | حمار | |
|---|---|---|---|---|
| ٢٢٠٠ | ٤٠٠٠ | ٢٠٠٠ | ٦٠٠٠ | جبل حوران أقضية صرخد السويداء عاهرة وعربان الجبل. |
| ١٥٠٠ | ٤٠٠٠ | ٢٠٠٠ | ٧٠٠٠ | أقضية شمكسين وبصر الحريري ومركز اللواء وعربانها وعربان اللجاه والصفا. |
| ١٥٠٠ | ٢٥٠٠ | ١٥٠٠ | ٤٠٠٠ | عجلون وتوابعه وعشيرة بني حسن وغوره وعربانه. |
| ١٠٠٠ | ١٥٠٠ | ٥٠٠ | ٣٠٠٠ | القنيطرة ونواحيها وغورها وعربها ومواشي التجار. |
| | | | ٥٠٠ | مواشي العربان البادية الرولة والمعجل الولد علي والسوالمة محيد والخريشة والسهمان والجبور وبني خالد والسردية والعيس. |
| ٦٢٠٠ | ١٢٠٠٠ | ٦٠٠٠ | ٢٠٥٠٠ | المجموع |

**جدول (٢) إحصاء الحبوب في حوران والمشجرات فيها ودونمات أرضها تخمينياً [١]**

| مد | دونم | كرم | قرى | |
|---|---|---|---|---|
| ٤٠٠٠٠٠٠ | ١٥٠٠٠٠ | ٢٠٠٠ | ١١٥ | جبل حوران أعني أقضية عاهرة وصرخد والسويداء. |
| ٥٠٠٠٠٠٠ | ١٧٠٠٠٠٠ | ١٠٠٠ | ١٠٠ | حوران أعني أقضية شمكسين وبصر الحريري ومركز اللواء درعا. |
| ٣٥٠٠٠٠٠ | ١٥٠٠٠٠٠ | ١٥٩٠ | ١٧٥ | قضاء عجلون ونواحيه ومنها خرب بني حسن عدد ٣٥ وغوره. |
| ٢٥٠٠٠٠٠ | ١٢٠٠٠٠ | ٥٠٠ | ١٣٠ | قضاء القنيطرة ونواحيه وخربها ومزارعها. |
| | ١٥٠٠٠٠٠ | | ٨٠ | الخرب المحلولة التي ما زالت أرضها مواتاً وقد ذكرتها في مقالة (العربان الرحالة في حوران) |
| ١٥٠٠٠٠٠٠ | ٧٥٠٠٠٠٠ | ٤١٠٠ | ٦٠٠ | مجموع قرى حوران متى عمرت تلك الخرب والمزارع. |

**جدول (نفوس حوران تخمينياً)**

| يكون | ذكور | إناث | سنيّة | دروز | مسيحيون | |
|---|---|---|---|---|---|---|
| ٤٥٠٠٠ | ٢٢٠٠٠ | ٢٣٠٠٠ | ١٠٠٠ | ٤٢٠٠٠ | ٢٠٠٠ | جبل حوران السويداء صرخد عاهرة ١١٥ |

---

[١] *جبل حوران أو جبل الدروز ومساحته ١٨٠٠ دنم ميل مربع فيه ٦٥٠٠ فداناً والفدان ما يقدر زوج الثيران أن يحرثه في اليوم الواحد.*

*ومعدل غلته في الأرض الجيدة والسنة المقبلة أكثر من ست غرارات أي ٧٢ كيلاً من الحنطة.. والغرارة ١٢ كيلاً. أما في حوران فالغرارة ٤٠ كيلاً والكيلة مدان. إلا أننا نجري هنا الحساب الاسلامبولي وبموجبه الغرارة ١٢ والكيل ١٢ مداً.. والفدان معدل غلته أربع غرارات من الشعير ومثلها من سائر الحبوب أي من الحمص والكرسنة والعدس والذرة البيضاء وأجود حمص في سوريا يأتي من قنوات في الجبل فيكون محصول الجبل في السنة الاعتيادية كما يلي على تقدير محصول الفدان ٤ غرارات حنطة فقط و٣ من الشعير ومثلها من القطاني.*

*٢٦٠٠٠ غرارة من الحنطة ١٩٥٠٠ غرارة من الشعير ومثلها من القطاني.. فيبلغ المجموع ٦٥٠٠٠ غرارة أي ٧٨٠٠٠٠ كيلاً وهي ثلث غلال حوران كلها ويبلغ إنتاج بقية أقضية حوران حسب الكيل الاسلامبولي.*

*قضاء بصر الحريري ٦٠٠.٠٠٠ من كل أنواع الحبوب أكثرها حنطة.*

*قضاء ذرعات ٧٠٠.٠٠٠ من كل أنواع الحبوب أكثرها حنطة.*

*مجموع محاصيل حوران بما فيها الجبل ١٧٨٠٠٠٠ —٢.*

*المسرة، المصدر نفسه، ص ٣٦٨ —٣٧٠.*

| | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|
| | | | | | | قرية. |
| ٥٠٠٠٠ | ٢٣٠٠٠ | ٢٧٠٠٠ | ٤٦٥٠٠ | | ٣٥٠٠ | حوران أقضية شمسكين وبصر الحريري. ومركز اللواء درعا والشكارة ١٠٠ قرية. |
| ٤٣٠٠٠ | ٢١٠٠٠ | ٢٢٠٠٠ | ٤١٠٠٠ | | ٢٠٠٠ | عجلون ونواحيه وعشيرة بني حسن غور عجلون وأوديته. |
| ٤٠٠٠٠ | ١٨٠٠٠ | ٢٢٠٠٠ | ٣٣٥٠٠ | ٤٠٠٠ | ٢٥٠٠ | قضاء القنيطرة ونواحيه وغوره وزاوية وعربة العربان الرحالة وهم الرولة والمعجل والسوالمة وولد علي والخريشة والسرحان والجبور وبنو خالد وابن مجيد والسردية والعيس والشرارات وعرب الجبل والصفا واللجاة ٨٠٠٠ بيت. |
| ٦٠٠٠٠ | ٣٠٠٠٠ | ٣٠٠٠٠ | ٦٠٠٠٠ | | | |
| ٢٣٨٠٠٠ | ١١٤٠٠٠ | ١٢٤٠٠٠ | ١٨٢٠٠٠ | ٤٦٠٠٠ | ١٠٠٠٠ | **جميعاً** |

## إحصاء المواشي في حوران:

إن المواشي في حوران كما هو محرر في الجدول (١) ١٠٧٠٠٠ رأس غنم و٢٥٠٠٠٠ رأس ماعز و١١٠٠٠٠ رأس بقر ذكر وأنثى و١٥٠٠ رأس جاموس و٤٠٠٠٠ رأس جمل و١٠٢٠٠ فرس و٢٢٠٠٠ حصان للجمل و٦٠٠٠ بغل و٢٥٠٠٠ رأس حمار.

في أقاليم حوران المذكورة الذين يربون الغنم والماعز هم عربان يسميها أهلها عربان الشكارة.

فبهذه العرب ترعى مواشي تلك الأقاليم، ويأخذون أجرة الرعاة من أهلها.

أما البقر فيربيه أهل القرى، وقسم عظيم منه تربيه تجار من العرب والأكراد في الجولان داخل قضاء القنيطرة. أما الجاموس فلا يوجد إلا عند عرب الفضل داخل القنيطرة وبعض النعيمات لأنهم دائماً يقطنون بالقرب من مياه الشريعة والجولان.

أما الإبل فيربيها عربان البادية حتى تبلغ قادرة على العمل، فيبيعونها من أهل القرى.

أما الخيل الجياد فتربيها أهل حوران كافة على اختلاف طبقاتهم.

أما الدواب فقسم منها يربيها أهل حوران وأقسام يجلبها التجار من الدماشقة من بلاد آسيا الصغرى، فيبيعونها لهم، والذي يجلبها من آسيا الصغرى، ويبيعها لهم الجراكسة والأكراد، وكذلك البغال. أما الحمير فتربيها أقوام من حوران كافة.

فبعد أن يحصل الأمن العام في تلك الضواحي والفيافي والربوع إذا وافى أهل تلك المواشي من يعلمهم كيف يلزم تربيتها على الأصول الفني الجديد لا يمضي عليهم إلا مدة قليلة فيتعلمون التربية الحديثة الفنية، وبعد بضع سنين تتضاعف أعداد هذه المواشي في حوران.

## الأرض:

**إحصاء الأرض ومحصولاتها في حوران:**

إن دونمات أراضي حوران على وجه التخمين كما هو محرر في الجدول (٢) ٧٥٠٠٠٠٠ دونم أما محصولها فهو نوعان.

النوع الأول: بساتين العنب وهذا في بعض قرى جبل حوران، وفي ناحية عجلون التابعة لقضائه، وقليل من قرى الجراكسة، سوى الكروم ولم تكن شيئاً يذكر من الأشجار المتنوعة في حوران.

أرض حوران تنبت الأشجار كافة لخصبها وجودة تربتها وحسن هوائها وفي مواقع كثيرة تجد مياه جارية لم يغرس فيها أهلها شجرة بل تذهب بلا فائدة.

السبب لهذا هو أولاً جهل الأهلين لفوائد الشجرة المادية والمعنوية والسبب الحقيقي فقدان الأمن، وتعدي البدوان، والناس بعضهم على بعض.

فبعد أن يحصل فيها، ويكثر العارفون بغرس الشجر، وحينئذ ترى أكثر ربوع حوران جناناً من الأشجار أما الحبوب فإن أرض حوران نصيرة بمطر السماء، بالآلات القديمة الزراعية، فلو أرسلت الحكومة إلى حوران مأمورين زراعة، ولو أفهموا أهلها الفرق بين الحديث والقديم، وإذا اختاروا الأصول الحديث كم يكسبون مادة ومعنى. فمتى تعم الأصول الزراعية الحديثة في

حوران، ويسكن عربان البادية في خربهم حينئذٍ تتضاعف تلك المحصولات من الحبوب والمشجرات.

## نفوس حوران:

**إحصاء النفوس في حوران:**

تقدر نفوس حوران بـ (٢٣٨) ألف نسمة. منها ١٨٢٠٠٠ مسلم سني و٤٧٠٠٠ درزي، ومنها ٩٠٠٠ مسيحي، كما هو محرر في الجدول (٣).

التاريخ يدلنا على أن حوران كانت تضم الملايين من النفوس في زمن العرب والرومانيين والكلدانيين.

وقد كانت عامرة، فإذا بسط الأمن في قراها وفيافيها وضواحيها لا يمر عليها نصف قرن حتى يصبح عدد نفوسها مليوناً. لأنها تقتصد في كل عام نفوساً وافرة يقتل بعضها بعضاً لسائق الجهالة والعادات القديمة البربرية مثل أخذ الثأر والغزو والهجوم بعضهم على بعض أفراداً وجماعاً، فلم يمضِ عليه بضعة قرون حتى تعود لما كانت فيه من العمران والغنى والسعادة وتزايد النفوس فحينئذٍ يتصل عمران حوران بالحجاز وبالعراق.

**الآلات الزراعية في حوران:**

مازالت الآلات الزراعية في حوران على الأصول القديم الذي رؤوه من آبائهم منذ مئات من السنين. هذه الآلات القديمة لا تخرق الأرض بالحرث إلا مقدار ثلاثة أصابع فلو كانت هذه الآلة من الحديث لخرقت في الأرض أشباراً لأن الأرض تربتها عميقة جداً، أعني أكثر أرض حوران، إذا حفر الإنسان أمتاراً لا يلقى سوى التربة الحمراء. فأهل حوران كلهم لا يستفيدون إلا من قوة التراب الذي على وجه الأرض بقلبه بالحرث فلو استعملت الحديثة بدلاً من القديمة لحصل فائدة من التراب يزيد عن ذلك أضعافاً مضاعفة فيستفيد المحصول منه. أعني أن هذه الفائدة تعطي بدل الحبة خمسين حبة. فبهذه النعمة التي أحسن الخالق إلى الخلائق بها على أيدي عقال البشر المتفنين فهي تغني الفلاح وتعمر الوطن.

## الزراعة:

**ينقسم أهالي حوران في الزراعة إلى أقسام:**

**القسم الأول:** وهم أهل قرى الحوارنة وهي قرى قضاء شمسكين وبصر الحريري ودرعا مركز اللواء، فهؤلاء يجدون بزراعتهم فوق الحد ولكن جدهم هذا بلا أصول ولا قاعدة لهذا ترى دائماً تعبهم أكثر من محصولهم.

**القسم الثاني:** وهم أهل جبل حوران أعني قضاء السويداء وصرخد وعاهرة. فهذا القسم بالفلاحة يعد بالجد وبالترتيب أحسن من القسم الثالث وهم أهل قرى قضاء القنيطرة. فهؤلاء ينقسمون إلى أقسام. قسم منهم الجركس فهذا القسم يتقن فلاحة أرضه وزراعتها بآلات أحسن من آلات تلك الأقسام وعندهم تراتيب وقواعد يحترمونها، فلهذا ترى واردهم أكثر من جهدهم مع أن أرضهم أقل تربة من الأقسام، وقسم منهم أهل الزوايا فهذا القسم لا فرق بينه وبين الحوارنة، وقسم يقال لهم عرب الفضل وعرب النعيم فهؤلاء قليلاً يتقنون الفلاحة والزراعة لأنهم من جهة يسكنون بيوت الشعر ويربون المواشي، ومن جهة أخرى يشتغلون بالزراعة.

**وقسم منهم في سفح جبل الشيخ:** فهؤلاء دروز ومسلمون لا فرق بينهم وبين أهل جبل حوران بالزراعة والفلاحة، إلا أن هؤلاء أقرب منهم إلى غرس الأشجار.

**القسم الرابع:** وهم أهل قضاء عجلون. فهم على أقسام قسم منهم أهل القرى الشمالية والمتوسطة والغربية أرضهم سهلة، وتربتها جيدة، يستفيدون منها فائدة وافية، ولكن لا فرق بينهم وبين الحوارنة بالآلات الزراعية والترتيب والقواعد. وقسم من أهل ناحية عجلون هؤلاء أغلبهم يشتغلون بالفحم في حراجها عند الملتزمون كما ذكرنا في بحث الحراج. وقسم منها يزرعون بساتين العنب، فيستحصلون منها عنباً وزبيباً يبدلونها مع أهل القرى الشمالية والحورانية. لهذا السبب تجد زراعتهم قليلة، وآلات زراعتهم كإخوانهم الذين سلف ذكرهم وهم الحوارنة.

**وقسم [1]منهم في أراضي عشيرة بني حسن:** فلهذه العشيرة أرض واسعة خصبة وتربتها طيبة فهي نحو ٣٥ خربة. فهذه العشيرة ما زالت تسكن في بيوت الشعر، وتربي المواشي لنفسها من الغنم والماعز وتزرع أرض خربها السالفة. هذه العشيرة يحق لها أن تدعى بالخادمة للإنسانية مع أنها في حال

---

[1] *المقتبس –العدد ٥٠٩ /٢٣ شوال ١٣٢٨ هجري /٢٧ تشرين الأول ١٩١٠.*

البداوة، ولهذه العشيرة مائة ألف رأس من الغنم والماعز. لهذا تراها لا تستفيد من أرضها بالزراعة كما يستفيد باقي الزراع المذكورين. هذه العشيرة تدفع إلى صندوق الأمة مسانهة مبلغاً لا يقل عن ألوف الليرات.

أرض هذه العشيرة هي البلقاء التي يذكرها التاريخ وتدل آثارها أنها كانت جنة لكثرة بساتينها وأشجارها، فهي لا تزال مزينة بالأشجار الباقية من حراجه. هذه العشيرة قوية الشكيمة وأكثر عدداً، وأشد قوة بين جميع العشائر الرحالة، ولكنها أطوع من العشائر وأهل القرى للقانون والحكومة. هذه العشيرة محبة للحكومة. فلو رزقت قائمقاماً يكون مطلعاً على حقيقة أخلاقها بهمة قليلة يصرفها لها بالنصيحة فبذكائهم تصبح الخرب قرى فيستفيدوا فوائد شتى فهم في مدة قليلة يعمرون ٣٥ قرية لأنهم أغنياء، يقدرون على بنائها من أنفسهم إذا صار لهم من يهديهم، ويدلهم.

## عادات وأخلاق حوران:

ينقسم أهالي حوران بمقتضى العادات والأخلاق إلى أربعة أقسام: الأول الحوارنة. والثاني الدروز. والثالث العربان الرحالة. والرابع الجراكسة والتركمان.

**القسم الأول –الحوارنة.** يطلق هذا الاسم على كل من لبس العقال والكوفية، وسكن قرى حوران وعجلون وقرى القنيطرة، إن كان بدوياً تحضر، أو كان من أي إقليم فاستوطن بها خلا الدروز فإنهم لا يسمون بهذا الاسم، لأنهم لا يسكنون، ولا يقيمون إلا في القرى الدرزية مجتمعين بعضهم إلى بعض.

## لباس الحوارنة:

يلبس الرجال العقال على رؤوسهم فوق الكوفية وثوباً من القماش الأسود أو القماش الأبيض يكسوه إلى قدميه وفوق الثوب قفطان وفوقه فروة (زنارية) أو صدرية أو دامر من جوخ وعباءة ونعل في أرجلهم هذا في الصيف والخريف والربيع، وأما في وقت الشتاء فيلبسون فوق لباسهم المذكور فروة كبيرة تحت العباءة يتخذونها فراشاً ودثاراً في وقت السفر منهم الأغنياء، والذين ليس لهم زوجات أو كانوا فعلة ومرابعين، ولا يلبس السروال إلا القليل منهم من كان يركب الخيل أو الغني القريب من الحضارة أما لباسهم فلا فرق بينه

وبين لباس الرجال، إلا أن المرأة لا تلبس القفطان والعقال بل تلبس بدلاً عنهما عصبة على رأسها بمنديل فوق (ملفعها) أي سترها فيبقى وجهها بلا برقع من الذقن على الجبهة ومن الصدغ الأيمن إلى الأيسر، وتبقى يداها حتى المعصم مكشوفة وكذلك رِجلاها حتى الكاحلين إذا لم تلبس نعالها. ولم يعتد رجال الحوارنة ونساؤهم لبس الجوارب في أرجلهم. وحتى الآن لم يعم لباس السراويل بين النساء والرجال لا يلبس الفروة الكبيرة في وقت الشتاء ولا الصغيرة إلا القليل بل يلبس "كبراً" من القماش الأسود كالجبة والرجال في كل حوران لا يحلقون شعر رؤوسهم بل يربونه جدائل كما تربي شعرها النساء.

اعتاد الحوارنة أن يسكن الإخوان وبعض الأعمام والأخوان والآباء في دار واحدة ويأكلون في صفيحة واحدة فيكون مالهم بينهم مشتركاً. فهذا الامتزاج يعينهم على الزراعة وقد اعتاد الحوارنة تعدد الزوجات. فمنهم من يأخذ زوجتين ومنهم من يأخذ ثلاثاً ومنهم من يأخذ أربعاً من النساء، ولم يقنع منهم إلا القليل بالزوجة الواحدة. ولتعدد الزوجات عندهم منافع عديدة، وهن يقمن بخبز الخبز وطبخ الطعام لأزواجهم وضيوفهم ومرابيعهنَّ.

وهنَّ ولودات فيكثر الأولاد بتعدد الأزواج. إني أعرف كثيراً منهم من تعددت زوجاتهم لكل واحد ١٦ ولداً ذكراً ومثلهم أو ثلثهم إناث والزوج لا يتكبد نفقات باهظة على زوجاته كأهل الحضارة لأن لباسهنّ كما تقدم آنفاً في السنة مرتين في الشتاء والصيف.

## غذاء الحوارنة:

يتناولون في الصباح خبزاً من الشعير والذرة البيضاء مع اللبن أو الأقط، وفي المساء طعاماً منوعاً من القمح والبرغل بالماء واللبن يلتونه بقليل من السمن أو الزيت الحلو. وقليل منهم من يأكل خبز القمح، ولا يأكلون اللحم إلا في الشهر مرة أو مرتين حينما يضيفهم ضيف، فيذبحون له ذبيحة، فيأكلونها جميعاً أما في هذه الآونة فقد فتح في بعض القرى قصابون، فبدأوا بأكل اللحم كأهل المدن ومن عاداتهم أن يدعوا بعضهم بعضاً على طعامهم في كل إسبوع وشهر.

أرض القرى في حوران مشاعة بيد أهلها، فلكل دار منها حصة لأن أرض القرية مقسومة على الدور فليس في حوران قرية لرجل واحد سوى الاستيضاح من المؤلف جلين للإسرائيليين والكتبة للعظم والقضماني والعلبي وأرض في

الجولان لعبد الرحمن بك يوسف. فهذه الأراضي لا يزال يسكنها أهلها الذين عمروا دوراً، وأحييوا، أرضها، وأنشئوا مصانع مائها وآبارها.

اعتاد الحوارنة أن لا يزوجوا بناتهم إلا مبلغ من ٥ آلاف إلى ١٠ آلاف، وهذا المبلغ يأخذه الوالد أو الأخ أو عم البنت (أي العروس)، فلا يعطيها منه إلا مبلغاً زهيداً والباقي يأخذه ظلماً وعدواناً.

واعتاد الحوارنة أن لا يعطوا إرثاً إلى الأنثى من دار وأرض وملك أبيها أو أخيها إذا كانت ذات زوج، فإن لم يكن لها زوج، فتعيش في دار أبيها وأخيها أو عمها، وليس لها حق بأن تكون صاحبة أرض وملك بتة.

ولو مات أبوها وأخوها وعمها، وكانت شرعاً ترثهم، فالحوارنة لا يورثونها البتة ما دام من أهل هذا الدار ذكر ولو كان بعيداً منذ أربعة أجداد فهو يحرمها الإرث بحسب عاداتهم وقد اعتاد الحوارنة مبادلة الأنثى بالأنثى للزواج كأن يكون لزيد أخت ولعمرو شقيقة فيتبادل الإثنان أختيهما، فيتزوج زيد من أخت عمرو، ويتزوج عمرو أخت زيد دون اتفاق لأن القوم هنا يعدون مهر الزوجتين متعادلاً.

ليس في قرى حوران كافة علماء عاملون يعرفون أحكام الشريعة، معرفة حقيقية ليفهموا أهلها درجة مخالفة عاداتهم المذكورة لنص الشريعة، فيطبقونها على أحكامها، ويتركون المخالفة، ويحافظون على المطابقة لأن كل أهل القرى مسلمون سُنّة ودروز وهؤلاء في الجبل، فلو فكر من بيدهم زمام الأمور في هذا الموضوع، فأرسلوا لهم علماء حقيقيين يفهمونهم قواعد الشريعة الغراء بصورة حقة لا كما أرسلت حكومة الاستبداد وعاظها برواتب باهظة صرفتها لهم مدة سنين ذهبت أدراج الرياح لأن الوعاظ لم يفيدوا الأهالي بشيء، لأنهم لا يعرفون لغتهم، ولو كانوا يعرفون أحكام الشريعة. لهذا كان الأهالي يتعجبون من تلك الإدارة ومن تناولهم الرواتب فائدة تحصل لهم أو للحكومة.

### القضاء:

اعتاد الحوارنة إذا وقع بينهم دعوة حقيقية أو جزائية أن يذهب المدعي والمدعي عليه إلى رجل منهم أو من البدو السيارة يسمونه قاضياً، فعند وصولهم إليه يقص عليه كل واحد منهم مدعاه، فبعد ذلك يكلفهم دفع القضوة سلفاً أو إعطاء تأمينات، ويقولون عنها "رزقة القاضي" فبعد أن يدفعوها له، أو يؤمنونه عليها برهن أو بكفيل يحكم بينهم على ما يعتقد فيقول لأحدهما: لك

الحق، فيقبلون بما حكم به ذلك القاضي. (الرزقة) أو القضـــوة تزيـــد وتـــنقص بنسبة القضية وقيمتها. فبعد أن خرجت من المكتب اجتمعت بكثير مـــن أولئـــك القضاء، فجرت محاورة بيني وبينهم بهذا الشـــأن، فوجـــدتهم يجهلـــون أحكـــام الشريعة ولا يعلمون من القوانين السماوية ولا من الطبيعيـــة ولا مـــن الحقـــوق الاجتماعية شيئاً.

وهؤلاء القضاة يبحثون أموراً حرمتها القوانين والعقول، وهي إذا قتل زيـــد عمراً يجب على زيد وأبيه وأخوانه وأعمامه وأبنـــاء عمومتـــه وأقاربـــه فـــي العصبية منذ خمسة جدود أن يتركوا دورهم وأرضهم وملكهم ويأخذوا عيـــالهم ومواشيهم ويهاجرون بها إلى قرية ثانية بعيدة، ويقيمون فيهـــا ريثمـــا يجـــري الصلح عن يد القاضي بين زيد القاتل وأهله مع أهل عمرو المقتول، ولو مضى سنتان وأعوام. فهو لا يجيز رجوعهم إلى قريتهم وأملاكهم إلا بعد الصلح.

تقضي الشريعة والقانون والعقل مجازاة زيد إذا كان قاتلاً فماذا جنى أبيـــه وأخوه وأبوه وعمه وابن عمه وأقاربه العصبية منذ خمسة جدود، فكيف يكـــون القاتل زيداً فتخرب دور من دور أقاربه الذين ليس لهم مدخل فـــي عمـــل زيـــد سوى أنهم أقرباؤه بالعصبية، فيسمون الخروج من الدور والملـــك مـــن القريـــة لغيرها (جلوة) ويقولون أن أقارب عمرو المقتول إذا كان وقت أن استخبروا أن قاتله زيد فأتوا به فوراً دار زيد أو دور أقاربه في العصبية وقتلـــوا مـــن إبلهـــم وبقرهم وخيلهم وحيواناتهم فيكون هذا الضرر مباحاً.

انظر إلى هذه القاعدة ألا يليق تسميتها بالأعمال البربريـــة التـــي تخـــالف القواعد الإنسانية؟ زيد قاتل فماذا جنت الإبل والبقر والخيـــل إن كـــان لزيـــد أو أقاربه في العصبية حتى يقتلها أقارب عمرو، وهذه الحيوانـــات خلقهـــا خالقهـــا لينفع بها البشر. فهي ليست لزيد خاصة. فما هذه الإباحة إلا جناية يجنيها أولئك القضاة على أبناء البشر وقس على هذا المواد الحقوقية والجزائية كهتك العرض والجرح.

كنت في زمن الاستبداد أقول بنفسي إن ضرر هؤلاء الطغاة أهـــون مـــن ضرر قضاة الحكومة المستبدة البغاة أما الآن فقـــد أعلـــن الدســـتور وتأسســـت حكومتنا على قواعد الشورى والعدل، فسوف نرى قضاتها يحكمون بما أمر الله بالعدل والمساواة فلهذا بات أملنا وطيداً بحكومتنا الدستورية ورجالهـــا الأحـــرار أن يقطعوا تلك العادات المخالفة للقوانين السماوية والقوانين الموضوعية وأحكام الشريعة والعقل ووضع أشياء تقوم موضعها كي يسير عليها الحورانيون فحينئذٍ

يدرك الحوارنة حقيقة الشـريعة والعـدل ومـا معنـى الحكومـة الدسـتورية ومحسناتها. فمتى رأوا ذلك يتركون عاداتهم المذكورة من تلقاء أنفسهم هـذا إذا جرت الأحكام حسب منطوق القانون والشريعة في المحاكم والـدوائر الرسـمية في زمن الدستور.

## المختار:

لكل قرية من قرى الحوارنة شـيخ تسـميه الحكومـة مختـاراً. فهـؤلاء المشايخ[1] هم الذين يوزعون الضرائب على أفراد القرى [2] ويجبونهـا مـنهم بقوة الدرك، فيعطونها إلى صندوق المال إذ لم يجرِ في حوران تحرير أمـلاك قرى قضاء شمكسين وبصر الحرير وقضاء مركز اللواء درعا.

فكانت أفراد الدرك تجول في القرى، فعندما توافى قرية يتشـاورون مـع شيخها فكان يجمع لهم مقداراً من النقود يرضيهم به، فيتركون القرية، ويـذهبون إلى غيرها، فيفعلون بالثانية والثالثة وهلّم جرا. هذه النقـود يسـميها الحوارنـة (تسفيرة) فلو اطلعت على دفاتر القرى لوجدت نفقة التسفيرة يربو على المئـات من المجيديات في كل قرية وفي بعضها من الليرات.

---

(١) *يبدو أن خليل رفعت الحوراني ما يزال يراهن على حكومة الاتحاديين ويعول عليها وعلى دستورها ما لم تفكر به هي أصلاً معتقداً أن الشعارات البراقة ستتحول إلى واقع ملموس على الأرض على الرغم مما كان يراه يومياً ويعيشه على أرض الواقع ويقرأه في جريدة المقتبس التي يكتب فيها لذلك أجد نفسي مضطراً للاستشهاد بهذا المقطع الطويل الذي جاء في العدد ٤٣١ الأربعاء ١٩ رجب ٢٦ تموز ١٩١٠.*

*"لا تزال عامة الضرائب الأميرية في قضاء درعا ومركز لواء حوران وبصر الحرير تدفعها كل سنة الأرملة واليتيم والفقير والجائع والعريان من الفلاحين وذلك لأن المشايخ بقوة الحكومة ونفوذهم فيها بواسطة الدرك يحصلون بالقوة الضرائب التي تصيب أملاكهم وأراضيهم من أولئك البائسين لأن الضرائب هناك يوزعها المشايخ بمعرفتهم كل سنة وأن المشايخ يملكون قسماً عظيماً إن لم يكن عشر أملاك الأقضية المذكورة فثمنه وهم لا يدفعون من ضرائبها شيئاً ولذلك أصبح الفلاحون يكرهونهم كره الأحرار لعبد الحميد في الزمن الغابر"*

(٢) *-أبرز الخوري بولس سيور البولسي من بين سكان السهل الحوراني عشيرتان هما:*

*١-الحريريون ويقطن شيخهم في الشيخ مسكين حيث ملكه ومن دمه ثمانية عشر زعيماً.*

*٢-الزعبيون وشيخهم في خربة غزالة حيث مقتناه ومن عشيرته عشرون شيخاً مسؤولاً في قرى مختلفة.*

*المسرة، المصدر والعدد نفسه، جـ ٣، ص ٩٥.*

**ملكية المشايخ:** للمشايخ قسم عظيم من أملاك القرى وأراضيهم وهم لا يدفعون من ضرائبها بارة واحدة بل يوزعون حصة أملاكهم وأراضيهم من الضرائب على أملاك أفراد القرية وأرضهم الذين يوجد بينهم اليتيم والأرملة والفقير فيجبونها منهم بقوة الدرك [1] هي والتسافير ونفقات شتى يسمونها (وسيط القرية) قال بعض العارفين بأحوال حوران أن بعض المشايخ تسابقوا على المشيخة (المخترة) فدفع الواحد (٣٠٠) ليرة، ودفع ابن أخيه (١٥٠) ليرة إلى أحد متصرفي حوران في الزمن الغابر [2] فأبقى الشيخ مختاراً أول والثاني مختاراً ثانياً. وقس باقي القرى على ذلك قل بأبيك فالذي كان يدفع ذلك المبلغ كي يكون مختاراً في قرية، هل هو لأجل الفخر فقط؟ كلا ثم كلا. بل كان يفعل ذلك فيحصّل المبلغ أضعافاً مضاعفة من أهل القرية، ليمتص دماءً كثيرة من أفرادها كما كان يفعل بالشعب عامة إمام المستبدين الخاقان السابق.

للمشايخ امتياز على الشعب غير الذي ذكرناه، ومن المقرر عندهم أن لا تكون الأعضاء المنتخبة في مجلس الإدارة وفي المحاكم إلا منهم في اللواء والأقضية، فلو فحصت ذلك لوجدت أنه منذ عشرات السنين اختصت العضوية بسبعة رجال من المشايخ فهم مخاتير من القرى وأعضاء في المجالس.

إني قد سمعت من الذين يحبون الشعب، ويحترمون حق الفرد، يقول: إنه يعجب من أخلاق بعض المشايخ الحورانة وهو إذا حل أحدهم ضيفاً في دار أحد الفلاحين يزداد صاحب الدار سروراً لضيافته، فيفرش له أحسن ما عنده من الفرش ويذبح رأس غنم أو رأس ماعز، ويصرف أمداداً من البرغل والسمن والحنطة والشعير إكراماً له، فبعد أن يذهب من داره يحصل لصاحب الدار قضية، فيذهب إلى مركز اللواء أو القضاء فيخبرها الشيخ الذي عنده كان ضيفاً بالأمس فيطلب منه دلالة لطريق الحق، فما يكون من الشيخ إلا إذا كانت

---

[1] *جاء في مقالة صحفية في المقتبس بعنوان (المؤلمات الحورانية) ما يلي:*

*يؤلمني استبداد مشايخ الحورانة والبدو بشعبهم ويفعلون بهم كيفما شاؤوا كما كان يفعل عبد الحميد في الأمة.*

*يؤلمني حرمان حوران من المكاتب الابتدائية والرشدية يؤلمني عدم إصلاح حوران وإدخالها في المساواة مع الجامعة العثمانية.*

*انظر، المقتبس، العدد ٤٣٦، ٢٥ رجب ١٣٢٨هـ ١ /٨/ ١٩١٠.*

[2] *المقصود بالزمن الغابر عهد السلطان عبد الحميد الثاني.*

القضية يكتفي منها القاضي بها فالشيخ يضاعف ذلك للفلاح الـذي التجـأ إليـه ولولاه لم يكن الشيخ مختاراً ولا عضواً ولا..

هذا ما سمعته من أحدهم في زمن الاستبداد أيام كنا لا نقـدر بمثـل هـذا القول خوفاً من طغي وبغي رجاله المستبدين فتأمل.

## العربان الرحالة في حوران [1]

يقسم العربان الذين يقطنون بيوت الشعر في ربوع قضاء درعـا وبصـر الحريري وقضاء نفس لواء حوران في أقضية جبل حوران إلى قسمين.

القسم الأول: عربان البادية.

القسم الثاني: رعاة أبقار وماعز الحوارنة والدروز.

ينزل القسم الأول أربعة أشهر في داخل الجولان وأقضية حوران، ليأخذوا ما يكفيهم من الحنطة والدقيق واللباس لمؤونة ثمانية أشهر يقضونها فـي باديـة الشام خارج المعمورة بين نجد والعراق والحجاز وبادية الشـام وهـذه أسـماء عشائرهم ومقدار بيوتهم على وجه التخمين.

### أسماء العشائر زعيمهم عدد بيوتهم

١-الرولة نوري الشعلان ٣٠٠٠

٢-المعجل دحام ٤٠٠٠

٣-ولد علي رشيد الدوخي ٥٠٠ هؤلاء يرجع نسبهم. إلى عنزة

٤-السوالمة غياض ٣٠٠ .

٥-عبد الله ٣٠٠٠

٦-بنو خالد فارس القاضي ٥٠٠٠

٧-الخريشة حديثة ٣٠٠٠

٨-السرحان ٤٠٠٠

٩-الجبور ٣٠٠.

---

[1] انظر المقتبس –العدد ٤٥٦ /١٨ شعبان ١٣٢٨ ه/٢٤ آب ١٩١٠.

١٠-السردية غالب ١٠٠ يقطنون جبل

١١ -العيسى. ٢٠٠ حوران

١٢-الزبن -الهكيش ١٠٠

١٣-الخفير الغبين.

١٤-الحجابا ٣٠٠.

١٥-السليط ٢٠٠.

١٦-الكعابنة .١٠٠

٧٠٠٠= مجموع البيوت.

هؤلاء بني صخر يقطنون أقضية الكرك والسلط.

القسم الثاني: وهم الرعاة في حوران والجبل وغيره الذين يقطنون اللجاه والصفا فينضمون إلى الدروز.

ويغارون على إقليم الغوطة وإقليم المرج وعلى ربوع وادي العجم وعلى تجار بغداد ودير الزور وعلى أبناء السبيل وقرى الحوارنة فالذين يقطنون الجبل يدعون بعرب الجبل والذين يدعون بعرب اللجاه والصفا وهذه أسماء عشائرهم.

## عربان الجبل اسم العشيرة عدد بيوتهم

١-المساعيد ٢٥٠.

٢-الشرفاة .٢٠٠

٣-العظماة ٢٠٠.

٤-الشنابلة ١٠٠.

٥-الحسن ١٠٠ المجموع ٨٠٠ بيت.

## عربان اللجاه

١-العوران ٥٠ هؤلاء بزعامة سعد الدين أبو سليمان.

٢-الشرعة ١٠٠.

٣-المراشدة ٧٠.

٤-اللزوق ٥٠.

٥-جوابرة ٧٠.

٦-المزاودة ٣٠.

٧-الرويس ٧٠= المجموع ٤٤٠ بيتاً.

## عرب الصفا:

الغياث والعمور. [هؤلاء ليس لهم قوة ولا حياة إلا بأشقياء[١] الدروز فإذا تراجع الدروز عن بغيهم يخضعون من تلقاء أنفسهم للقانون].

## بنو عناز [٢]

يقوم بنو عناز على تربية الإبل فقط، يتغذون بلبنها، ويطوفون على مطاياها من حوران إلى العراق، فنجد، فحلب، وفي إيابهم وذهابهم يبيعون ذكورها من أهل حوران وإناثها السمينة والباقي من ذكورها إلى تجار الإبل بني عقيل وهؤلاء يجلبونها إلى يافا وغزة ومصر، فيبيعونها من أهلها. وعنزة يغزون عرب الطرق وحلب كما أن أولئك يغزونهم عنزة و(عرب الجبل واللجاة والصفا) بينهم عداوة، فهم يغزون بعضهم بعضاً ولقلة عدد عرب الجبل واللجاه والصفا بالنسبة لبني عنازفهم يحمون أنفسهم من عنزة في التجائهم إلى جوار الدروز في حوران وإلى اللجاة والصفا المجاورين له. أما عرب الصفا واللجاة يربون الغنم والماعز لأنفسهم وبعضهم يرعى غنم الدروز والحوارنة وماعزهم.

أما الحكومة الاستبدادية فقد كانت في الزمن المنصرم بدلاً من أن تؤدبهم وتدعوهم إلى الحضارة كانت تلطف زعماءهم برواتب وافرة وتبرهم بخلع وأوسمة ورتب.

فلما أعلن الدستور في الوطن العثماني بدأ رجاله بالضرب على أيدي المستبدين وإجراء العدل والمساواة فيه، فأوجسوا خيفة مما كانت تجنيه أيديهم لأن حكومة الاستبداد بدلاً من تجازي الأشقياء وزعمائهم بالضرب على أيديهم

---

[١] *تستخدم السلطات الحاكمة ومفكروها ومؤرخوها تعابير: أشقياء، عصاة، الصعاليك، الزعر في وصف من يتحداها أو يثور على تلك السلطات أو من لا يخضع لهيمنتها. ولعل الحوراني هنا لا يخرج عن هذا السياق الفكري إلا قليلاً فيكرر مثل هذه التعبير.*

[٢] *المقتبس، العدد ٤٦٣ /٢٦ شعبان ٢٩ /٨/ ١٩١٠.*

الجانية طبق الأحكام القانونية كانت تعطي إلى من يقطع السبيل راتباً أو وساماً أو رتبة أو تبره بخلع، أو تحسن عليه بلقب بك وهو أحرى بأن يدعى بأشقى الأشقياء.

الحكومة البائدة في حوران لم تكفيها جنايتها على القانون حتى أنها جنت على لقب بك بعد أن كان مخصصاً لمن يستحقه من الناس. فهي أعطته إلى الأشقياء اقتداءاً بعمل إمامها المستبد الكبير عبد الحميد دامت هذه المعاملة في زمن الناظم وخلفه فبسببها كان زعماء الأشقاء يتسابقون إلى الشقاوة لينالوا ما نال أمثالهم.

هذه المعاملة التي سببت تزايد الشقاء في ربوع حوران فالآن نكتفي بالبحث في هذا الصدد فنقول: الآن إذا كانت حكومتنا العثمانية الدستورية تريد أن تقلب اسم اللجاه والصفا من الشقاوة إلى الخير والعمران فعليها أن تسوق المهاجرين، فتبني لهم قرية على بركة الصفاه الوحيدة التي لولاها لما عاش أهل الصفاه من عدم الماء فيها، وتنشئ عندها مخفراً يقيم فيه فرسان من الدرك أو الهجانة، وتسوق على اللجاه مهاجرين، فتسكنهم في خرب حجر وصور والجري وجندل وعاسم وقيراطة والبوير وحسيكة وفي ايب وحامر، وتتألف منها ثماني قرى، وينشأ هناك ثلاثة مخافر واحد منها في ايب وحامر والثاني من جهة الشرق والثالث في الشمال، ويقيم فيها فرسان الدرك والهجانة. وما زالت تلك الخرب وأراضيها محلولة معطلة تبقى مسكناً للأشقياء.

أما إذا عرب الصفاه واللجاه يطلبون أن يسكنوا فالحكومة إذا أعطتهم من الأراضي الأميرية المدورة أو من المحلولات الأميرية الواقعة خارج الصفاه واللجاة في أراضي تكون سهلة بالنسبة لهم. ليس فيها مثل وعرة اللجاه والصفاه، فتكون قد قامت بالإصلاح الحقيقي، فلم يعد يسمع أهل الوطن شقاوة اللجاه والصفاه، فتصبح جنة وتنتفع بها وبهم الدولة والأمة بعد أن كانوا أعداءً للإنسانية [1] والوطن والأمة والحكومة وهذا الإصلاح بعد أن يوفق الله سامي باشا بالضرب على أيدي زعماء أشقيائهم بعد أن يصلح الجبل. أما عرب الحسنة وعرب الجبل فهم تابعون للدروز، فمتى صلحت حال الدروز يصلح

[1] *إن هذا الوصف ينافي المنطق والعقل فإذا كانت القبائل البدوية تعيش صراعاً داخلياً وصراعاً آخر مع الفلاحين، وثالثاً مع الإدارة التي تضطهدهم بأشكال شتى، فإن اعتبارهم أعداءاً للوطن والأمة والإنسانية والحكومة وهم جزء من الوطن والأمة لغو من جهة واسترضاء للاتحاديين من جهة ثانية.*

حالهم إذا لم يكن لهم يلتجؤون إليه سوى قرى الجبل.

أما عرب عنزة فيسكنون في الخرب المحلولة التي سنذكر عددها لأنهم في ذهابهم من حوران وإيابهم إليها يمرون بها، ويسكنون، فيرعون إبلهم حتى يخلصوا الماء الذي يجتمع فيها من ماء مطر السحاب.

## وهذه أسماء الخرب ومقدار دونمات أرضها.

١-خربة خو (١٢٠٠٠) دونم ٢-خربة الغبادي (١٠٠٠٠) دونم.

٣-خربة الأدعم (١٥٠٠٠) دونم ٤-خربة زملة العليا (١٢٠٠٠) دونم.

٥-خربة الصور (١٥٠٠٠) دونم. ٦-خربة الكسارات (٨٠٠٠) دونم.

٧-خربة المضوني (١٩٠٠٠) دونم ٨-خربة أم الجمال (١٥٠٠٠) دونم.

هي والخرب التي بينها وبين قضاء صرخد وقضاء درعا.

٩-خربة قصر الحلابات (١٥٠٠٠) دونم ١٠-خربة السمرة (٢٠٠٠٠) دونم.

١١-خربة ثغرة الجب (١٠٠٠٠) دونم. ١٢-خربة قصر الأزرق (٣٠٠٠٠) دونم.

ووادي السرحان الذي كان العرب يسمونه في الزمن القديم الفردوس الذي لا ينقص عن (٨٠٠٠٠) دونم لما كان فيه من أنواع الأشجار وتنويع الثمار وجودة الهواء وكثرة العمران ولغزارة مائة.

١٣-وخربة خيكين والنحل وأبي عناز والسلطانية والعذف والسواقة وخان الزبيب والحمام والجيل وأرينبة والطبقة والقنيطرة والفالج والمصطبة والخرانة ورجم الشعير والضبيعي مجموع دونمات أرض تلك الخرب ست مائة ألف دونم.

أما عدد بيوت الرولة أعني عنزة التي مر ذكرها فهي ٤٥٠٠ بيت إذا وزعت تلك الأراضي على البيوت لوقع كل بيت ١٥٠ دونم يعني أرض تأخذ من البذار ١٥٠ مد حب فكل دونم ١٦٠٠ ذراع مربع يكفي لسكناهم عامة.

هذا إذا أرادت الحكومة تحضيرهم وإسكانهم. أما عشائر بني صخر الذين يقطنون في أقضية لواء حوران وهم الخريشة والسرحان والجبور والسردية والعيسى فعدد بيوتهم كما ذكرنا في الجدول الذي ذكرناه فهم ١٣٠٠ بيت وهم

يربون الإبل وقليلاً من الغنم مثل الرولة. فهؤلاء كذلك يغزون عرب الجبل وعرب اللجاه والصفاه، كما أن أولئك يغزونهم إلا السردية والعيسى فهم منذ اشتد الدروز تركوا عشائرهم، والتجأوا إلى عدو أهلهم الدروز، ولم يزالوا عندهم ملتجئين إليهم. فلهؤلاء موجود خرب وأرض محلولة تكفيهم واقعة في قرب أراضي أهلهم بني صخر القاطنين لواء الكرك. فهذه أسماء الخرب ودونمات أرضها.

خربة المناخر (٣٠٠٠٠). خربة النقيرة (٢٠٠٠٠) خربة الذهبيات القبلية والشمالية (٢٠٠٠٠)، خربة الثمد (٢٠٠٠٠)،خربة الموقر (٣٠٠٠٠)، خربة المديسيسات (٢٠٠٠٠). خربة المشتى (٣٠٠٠٠). خربة مشيرفة الحاج (٢٠٠٠٠). خربة سعدة (١٠٠٠٠) دونم. مجموع دونمات أرض هذه الخرب يبلغ ٢٠٠٠٠٠ دونم فلو وزعت على (١٣٠٠) بيت لأخذ كل بيت (١٥٠) دونماً فهي كافية لإسكانهم.

**أما عشيرة بني خالد،** فيعملون في تربية الغنم وقليل من الإبل وأكثرها ترعى مواشي الحوارنة والدماشقة ومنهم أهل الميدان.

فلو أعطي إليها هذه الخرب التي سنذكرها لكفت لإسكانهم وهذه أسماؤهم:

**أم القطين** (٣٠٠٠٠) دونم. الدفيانة وحواليها (٢٠٠٠٠) دونم. القيعان وحواليها (٢٠٠٠٠) دونم فيبلغ مجموع دونماتها (٧٠٠٠٠) دونم فلو وزعت على ٥٠٠ لأخذ كل بيت ١٥٠ دونماً تكفي لسكناهم.

**أما عشيرة بني صخر** وهي الهكيش والخضير والغبين وهؤلاء لهم أراض كافية في قضاء السلط مثل خربة أم العمد وأمثالها المعروفة بقرى بني صخر.

**أما عشائر حجايا والسليط والكعابنة** الذين يبلغ عدد بيوتهم ٦٠٠ بيت فلو أسكنوا في خرب لواء الكرك وهي خربة سال وخربة قصور شبيب وخرب واقعة بين الثمد وأراضي بني حميدة وأم الرصاص وخرب من وراء وادي الموجب لجهة الكرك جيدة لا ينقص مقدار دونماتها عن ٣٠٠٠٠٠ دونم فلو وزعت عليهم لأخذ كل بيت منهم ١٥٠ دونماً كفت لسكناهم فإذا أسكنت هذه العشائر في تلك الخرب تعمر على الأقل مائة قرية كانت خراب وتحيا أرضها بعد أن كانت مواتاً، فتصبح عامرة بعد أن كانت خاوية خربة. فينتفع[1] بها

---

[1] ــ المقتبس ــ العدد ٤٦٤/٢٨ شعبان ١٣٢٨هـ ــ/٣ أيلول ١٩١٠م.

الوطن والأمة وينتقل العربان من حال البداوة إلى الحضارة، فيتولد للخزينة مسانهة مئات من ألوف الليرات، وتعود هذه البلاد إلى ما كانت عليه من العمران في القرن الغابرة، كما تخبرنا أثار تلك الخرب وبقايا عمرانها وتاريخ ماضيها.

رب قائل يقول: إن تلك الخرب لا يوجد في الأرض القليل منها ماءٌ جار، فكيف تعمر من دون ماء؟ فنقول له: إن آبارها و مصانعها الباقية آثارها تدلنا، بل نقول: إن الذين عمروها وسكنوها قبل الجنكيز وتيمورلنك وقبل تخريبهم إياها، وكانت عامرة بتلك الآبار والمصانع كثيرة العدد، وهذه أغلب قرى حوران وقرى الدروز، فأهلها يعيش بها بماء الآبار والمصانع فقط. هذا إن لم تحدث فيها الآبار التي أحدثها الفن.

أما تربة الخرب فلا تختلف عن بعض أرض قرى حوران البتة، بل يوجد مثلها وأحسن منها.

فإذا أرادت الحكومة غل أيدي أولئك العربان عن الفلاحة وعن الأهالي والتجار فعليها أن تفعل بهم كما فعلت حكومة مصر بعربانها مؤقتاً ريثما يتحضروا، ويسكنوا القرى فيذوقون لغة الحضارة، ويقطنون القرى، حينئذ يتعين محل إقامتهم، ويعاملوا كما تعامل إخوانهم أهل القرى وهو أن الحكومة إذا ألفت قوة سيارة لا ينتقص مقدارها عن ألف فارس أو هجان، ففي موسم الشتاء يقطنون في المخافر التي يلزم إنشاؤها على ماء حبكة وعلى ماء قرية أمتان وعلى ماء قرية غرية شبيح وعلى ماء نمرة قرية حوط وعلى ماء بصرى اسكي شام وفي قرية الجيزة والكرك في درعا وفي الرمثا والزرقاء خلا جرش مخفر الصفاه ومخافر اللجاه هذه المخافر خلا مركز النواحي التي ستعين في حوران والجبل فهذه القوة تترتب في المخافر المذكورة، وكل قوة مخفر تكون مسؤولة عن داخل حدودها هي ورجال الدرك، وإذا دخلت إلى المعمورة كعادتها القديمة تتحضر، وتُسكَنْ في القرى وتسن تعليمات لدخولهم وخروجهم وإقامتهم في المعمورة يبين فيها وقت دخولهم ووقت خروجهم، وكيفية إقامتهم في المعمورة، وإذا كانوا في حال البداوة فهم في هذه الليلة في هذا المحل، وفي النهار في ذلك المحل ولاختلاطهم ببعضهم لبعض ولعدم إمكان تحرير نفوسهم ومعرفة أهواء أفرادهم ومحال إقامتهم ما داموا في حال الهمجية. فلهذا يجب على كل رئيس عشيرة أن يقدم شخصاً من أولاده وإخوانه يبقى رهينة عند حكومة اللواء وحكومة القضاء أو في مركز الولاية في حين

دخولهم إلى خروجهم من المعمورة فإذا قتل أحد أفراد عشيرة شيخ المرهون أو غصب، أو نهب أو أضر أحد أهل القرى وأبناء السبيل أو أحد الناس فعلى الشيخ أن يقدم القاتل أو السالب أو الناصب أو الغاصب وما سلبه للحكومة لترده إلى أهله، وتجازي الفاعل جزاء ما جنت يداه فإن لم يفعل الشيخ ذلك، فالحكومة تعقب الشيخ والفاعل من أفراده من جهة، وتبقي عندها رهينتها حتى يأخذ العدل نصابه.

فإذا فعلت الحكومة هذا الأمر، يستتب الأمن في ربوع لواء حوران بل في سورية أحسن من مصر. إذ ما من مانع يمنع العربان إلا هذا التدبير ما داموا سيارين.

فلو قتل أحدهم، أو غصب، أو سرق، ولم يكن لشيخه رهينة، يخاف عليها الفاعل، يختلط في بنيهم، أو يمسي في ربوع، ويصبح في ربوع، كذلك يجب على شيخ العشيرة أن يقدم كفيل مال عدا الكفيل الشخصي، فإذا فعلت مشايخ العربان هذا الأمر، وعلم بذلك أفراد عشائرهم فكل واحد سيلزم أدبه، ولم يتعد حدود غيره خوفاً من شيخه أن يسلمه للحكومة، أو يبطش به، لأنهم يخافون بطش مشايخهم، وليس لهم مناص من قوتهم أينما كانوا وأينما هربوا فهم يعرفونهم، ويأتون بهم كما يعرف الأب ابنه أو السيد عبده أو القانون مطيعه. فأعرض هذه الحقائق على محبي الوطن والأمة العثمانية[1] ورجال الإصلاح خصوصاً منهم حضرة سامي باشا الفاروقي، كي ترى الأمن في بادية الشام كبادية مصر. هذا خلا عن المعمورة في سورية إلى مصر. يبقى الإنسان في خوف حتى أن يصل حدود مصر فلما أن يدخل فيها يترك إبله ودراهمه أميناً عليها في البادية كأنه في مدينة مصر.

هذا بفضل هذه التدابير الإدارية، تنطبق على جباه الأهالي والأقاليم، فإذا فعلت الحكومة ذلك يكون الحوراني والدرزي أمينين على مالهما وأنفسهما من العربان بدون أن يكون مع أحدهما سلاح، ولا يبقى حاجة للاعتماد على نفسه أو على عشيرته أو على قبيلته أو على عائلته أو على قرابته أو على سلاحة، بل يكون معتمداً على قانون الحكومة المحيطة بالأهالي من البدو وأهل القرى وأهل المدن و...إلخ

---

[1] ــ يتجاهل الحوراني سياسة الاتحاديين الجديدة التي تنادي بالتتريك، إذ نراه يكرر تعبير الأمة العثمانية.

ذكرنا أنه يلزم تأليف قوة سيارة من البغالة أو الهجانة لتمنع البدو عن تعديهم على الفلاح في ربوع حوران كافة، فهذه القوة الدائمة السيارة بمدافع رشاشة خفيفة الحمل عظيمة الفعل، وتكون وظيفة هذه القوة على حساب الإيجاب متفرقة أو مجتمعة تختص بالضرب على أيدي من يؤذي أهل القرى وأبناء السبيل والتجار في ربوع حوران بل الولاية لأن حكومتنا الدستورية ستؤسس مخافر بالمواقع التي سبق ذكرها خلا مراكز المديريات والقائمقاميات.

ذكرنا أكثر العربان الرحالة في لواء الكرك، وهم الزبن والهكيش والخضير[1].

والغبين والحجايا والسليط والكعابنة، ومن لم يُذكروا فهم عشيرة الحويطات يبلغ عدد بيوتها زهاء ٥٠٠، وعشيرة بني عطية يبلغ عدد بيوتها ٥٠٠ منهم يعتاشون بتربية الإبل وأخذ النفقات من طريق الحجاز، فإذا أرادت الحكومة تحضيرهم وإسكانهم فعندها خربة أدرج فيها ٣٥٠٠٠ دونم ونجل فيها ١٥٠٠٠ دونم وبصيرة فيها ٣٥٠٠٠ دونم وعينى فيها ١٥٠٠٠ دونم وأرض واسعة تدعى بالشراة واقعة بين معان والعقبة والوادي الذي من منتهى الغور في الجهة القبلية أراضيها خصبة وفيها عدة أعين ماء جارية جيدة أرضها لا تنقص عن ٥٠٠٠٠٠ دونم إن لم تكن أضعاف ذلك وعليه فيكون مجموعها ١٥٠٠٠٠ فإذا قسّمت على ١٠٠ بيت يصيب كل بيت منها ١٥٠ دونماً، تكفيهم هذا إذا أرادت الحكومة إسكانهم.

أما الحكومة إذا أرادت أن تحسن إدارتها بهم فعليها أن تعاملهم كما ذكرنا بشأن عربان عنزة وبني صخر. فإذا أسكنت هاتيك العربان كلها، فيعمر بسكناهم زهاء مائتي قرية لا تزال خراباً وأرض موات، فتربح الحكومة والأمة من ينابيع واردها ومن أبنائها، وتتوفر عليها مسانهة المبالغ الباهظة التي يأخذها أولئك العربان من المرتبات الحجازية ريثما يسكنون إذا عاملتهم الحكومة بالقواعد الإدارية المؤقتة السالفة، ولسوف يأمن شرهم وعدوانهم أهل القرى بل بعضهم بعضاً فيخشى حينئذٍ كل فرد القانون إذا سولت له نفسه الاعتداء على غيره فتصبح حوران والكرك بل سورية جنة غناء، تصعد درجات الرقي بالتدريج، حتى لا يمضي عليها قليل من السنين إلا وتبلغ ما كانت عليه من العمران والسعادة في القرون الغابرة التي يدلنا عليها التاريخ، وبقاياها الباقية

---

[1] ــ انظر المقتبس ــ العدد ٤٦٥/ ٢٩ شعبان ١٣٢٨هـ/٤ أيلول ١٩١٠م.

إلى يومنا هذا، فمن رأى آثار بصرى وجرش وعمان والكرك وعـراق الأميـر في الغرب من قرية وادي السير في قضاء السلط يتحقق ما نقله عنهـا أسـتاذنا التاريخ.

ومما يقال أن الأمور مرهونة بأوقاتها، فأنا أعتقد أن هذا وقتها، وأن لـيس ذلك بعزيز على سامي باشا الفاروقي في هذا إذا كان الله أحسن علـى سـورية بإلهام حكومتنا الدستورية العثمانية توديع هذه الشؤون لحضرته، فإننا نقرأ فـي ناصية هذه الحياة الحيوية العمرانية المبنية على العلم والمعرفة والعقل والحكمة والرؤية في الأمور الجندية.

حقق الله آمالنا إنه سميع مجيب

**عرب الشرارات**[1]: يبلغ عدد بيوت هؤلاء العرب (١٠٠٠)، يـأتي قسـم منهم في بعض السنين من البادية، فيدخل المعمورة مع بني عناز (الرولة) إلـى لواء حوران، وفي بعض السنين يدخلون البادية مع بني صخر إلى لواء الكرك، ويبقى قسم في البادية من نجد والعراق، وأفراد هذه العشيرة أكثـر مـن بنـي صخر وبنى عنازة بداوة، وأكثرهم لا يعرفون الخبز ولا الحنطة، ولا يلبسـون السراويل، وليس لهم بيوت شعر، فراشهم التراب، وغطاؤهم السماء، وغـذاؤهم لبن إبلهم فقط، وقليل من التمر ويقومون على تربية الإبل فقط.

**عربان بني خالد في لواء حوران:**

يربي قسم منهم الإبل، وقسم منهم يربون الأغنام والماعز، ومقدار بيـوتهم ٥٠٠ بيت شعر، وهاتان العشيرتان كلهم مسلمون، وعاداتهم ولباسـهم وكيفيـة معاشهم كعربان البادية التي سلف ذكرها.

## القسم الثاني من العربان الرحالة:

ــ **وهو عربان الشكارة** ــ أي الذين يرعون غنمهم و ماعزهم وغنم أهـل حوران وأهل جبل حوران، فهم أعراب الجبل وأعراب اللجاه والصفا وأعـراب النعيم.

**عرب الجبل:** وهم عشيرة المساعيد وعشيرة الشـرفاة وعشـيرة العظمـاة وعشيرة الشنابلة وعشيرة الحسن. ويبلغ عدد بيوتهم كافة (٨٠٠) بيـت شـعر،

---

[1] ــ *انظر المقتبس ــ العدد ٥١٦ تاريخ ٣ ذي القعدة ١٣٢٨هـ ــ /٥ تشرين الثاني ١٩١٠م.*

ويرعى هؤلاء العشائر غنمهم وماعزهم وأغنام وماعز أهل جبل حوران ويقومون على تربيتهم، وليس عندهم من الإبل إلا لكل بيت جمل أو اثنين، تنقل بيوتهم حينما يرتحلون من مكان إلى آخر.

هؤلاء عاداتهم كعادات عرب البادية التي ذكرناها، ولباسهم وغذاؤهم أكمل من عرب البادية وأنقص من الحوارنة، وقد ذكرنا في أعداد ٤٦٣، ٤٥٦، ٤٦٤، ٤٦٥، من أعداد جريدة المقتبس مفردات هذه العشائر وعائلاتهم مع أهل الجبل وعرب البادية. في مقالات العرب الرحالة في حوران.

**عرب اللجاة والصفاه:** هم عشيرة العوران وعشيرة الشرعة وعشيرة المراشدة وعشيرة اللزوق وعشيرة الجوابرة وعشيرة المزاورة وعشيرة الرويس هؤلاء هم عرب اللجاه، وعشيرة الغياث وعشيرة العمور هاتان العشيرتان هم عرب الصفا، وعدد بيوتهم (٥٥٠) بيت شعر، يرعون أغنامهم وماعزهم وأغنام بعض الحوارنة والدروز وماعزهم وعاداتهم كعادات عرب البادية، ولباسهم ومعيشتهم مثل عرب الجبل الذين سبق الكلام عليهم.

**عرب النعيم:** هم (١٥٠٠) بيت شعر، وهي عشيرة الطحان وعشيرة الصياد وعشيرة البكار وعشيرة العفاجلة وعشيرة الشراحيل وعشيرة الخواشمة وعشيرة البارجة وعشيرة الفواخرة وعشيرة اللبين[١] وعشيرة أبو حسمة وعشيرة الوهبان وعشيرة الغرة وعشيرة الأبونمي، هذه العشائر تقطن كلها في الشتاء والصيف في الجولان في بيوت الشعر، ومنهم الطحان والخواشمة والأبونمي والسبادجة ولهؤلاء أراضي وخرب في الجولان يزرعونها، ويربون البقر لهم ولتجار الأكراد، والباقي منهم يتوفر على تربية البقر والجاموس والغنم والماعز، سواء كان لهم أو للتجار من أهل دمشق أكراد ودمشقيين ولأهل قرى قضاء القنيطرة والحوارنة، وكلهم يسكنون بيوت الشعر، ويقيمون في الشتاء والصيف في أودية الجولان.

وعادات هؤلاء الأعراب ولباسهم ومعاشهم تقرب من الحوارنة ورؤساء رؤسائهم بني الطحان كلهم مسلمون[٢].

---

[١] *يذكرها أحمد وصفي زكريا بـ(البين) انظر، زكريا، أحمد وصفي، عشائر الشام ط ٢، دمشق، ج ٢، ص ؟؟*

[٢] *ـ يصنف الحوراني شرائح السكان بحوران بتعبير مسلمون تارة ومسلمون سنة تارة أخرى.*

## القسم الثالث من الأعراب الرحالة:

وهم الأعراب الذين يسكنون بيوت الشعر، و يشتغلون بالزراعة وبتربية أغنامهم وماعزهم، وهم عشيرة الفضل وعشيرة بني حسن وعشائر الغور النازلين شرقي نهر الشريعة (الأردن).

**عشيرة الفضل:**

هذه العشيرة تسكن بيوت الشعر، وتقيم في الشتاء والصيف في أرضها وخربها الواقعة في الغرب من قضاء القنيطرة المعروفة بأراضي الفضل، تتعاطى الزراعة، وقليل منهم يعمل في تربية المواشي، وقد استملك أراضي هذه العشيرة زعيمها الأمير محمود الفاعور وأعمامه وأفراد هذه العشيرة عندهم اليوم مزارعون، لأن الأراضي جرى تطويبها باسم رئيس العشيرة، ويقدرون بيوت هذه العشيرة بـ ٤٠٠ بيت كلهم من المسلمين، وأرض عرب العشيرة كلها سقي تروى بالماء، ولا تعتني هذه العشيرة بزراعة الأرض كما يتوفر زراع المرج والغوطة على تعهد أراضيهم.

فلو اعتني بها، وزرعت من جميع الأشجار والأرز لنفعت أهلها والأمة أضعافاً مضاعفة.

عشائر الغور في شرقي نهر الشريعة من لواء حوران:

هذه العشائر كثيرة أكثرها عرب السقر وعرب الغزاوية وعرب البلاونة وعرب اللهيب وعرب الفجلية وعرب الهنادي وغيرهم.

عدد بيوت هذه العشائر (١٥٠٠) بيت شعر، منهم عرب الغزاوية والسقور يشتغلون بزراعة الأراضي المدورة الأميرية التي كانت ملكاً لعبد الحميد، فهذه الأراضي كانت ملكاً لهم، فأخذها منهم عبد الحميد وجعلها ملكاً له.

أما عرب البلاونة فقد اشتراها منهم الصهيونيون اليهود، فأصبحوا بلا أرض. وتقوم العشائر الباقية على تربية الأغنام والماعز، وترعاها، وترعى أبقار لها وللتجار، وعادات هذه الأعراب ولباسها ومعاشها كأعراب النعيم، وكلهم مسلمون فمنهم عرب اللهيب والفجلية والهنادي، وقسم منهم ألفوا النهب والسرقة وقطع الطرق، فلو انصرفت العناية بأرض الغور كما بينا في بحث الأراضي، وفتح فيه جداول ماء لسقت كثيراً من أرضه تكفي هذه العشائر وأضعاف أضعافها للسكن، فيعملون الزراعة والفلاحة وغرس الأشجار التي تصلح هواء ذلك الإقليم.

**عشيرة عرب بني حسن:**

رحالة، ولكنها أطوع من العشائر[1] وأهل القرى للقانون والحكومة. هذه العشيرة محبة للحكومة قسم منهم في أراضي العشيرة: فلهذه العشيرة أرض واسعة خصبة وتربتها طيبة فهي نحو ٣٥ خربة. فهذه العشيرة ما زالت تسكن في بيوت الشعر، وتربي المواشي لنفسها من الغنم والماعز، وتزرع أرض خربها السالفة. هذه العشيرة يحق لها أن تدعى بالخادمة للإنسانية مع أنها في حالة البداوة، ولهذه العشيرة مائة ألف رأس من الغنم والماعز.

لهذا تراها لا تستفيد من أرضها بالزراعة كما يستفيد باقي الزراع المذكورين. هذه العشيرة تدفع إلى صندوق الأمة مسانهة مبلغاً لا يقل عن ألوف الليرات. أرض هذه العشيرة هي البلقاء التي يذكرها التاريخ وتدل آثارها أنها كانت جنة لكثرة بساتينها وأشجارها، فهي لا تزال مزينة بالأشجار الباقية من حراجها. هذه العشيرة قوية الشكيمة وأكثر عدداً، وأشد قوة بين جميع العشائر الرحالة ولكنها أطوع من العشائر وأهل القرى للقانون والحكومة. فلو رزقت قائمقاماً يكون مطلعاً على حقيقة أخلاقها بهمة قليلة يصرفها لها بالنصيحة فبذكائهم تصبح الخرب قرى، فيستفيد فوائد شتى فهم في مدة قليلة يعمرون ٣٥ قرية لأنهم أغنياء، يقدرون على بنائها من أنفسهم إذا صار لهم من يهديهم، ويدلهم.

تسكن هذه العشيرة في الأراضي والخرب الواقعة من غربي السكة الحجازية وفي شرقي حراج عجلون وأرض سوف وأرض جرش ومن شمالي وادي الزرقاء، وقسم قليل من قبليه ومن قبلي أرض نعيمة بن عبيد وأرض الرمثا، وخرباً وأرضاً محلولة خاوية خربة وهي المعروفة بأراضي بني حسن، فهذه الأراضي ٣٥ خربة وتربتها كما ذكرنا في بحث الأراضي منبتة وخصبة، وآثارها تدل على أنها كانت جنات غناء بالأشجار والبساتين، يبلغ عدد بيوت هذه العشيرة زهاء ٢٠٠٠ بيت شعر، كلهم مسلمون وهم ست فرق ١ ــ المشاجبة ٢ ــ بنو هليل ٣ ــ الخزاعلة ٤ ــ الخوالدة ٥ العموش ٦ ــ الزيود وهذه العشيرة تسكن في بيوت الشعر كلها، فتربي الأغنام والماعز لنفسها، وترعاها، وتشتغل بأرضها المذكورة. ولما كانت لا تعرف من أمر الزراعة إلا

---

[1] ــ كرر الحوراني هنا في الأسطر من ١ ــ ١٤ ما كتبه عن عشيرة بني حسن في مقالته في المقتبس العدد ٥٠٩/٢٣ شوال ١٣٢٨هـ.

القليل، فهي لا تستفيد من أرضها كالحوارنة، ولو عنيت بأرضها لدرت أضعاف واردها اليوم من الزراعة، ولو غرست فيها الأشجار على اختلاف أنواعها يعود إلى ديارها مجدها القديم فتصبح جنة أرضية ولهذه العشيرة (١٥٠) ألف رأس من الماعز والأغنام، تسرح في تلك المرابع الجيدة، والموجد لهذه المواشي الكثيرة هو الكلأ والهواء، وتنعم بالخصب والأمراع، ويا ليت الحكومة تؤلف في كل قضاء لجنة لإسكان العربان الرحالة من أرباب العلم العارفين طرق تحضيرهم حتى لا تمضي بضع سنين إلا وترى قد عمرت ٣٥ قرية في أرض بني حسن، سكنوها فآوتهم، وأن كثيراً من القرى في الغور والجولان يسكنها عرب النعيم والفضل والغور، وبالنظر لما اشتهر عن بني حسن من الغنى والكرم توشك إذا جاءتها لجنة تنشطها، وتشوقها، وتدلها على السكن أن تقبلها فتعمر خربها قرى من كيسها، إذا لم يمكن الحكومة إعطاءها إعانة أو قرضاً.

فإذا كانت هذه اللجان مؤلفة من أهل الكفاءة والعلم والمعرفة بأحوال العربان الرحالة وأخلاقها وعاداتها فهي تكتفي لتحضير عرب بني حسن وعرب الغور وعرب النعيم وعرب اللجاه والصفاه حتى يمكنها تحضير العرب البادية الرحالة، أعني بني عناز وبني صخر والشرارات في الخرب المحولة التي ذكرنا أسماءها ومقدار دونماتها وأسماء العشائر التي تناسب سكناها.

نعرض هذا على حضرة سامي باشا الفاروقي وعلى جميع محبي الإنسانية والوطن والأمة ونتضرع إلى الله أن يحسن على هذا الوطن برجال من أبنائه محبين له يعرفون أحوال ما يضمه من أبنائه ويداوون عللـه ويقومون أوده ومعوجه.

أنا أعتقد أنه إذا جرت الإصلاحات التي يقضي بها العدل والمساواة التي يفرضها الدستور على أفراد الجامعة العثمانية المبجلة في ربوع حوران[1] يرتفع منها التغلب وهضم حقوق الفرد من لدن كل من اعتاد لك، فيبقى سم كل طاغ وباغ ممن يعدون لأنفسهم امتياز فخفخة وجربزة على عاتق الفرد في جوفه فينال كل فرد حريته الشخصية، فيرضى بحقه، ويحترم حق أخيه، وينقص بنيان الزعامة في حوران كما انتقص بنيان المستبدين في يلديز العاصمة.

---

[1] ــ *المقتبس ــ العدد ٥١٢/ ٢٩ شوال ١٣٢٨هـ/ ٢١ تشرين الثاني ١٩١٠م.*

الحوارنة كلهم مكرمون للضيف، ففي كل دار مضيف لها، مفتوح للغريب والقريب من أبناء البشر عامة في قرى حوران.

فلو أن المعارف عمت بينهم في كل قرية من قراهم كما ذكرنا في بحث المعارف، لزاد رقيّهم بتحسين صنعتهم، وخدموا بلادهم ووطنهم وأنفسهم ودولتهم خدمة تُسطر في التواريخ، فيجتمع إذ ذاك ذكاؤهم وخصب تربة أراضيهم وسعتها، فيستفيدوا، ويفيدوا إفادة تليق بها، كما هو الحال في البلاد العامرة الغربية.

## عادات العربان في حوران وأخلاقهم:

العربان الرحالة في حوران ثلاثة أقسام. القسم الأول البادية والقسم الثاني. العربان الزراعة.

والقسم الثالث. العربان الشكارة.

**القسم الأول: العربان البادية وهم بنو عناز (عنزة)** وهم عشيرة الرولة وعشيرة المعجل وعشيرة السوالمة وعشيرة ولد علي وعشيرة ابن محيد واسمها الثاني عبد الله ومن بني صخر عشيرة الخريشة وعشيرة السرحان وعشيرة الجبور وعشيرة السردية وعشيرة العيسى وعشيرة الشرارات.

عدد بيوت هذه العشائر ومناسباتهم مع عرب الجبل ودروز جبل حوران ــ كنا ذكرنا في مقالة عنوانها ((العربان الرحالة)) في حوران، وذكرنا فيها أوقات دخولها إلى حوران وخروجهم منها، والمدة التي يقيمون فيها في حوران وفي البادية، وذكرنا فيها ماذا تفعل الحكومة لتحافظ على الفلاحين ومزروعاتهم منها.

**غذاء البدو.** الخبز ولبن الإبل والتمر واللحم فقط، أعني أن الذين يجدون الخبز والتمر هم أغنياؤهم ووجهوهم ومشايخهم، وما دونهم يكتفون بلبن الإبل وقليل من التمر، والقسم الأعظم منها وخصوصاً الشرارات يتغذون بلبن إبلهم، فيغذيهم، ويسد معهم مسد الماء في أغلب الأحيان.

**لباسهم:**

يلبسون ثوباً يكسوهم حتى أقدامهم وعباءة ومنديلاً على رؤوسهم، وقليل منهم من يلبس في رجليه النعل، هذا لباس الرجل والنساء منهم، ولا يلبس السروال إلا بعض شيوخهم وفرسانهم، وإن لبن إبلهم ليقوي أجسامهم، كما

يقيتهم ويرويهم، فترى أحدهم يقفز على البكرة من الإبل، وهي تهرول بسرعة، فيمتطيها نشيطاً. يفعل هذا رجالهم ونساؤهم، فترى الرجل منهم يمشي على قدميه مسافة عشرة أيام كأنه ذهب من سوق السعادة (الحميدية) إلى دار الحكومة في دمشق، لا نرى عليهم أثراً من العجز، هؤلاء البدوان أهل سخاء وكرم وشجاعة، فلو ضاف أحدهم ضيفاً ولم يكن عنده سوى لبن يُبقي نفسه جائعاً ويكرم بعشائه ضيفه. أما شجاعتهم على ظهور الجياد فيعجز عن وصفها القلم، ففي أغلب الغزوات بعضهم على بعض يقابل فارس واحد منهم المئات من الفرسان، ويهاجم، ويستعمل من أساليب الكر والفر ألواناً فلو تهيأ منهم جيشاً يكون عدده نصف مليون، ويتسلح بالأسلحة الحديثة، وتنظيم حاله كالجيوش المنظمة بقيادة قائد حازم عادل جبار عاقل لأمكن هذا القائد بهذا الجيش مطاردة الملايين من جيوش الأرض وهذه العشائر كلها من أهل الإسلام، ولا يعرفون من الإسلام شيئاً سوى كلمة الشهادة، ولا يفرقون بين الطهارة والنجاسة، ولا يميزون بين الحلال والحرام، وهذا ناشئ من جهلهم فقط لا من عقيدة يعتقدونها.

**مسائل الزواج عندهم:**

إذا وقع بين الرجل والمرأة قبول، يطلبها الرجل من أبيها أو أخيها، ثم يتقابل الزوج والمرأة فيقول أحدهما لصاحبه (أنت قبلتني زوجاً فتقول نعم ويقول لها نعم) فهذا عقد النكاح عندهم. هؤلاء العشائر وخصوصاً بني عناز ممن يفنون حياتهم بتربية إبلهم، فنراهم يعبدونها، ولا يهمهم سوى رعيها بالأرض الخصبة أن بعدت أو قربت، وهذه العشائر تخرج إلى البادية لغزو عشائر ولاية حلب السبعة وعشائر بغداد العمور، كما أن أولئك يغزونهم فلو اتفقت حكومة سورية وحكومة حلب وحكومة بغداد وأمرت أولئك العشائر بترك الغزو بعضهم على بعض، لتركوا الغزو فتوفر كثيراً من نفوسهم لأن كل رجالهم يموتون قتلاً لا حتف أنوفهم، ويهلكون بالغازات والغارات، ونساء هؤلاء العربان يضعن حملهن وهن على ظهور الإبل، فيتغذى بلبن الإبل ورجالهم اعتادوا تعدد الزوجات.

ولهؤلاء العربان قضاة يقضون الدعاوى التي تحدث بين أفرادهم، لا فرق بينهم وبين القضاة في قسم من الدعاوى أعني عند الأفراد، فواحد مختص بقضاء دعاوى القتل، والثاني بالسرقة، والثالث بالجرح، والرابع بهتك العرض وهلم جرا.

ولقد اعتاد زعماء هؤلاء العربان أعني شيوخهم أخذ الخوة من قسم عظيم من قرى الحوارنة عندما يدخلون المعمورة، أي في مدة مجيئهم إلى حوران من البادية، وخروجهم منها، وفي إقامتهم في حوران ألفوا أخذ الخوة من تجار الإبل الذين يذهبون إلى أصقاع نجد والعراق وما بين النهرين، فيجلبون الإبل والأغنام إلى بلاد الشام وفلسطين ومصر، بل أن لكل شيخ من التجار الذين يشترون إبلهم قسم من التجار ويأخذ منهم الخوة، فلهذا نرى أولئك التجار يبقون تحت سيطرة أولئك المتغلبين الطغاة حتى يخرجوا من حدود القدس، فيدخلون حدود مصر، فمتى دخلوا أمنوا مكرهم وكل مكر.

نعم إن الحكومة المصرية تأخذ دخولية على كل رأس من الإبل نصف ليرة وحكومتنا تأخذ عشرة قروش صحيحة باسم عداد، فالتجار أنفسهم يتمنون لو تؤمنهم الحكومة من شر أولئك الزعانف الأشرار في العراق وحلب والزور، وفي سورية وفي القدس، ويدفعون إلى الحكومة على كل رأس من الإبل رسماً في حدود ولايات بغداد وحلب وسورية والقدس، فيكون التاجر أميناً على ماله كما هو الحال في مصر.

يدخل مصر كل سنة من إبل أولئك التجار من ٥٠ ألف إلى مائة ألف رأس، وهذا بحسب الطلب وجودة السنين، فلو فرضنا لكل عام ٦٠.٠٠٠ رأس من الإبل يأخذها التجار إلى مصر، وبعد أن يؤمن التجار على مالهم، تأخذ الحكومة على كل رأس نصف ليرة لبلغ واردها ٣٠ ألف ليرة، فالحكومة اليوم لا تأخذ أكثر من ٥ آلاف ليرة، فتربح ١٢٥ ألف ليرة مسانهة، فتتسع التجارة، على نسبة اتساعها يزداد وارد الخزينة، فإذا حصل الأمن في أنحاء تلك الولايات، فستأخذ من عدد مواشي العربان الرحالة فيها ما يزيد عن مئات الألوف من الليرات، وهذا لا يتأتى إلا ببسط الأمن على ربوعها حتى يكون كل فرد أميناً ماله وحياته وحريته الشخصية ومحترماً لحقوق إخوانه كنفسه ليت شعري لو ألفت الحكمة الإيات من الهجانة لولاية بغداد ولواء الزور قدر ٤٠٠٠ ولسورية والحجاز وحلب والقدس ٤٠٠٠، ونظمتها، وجعلتها في عداد الجيوش المنظمة المدربة، ورفقتها بـ ٣٢٠ من المدافع الرشاشة (المترااليوز) مع كل مائة هجان (٤) مدافع، ورتبت أفرادها برواتب لكل نفر ثلاث ليرات في الشهر، ورتبتهم من بني عقيل ومن أفراد العربان الذين يتحملون الأسفار وحر تلك الربوع وضواحيها، بالنظر لسعة هذه البلاد وقلة القرى والعمران فيها، ويجعل في وظيفة المحافظة وبسط الأمن العام فيها جنود منها يطوفون على

مطايا الهجن فيضربون على كل يد شقية، لأن الهجين تقدر أن تبقى مدة ثمانية أو عشرة أيام بلا ماء، وترعى من نبات تلك الأصقاع، كما تحيا بها إبل عرب البادية، الهجانة. يمكنها أن تذهب من بغداد إلى حلب فسورية فالحجاز في أيام قلائل لا يمكن للجياد ذهابها فيها من أجل فقدان الماء والغذاء، وبُعد الأنحاء فيها. لأن الخيل لا تصبر بلا ماء ولا تكتفي بغذاء الهجن، ويمكن الهجان أن يحمل هجينه مؤونة نفسه شهراً وماءها عشرة أيام، فهذا لا تقوم به الجياد ولا البغال فلهذا نرى البدوان حينما يغزون بعضهم بعضاً، يتركون الخيل، ويركبونها، إذا كان مغزاهم بعيداً، يعني إذا غزت عرب سورية عرب العراق كذا تفعل وهكذا تفعل أهل نجد والحجاز، فهذا الأمر من مقتضيات أقاليم هذه البلاد وخلقتها الطبيعية.

## عادات سكانها وحياتهم:

هذه فرنسا وإنجلترا تستعملان الهجين في عسكرها في تونس والجزائر ومصر. ويدلنا التاريخ أن الحكومات العربية العباسية والأموية كانت تستعمل الهجن في جيشها المحافظ على هذه الأقاليم، فإذا رأت حكومتنا جيشاً من الهجانة كما سلف، سيستتب الأمن في تلك الولايات والألوية وباديتها كافة. أعني من الحجاز حتى سورية ومن سورية حتى حلب فالزور فبغداد، فتسعد البلاد بالأمن وتغنم، وتتوفر التجارة فيها، وتعمر القرى في الخرب الخاوية الخربة، وتحيا ملايين من دونمات الأرض الميتة في بعض سنين فتعود تلك الأرجاء إلى مجدها وعمرانها الكلداني والفينيقي والبابلي والعربي، وتدر على الأمة والوطن والحكومة العثمانية ينابيع ثورة على ما سيجيء، ويرد خزينة الأمة مبلغ يقرب من نصف مليون ليرة في البداءة إذا ألفت الحكومة إلايات الهجن في البادية.

وبعد استتباب الأمن العام فيها على هذه الصورة، يبلغ واردها لخزينة الأمة ملايين من الليرات ومئات الألوف، ممن يقوموا بهم كيان الدولة من الجنود الشجعان. ويقتضي صرف ٥١٤٤٨٠ ليرة لتأليف فرق من الهجانة، منها ٨٠٠٠٠ ليرة ثمن ٨٠٠٠ هجين سعر الواحد ١٠ ليرات و٢٨٨٠٠٠ ليرة راتب ٨٠٠٠ جندي لكل جندي ٣٦ ليرة مسانهة و١٢٠٠٠ ليرة ثمن طقوم الهجن، سعر الطقم ليرة ونصف و٣٤٤٨٠ ليرة راتب الأمراء والضباط، منها ٨٨٨٠ ليرة راتب ١٦ بيكباشياً راتب الواحد منهم السنوي ١٨٠ ليرة و٩٦٠

ليرة راتب ١٨٠ يوزباشياً، الراتب السنوي للواحد منهم ١٢٠ ليرة، ١٦٠٠٠ ليرة راتب ٢٠٠ ضابط راتب الواحد منهم السنوي ٨٠ ليرة، ٦٨٠٠٠ ليرة منها ٤٠٠٠٠ ليرة ثمن ٨٠٠٠ بندقية ثمن الواحدة ٥ ليرات، و٥٠٠٠ ليرة ثمن خرطوشها، ١٩٢٠٠ ليرة ثمن ٣٢٠ مدفعاً سعر الواحد ٦٠ ليرة، و٣٨٠٠ ثمن خرطوشها، و٣٢٠٠ ليرة ثمن علف للهجن، مجموع هذه المبالغ التي سلف ذكرها ٥١٤٤٨٠ ليرة أثمان الهجن وطقمها، وثمن علفها، وثمن أسلحة الجنود ومدافعهم وخرطوشهم، ورواتب الجنود وقوادهم مسانهة.

أما مصرف الجنود الهجانة السنوي الدائمي فهو نحو ٣٥٤٤٨٠ ليرة، منه ٢٨٨٠٠٠ ليرة راتب الجنود السنوي و٣٢٠٠٠ بدل علف الإبل وثمن طقومها.

أما النقود التي تبقى في صندوق الأمة والتي ستدخل له بسبب الهجانة وهي نحو ٥٠٠٠٠٠ ليرة مسانهة منها ٣٠٠٠٠ ليرة المرتبات الحجازية التي تأخذها العربان، ونفقة الجنود التي تذهب لمحافظة الحج، والخسارة التي توقعها العربان بقوافل الحج من النقود والمواشي والنفوس والأموال، ومنها ٢٠٠٠٠٠ ليرة نفقة الجنود النظامية وأفراد الدرك التي تقيمها الحكومة لهذا المقصد في مخافر الولايات المذكورة، وقلاعها من الرجال والفرسان، ورواتب أمرائهم ورواتب ونفقات نقلهم وأثمان حيواناتهم، ومنها ١٧٠٠٠٠ ليرة أعداد مواشي العربان الحجازية والعراقية وولاية بغداد والبصرة والتي في بادية الشام، وحلب، والزور، والقدس، و٥٠٠٠٠ ليرة ضريبة أعداد المواشي التجارية بعد أن تحفظ أحوالها بعهدة الحكومة هذا في الولايات والألوية المذكورة، و٥٠٠٠٠ ليرة الضرائب التي ستأخذ من القرى التي ستنشأ في ربوع تلك الولايات والأحوال والنقود والأرواح التي ستقصدها الأمة والوطن والحكومة، بظل الأمن العام منها بقوة الجنود الهجانة وخصوصاً من المعادن والملاحة وغيرها.

فلا يمضي على الأمن العام إذا حصل في الولايات والولاية المذكورة عشرات من السنين حتى يعمر من القرى ما يقرب عشرات من الألوف فإذا مضى عليها نصف قرن أو قرن ستعود لعمرانها ومجدها القديم.

## عادات دروز جبل حوران وأخلاقهم[1]:

قرى جبل حوران[2] ١٠٨ قرية كل سكانها دروز، إلا بعض القرى ففيها قليل من المسيحيين والمسلمين وحدود هذا الجبل شرقاً البادية، وغرباً قرى الحوارنة ومنهم بنو المقداد وبنو الرفاعي والمفاعلة وقرى الحريرية وكلهم مسلمون، شمالاً الصفاه واللجاه وجنوباً البادية. يقوم دروز قرى حوران على الزراعة، وقليل منهم في هذه السنين من يتعاطى التجارة لأهل السويداء ومن عاداتهم إذا قتل زيد عمراً فمن الواجب على القاتل وهو زيد أن يترك قريته[3] هو وأهله، ويذهب إلى قرية غيرها هو وأقاربه منذ خمسة جدود وديه الرجل منهم عشرة آلاف قرش، يدفعها القاتل وأهله وعائلته لأهل القتيل.

وصداق البنت البكر ٧٥٠ قرشاً، والأرملة من ٥٠٠ إلى ٢٥٠ غرشاً وذلك على اختلاف طبقاتهم، ومن عاداتهم إذا طلق الرجل امرأته لا تحل له أبداً ولو تزوجت غيره ومن عاداتهم إذا قال الرجل لامرأته اذهبي إلى دار أبيك أو (قفي عني) بمعنى اغربي عن وجهي فهي تطلق، ومن عادتهم عدم تعدد الزوجات.

لباسهم مثل لباس الحوارنة فقط، وعامتهم يلبسون السراويل، أما الذين يلبسون منهم العقال على رؤوسهم فهم جهال، فمن شهد بصحة دينه يلبس العمامة على رأسه ولباس حريمهم مثل لباس الحوارنة، ولكنهن يلبس السراويل، ويدعن أعناقهن وبين نهودهن مكشوفة، ويرمين على رؤوسهن شاشية بيضاء ويكحلن عيونهن الواسعة، فيرين بذلك حسنهن الطبيعي.

وغذاؤهم خبز القمح والبرغل واللبن والسمن، ويميلون إلى أكل البصل واللحم والجبن معيشتهم أرقى من معيشة الحوارنة في المأكل.

ونساؤهم نظيفات أحسن من نساء الحوارنة ولا يورثون الحرمة من الدور والأرض ما دامت لها قرابة عصبية، وقل أن يسكن إخوان في دار واحدة.

---

(١) ــ كتب الخوري بولس سيور البولسي في المسرة قائلاً عن سكان جبل حوران: ((مسكنهم الجبل المعروف باسمهم ولحف اللجا الجنوبي الشرقي ويبلغ عددهم ٤٧ ألف ذكوراً وإناثاً بينهم ألفان وخمسمائة فارساً. يركبون الجياد المطهمة ويحمون الديار ويستبسلون في القتال)) المسرة، السنة الخامسة، الجزء الخامس، ١ آب ١٩١١، ص ١٧١.

(٢) ــ المقتبس ــ العدد ٤/٥١٧ ذي القعدة ١٣٢٨هـ / ٦ ت٢ ١٩١٠م.

(٣) ــ المقتبس ــ العدد ٤/٥١٧ ذي القعدة ١٣٢٨هـ / ٦ ت٢ ١٩١٠م.

## النسب عندهم:

عائلة الحلبي منسوبة إلى حلب وعائلة الرياشنة منسوبة إلى راشيا، وعائلة الحاصباني إلى حاصبيا، وعائلة الشوفي إلى الشوف، وعائلة الصفدي إلى صفد، وهلم جرا. وأعظمهم رؤساء الدين في جبل حوران عند الدروز هم بيت الهجري.

## أخلاق[1] جراكسة القنيطرة وتركمانها وعاداتهم:

منذ ثمانين سنة حضر مئات من بيوت التركمان من أطراف الأناضول[2] وهم رحالة ينزلون بيوت شعر فاختاروا الإقامة في قضاء القنيطرة لكثرة مرعاه وخصب أرضه وكثرة مياهه خصوصاً، وهم يرعون الماعز والغنم ويربونها، ويربون الأبقار. فبعد أن أقاموا في الجولان بضع سنين، عمروا زهاء ١١ قرية، تدعى الآن بقرى التركمان فهو يشتغلون الآن في الزراعة والفلاحة، وقسم منهم يرعون الماعز والغنم والبقر، ويشتغل نساؤهم بصنعة نسج البسط التي تدعى بالبسط التركمانية، ويشتغلن الجبنة البيضاء، التي تدعى بالجبنة التركمانية، ولم يزالوا يحافظون على لسانهم ولباسهم الذي أتوا به، وكلهم يتكلمون بالعربية وهم مسلمون.

## الجراكسة:

جاؤوا منذ أربعين سنة من جبال القفقاز مهاجرين إلى دمشق، فأرسلتهم الولاية إلى القنيطرة، كانت خراباً، فسكنوا بها، ثم تبعتهم الجراكسة فوجاً فوجاً، حتى عمروا زهاء (١٥) قرية، وكانت أراضي تلك القرى حراجاً كما ذكرناه.

أما صنعتهم فالزراعة، وترتيب بيوتهم أحسن بل أنظف من ترتيب قرى الحوارنة والدروز والتركمان، وغذاؤهم خبز القمح والشاي واللبن والسمن، ولم

---

(١) ــ المقتبس العدد ٥١٨ ذي القعدة ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠/١١/٧م.

(٢) ــ أسكنت الدولة العثمانية هؤلاء الأتراك في قرية عين عيشة بقضاء القنيطرة. بينما جاءت هجرة قديمة من آسيا الوسطى سميت بالتركمان وليس الأتراك وسكنت عدداً من قرى القنيطرة وهي: حفر، مغير، كفر نفاخ، السنديانة، قادرية، ضبيه رزانية التركمان، حسينية التركمان، عليقة، عين العلق، عين مرة، الأحمدية، عين السمسم، وإلى جانب هناك تركمان في قريتي نعران ودير راهب ــ مقابلة مع السيدين اشنيوى الطحان وخالد صلان بتاريخ ٢٠٠٤/١١/٣٠. والقرى التي أسكن فيها الشركس هي: الخشنية، الفحام، عين زيوان، عين صرمان، مومسية، بريقة، جويزة، فزارة، روحينة. انظر: زكريا، أحمد وصفي، المرجع نفسه، ص ٦٩٣.

يزالوا يحافظون على لباسهم ولسانهم القديم وأكثرهم يتكلم العربية.

الجراكسة يفقهون أمور دينهم، ولكنهم متعصبون لقوميتهم، فهم لا يتزوجون من الأهالي ولا يزوجونهم ولا يزوجون إلا الموظفين، ويختلط بناتهم البكر بشبابهم في وقت الأفراح، وبنتهم و شابهم بعد الرضى والاتفاق بينهما إذا أرادوا الزواج يذهبان معاً إلى دار أحدهم، فيدخلانها، وعند وصولهما إلى الدار، يطلقون عياراً شارة لقدومهما فعند ذلك يحضر إمامهم ومختارهم وجم من وجهائهم وأبو البنت وأمها وإخوانها، فيسألون البنت فيما إذا كانت تريد الرجل بعلاً لها، فتصرح بالقبول فحينئذ يعينون الصداق ويعقد لها.

يعمل بعض الجراكسة بالتجارة، ففي كل قرية من قراهم ترى دكاكين أصحابها جراكسة منهم، وبعضهم يذهب إلى الأناضول فيشتري منها الكدش، ويأتي بها دمشق وحوران، فيبيعها من الأهالي والتجار. وجميع الجراكسة مسلمون سنية، وهم يحسنون صنعة الزراعة أحسن من الحوارنة والدروز والتركمان والعرب البدو، فيقتصدون بعض نفقة الزراعة ويحرثون على البقر، ويدرسون عليه، وينقلون الحاصلات عليه بعجلات مخصوصة به، وينقلون الحبوب من بيادرهم إلى دورهم عليها. أما الحوارنة والدروز والعرب (البدو) والتركمان فهم يحرثون على البقرة، وينقلون المحصول من الأرض إلى البيادر على الإبل، ويدرسونها على الكدش، وينقلون الحبوب على الحمير من البيادر إلى الدور.

## أصل الحوارنة

جاء قسم منهم من الحجاز، وقسم منهم من نجد، وقليل منهم من العراق، أتوها بعد الهجرة، وهم بنو الزعبي وبنو الحريري والمفاعلة والرفاعية والصمادية، وقسم منهم من أهله القدماء، وقسم منهم بقوا فيها عندما حضر إبراهيم باشا المصري في جنده، فتوطنوها، فيسمونهم المصاروة، وقسم منها أتوا من بلاد عكا ومن البقاع وأصلهم متاولة يسمونهم المحاميد والغرايبة، ومنهم من أتاها من نابلس والقدس فسكنوا فيها فأكثرهم من قرى عجلون، ومنهم من أتاها من النبك وإقليم طبريا والمرج فسكنها، فأكثرهم في قرى القنيطرة، وقسم عظيم منهم كانوا بدواً فتحضروا. كل أهالي حوران أعني الحوارنة والدروز وأهل قرى عجلون وأهل قرى القنيطرة من العنصر العربي،

لا يعرفون سوى اللسان العربي خلا الجراكسة والتركمان من بعض قرى القنيطرة. أما المسيحيون في حوران فهم قليلو العدد جداً، لا يبلغون ثلاثة من المائة، وعاداتهم وأخلاقهم ولباسهم ومسكنهم وغذاؤهم ولسانهم مثل الحوارنة، لا فرق بينهم أبداً في هذه الصفات، ومع قلة عددهم فالحوارنة تحترمهم وتحترم حقوقهم وتساويهم بحقوقها، وينظر إليهم بعين الصدق والمحبة. وبيد الرؤساء سياسة أهل القرى كيف شاؤوا، ولهم امتياز على أهل القرى لتعيينهم في عضوية مجالس الإدارة ولجان المحاكم الأخرى، وانتخاب أعضاء نواب مجلس الأمة كما هو ثابت منذ خمسين سنة بالقيود الرسمية، تنتقل من الآباء إلى الأبناء، وقد نالوا هذا الامتياز من رجال الحكومة السابقة، كما سعى المفتي أبو السعود لجعل العلم وراثياً، فصار ابن العالم يرث أباه ووظائفه ورواتبه، وكما أن عالماً هذه حاله هو هو والجناية الكبرى على الدين والدنيا، فهكذا زعماء وأعضاء ونواب مثل هؤلاء البلاد الصمم على البلاد.

## أما أسماء الزعماء في حوران فهم من المسلمين:

سليم الصالح الزعبي من خربة غزالة. وعلي الأحمد الحريري وابن أخيه إسماعيل الترك الحريري وهولو الحريري من قرية شمكسين. ومحمد وأحمد الحشيش من قرية تل شهاب. وعبد الرحمن زين العابدين الحريري من سحم الجولان. ومنوخ ومحمد الحسن من الحراك والحريك. وفارس الزعبي من دير البخت. وياسين الرفاعي من أم ولد. وفائز وفواز ومحمد البركات الزعبية من الرمثا. وفاضل وعبد الرحمن المحاميد من درعا. ومصطفى المحاميد من أم الميادين. وهولو الحريري من صيدا. ومحمد الزعل الزعبي من المسيفرة. ومنصور الخليل ومصطفى الخليل وخليل الحجي المقداد وسرور المقداد من بصرى اسكي شام.

أما زعماء المسيحيين فهم موسى فلوح من بصير. ونجيب الحاتم من خبب وصقور الخوري من خربة. وبرهم النصر الله من نمر. وبشير آغا وسعيد آغا من عالقين ودسته وكمونة قرى المغاربة.

فأول طبقة من الزعماء المذكورة هم: علي الأحمد الحريري وسليم الصالح الزعبي وسعيد الحلقي ومنصور الخليل وفيصل الحمد ومحمد وأحمد الحشيش ورشيد المذيب ومحمد الحسن الحريري وياسين الرفاعي وفاضل وعبد الرحمن ومصطفى المحاميد وموسى فلوح ونجيب الحاتم ومحمد الزعل الزعبي وهولو

الحريري.

فالذي يقرره هؤلاء تقبله الطبقة الثانية، والذي ترضاه الطبقتان تقبله أهل القرى المذكورة كافة، فكما أن أولئك الزعماء هم الذين يُنصبون في العضويات في المجالس واللجان، كذلك هم الذين تتعين بمعرفتهم أعشار تلك القرى في مركز الولاية بصورة، وإلى الآن ليس فيها تحرير أملاك ولا التزام أعشار.

وزعماء قضاء القنيطرة هم محمود الفاعور شيخ عشيرة عرب الفضل، وبركات الطحان شيخ فرق النعيم، وابن موسى مريود شيخ قرية المجدل. فخر الدين هذا زعيم قرى الدروز في القنيطرة، وشيخ قرية كفر الماء وشيخ قرية السجرة (الشجرة اليوم) ومفتي القضاء الجركسي وبكمزبك الجركسي من نفس القنيطرة، وعيد آغا التركمان ومن المسيحية إبراهيم ملكة.

أما أسماء زعماء قضاء عجلون فيهم: سعد العلي من قرية البارحة، ومحمد الأحمد من قرية المغير، ومحمد الفنيش وسلطي الإبراهيم من قرية الحصن، وكايد المفلح من قرية كفر سوم، وسالم الداوود من قرية حرثا، وأحمد بن إبراهيم سعد الدين من قرية الرفيد، وسليمان أبو راس من قرية سما، وعبد القادر اليوسف الشريدي من قرية تبنة، وعبد العزيز الكايد من قرية سوف، والمومري محمود المصطفى الأمين من قرية صخرة، ومحمد الحسن من قرية كفرنجة، وونس الهنادوي من قرية النعيمة، بني عبيد وأولاده علون من قرية الطيبي، وأولاد عزام في قرية ابن عزام. وزعماء عشيرة بني حسن وهم جماعة المشاجبة وجماعة بني هليل وجماعة الخزاعلة وجماعة الخوالدة وجماعة العموش وجماعة الزيود.

هذه أسماء قرى قضاء عجلون المذكورة، وكلهم مسلمون، سوى ثلثي أهل قرية الحصن وربع أهل قرية الصريح، وفي قرى عجلون عرمان وجديتا وصمد وسوف وايدون ونعيمة بني عبيد وشطة وخربة الوهادنة وتبنة فيها مسيحيون ومسلمون، فزعيم المسيحيين سلطي الإبراهيم الذي مراسمه مع الزعماء.

## مملحة الجوف أو قرى الملح:

هذه القرى تبعد عن الخطة الحورانية مسافة بضعة أيام، فهي تدعى بهذا الاسم، أهلها يسميهم الحوارنة بالجوفية نسبة لمحلهم، كان يقيم ابن الرشيد عليها

أميراً من رجاله، يأخذ الزكاة منهم، ويحكم بينهم، وصنعة أهلها غرس النخيل، يسقونها من آبارهم، يخرجون منها الماء على أعناق الإبل، فيبيعون الثمر من عرب البادية من أهل حوران ويعتاشون بأثمانها، هذا الذين لهم غابات من النخيل، أما الذين ليس لهم فهم في كل عام يقدمون حوران، فبعضهم يصنع عباءة[1]، تدعى جوفية، وبسطاً بالأجرة لأهل حوران، وبعضهم يحفر الآبار، ويخرج التراب والطين والحجر منها، ومن البرك بالأجرة في حوران، فيعتاشون بها.

ففي هذه القرى آبار عديدة، غزيرة المياه، إذا أخرجت المياه منها، فصبت في حوض لم يمض عليها ساعات من الزمن، إلا وينقلب الماء ملحاً أجاجاً خالياً من الرمل والحجر الأسود، فيجلب أهل تلك القرى على إبلهم من هذا الملح إلى حوران، وتجلب عرب البادية في كل حمل ما ينيف عن خمسة أمداد، وفي كل سنة ترسل الدروز والحوارنة جمالها، فيأتون[2] به أحمالاً، فيقدرون أن أهل هذه المملحة يؤخذ منها في كل عام زهاء عشرة آلاف حمل ملح، أعني مائة ألف مد، فلو اعتنت الحكومة بهذه المملحة لبلغ واردها الملايين من أمداد الملح، إذ أخذ على المد عشرون بارة باسم رخصة لبلغ واردها السنوي الملايين، ولعمرت بسببها مئات من القرى التي هي اليوم خاربة خاوية.

هذه أسماء المخافر التي يقتضي تأسيسها في حوران.

## جبل حوران:

ماء نمرة. قرى: القرية، غرية شبيح، امتان، ملح، ماء حبكة، عرى، مياماس. سالة. قنوات. شهبا. صميد. الصورة. السجن. نجران. تربة (طربا). السعنة. جنبينة. المجدل. أم حارتين. ماء قراصة. جدية. الأزرق. وثماني مخافر في القرى والمواقع اللازمة في الجبل وفي السهل. جيزة. رمثا. مقارن مزيريب. حراك. مسيفرة. إزرع. ماء حامر. وايب. جباب. عالقين. كريم. نوى. محجة. الحارة. ماء الصخر. وثلاث مخافر في لب اللجاه وبينها وبين قرى الدروز. وواحدة على بركة الصفا.

---

(1) *وردت بالنص عبئة.*

(2) *استمرت عملية جلب الملح من هذه القرى حتى خمسينيات القرن العشرين إذ كان الملح يوزع في قرى حوران بالطريقة المذكورة في النص.*

## قضاء القنيطرة:

الجوخدار. السجرة (الشجرة). الخان. البطيحة. خشنية. في وسط قرى التركمان. فيك. كفر لما. جبا في أرض عرب الفضل. المجدل. شبعا. مخفران بين قضاء القنيطرة ووادي العجم.

## قضاء عجلون:

ماء راجوب. عين المعلقة. ماء الشلالة. زرقا. سوف. نعيمة بني عبيد. عين في لب أرض بني حسن. قرية عجلون. في قرى الكفارات. في قرية الوسطية، أمكيس. خربة الوهادنة على ضفاف الغور، في قرى البطين، وفي وادي الحماد. جوف أرض عبد الرحمن بك.

فهذه المخافر إذا أسست في المواقع المذكورة، يقتضي لها ولمركز الحكومة نحو ٩٠ فارساً من الشرطة، ويعطى لهم مسانهة نحو ٥ آلاف ليرة رواتب، ويقتضي لها نحو ألف فارس من الدرك، يعطى لهم نحو خمسين ألف ليرة رواتب كل عام، فيكون مجموع راتب الدرك والشرطة في كل سنة ٥٥ ألف ليرة.

أما الفوائد التي تنجم من وجود هذه القوة فهي كثيرة لا تحصى:

١ ــ بها يحصل الأمن في كل نقطة في الخطة الحورانية، فتصبح كأنها قطعة أرض في سويسرا أو فرنسا في أوروبا، فيأمن كل فرد على نفسه وماله وحقوقه وحريته الشخصية.

٢ ــ بها تجمع الجنود من حوران دون أن يفر فرد من الجندية.

٣ ــ بها تجري في حوران قاعدة تحرير الأملاك والطابو وتحرير النفوس بحق.

٤ ــ بها تجنى ضرائب العداد والأعشار دون أن يضع على الخزينة شيئاً، ودون أن يقع الظلم على فرد من الأفراد.

٥ ــ بها يساق الجانون والمعتدون والظالمون إلى المحاكم، فكل واحد منهم ينال جزاء ما جنت يداه.

٦ ــ بها تؤسس قاعدة العدل والمساواة والحضارة، ويجري أحكام الدستور وأوامر الحكومة السورية وقوانينها.

٧ ــ بها تجمع الأسلحة التي تحملها الأهالي، ثم لا يمكن أحد من أهل حوران أن يحضر من الأسلحة الممنوعة ولا واحدة، فتصبح حوران ولا أسلحة فيها سوى مع الجنود والمحافظين من أفراد الدرك.

٨ ــ بها تستفيد أهل حوران والأمة والحكومة من حوران بنسبة استعدادها الطبيعي، فتكون حصة الخزينة فقط نحو ثلاثة أرباع المليون ليرة مسانهة من جميع الضرائب والرسوم المقننة. فإذا صرفت الدولة والأمة ستين ألف ليرة على تلك المحافظة، تكون بهذا المبلغ محافظة على الأمن وإجراء القانون والدستور، فتربح الخزينة مبالغ جسيمة، وبنسبتها تكون فائدة أهل حوران والأمة.

٩ ــ بها تكفى حوران، فلم يبق لها لزوم لإقامة الجنود سوى إقامة عشرة توابير نظامية وزهاء ٥٠٠ مفرزة، تبقى في جبل حوران فقط. وهذه القوة تقيم فيه أبداً إلا في كل سنة فيذهب منها قسم إلى حوران وعجلون والقنيطرة وقت دخول العربان البادية إليها، فتحافظ الأهالي منها، وتجنى منها الضرائب، وهذا مدة خمسة أشهر، وبعد خروج العرب البادية، تعود من حوران والقنيطرة وعجلون للجبل.

فببقاء هذه القوة في الجبل، سوف تسكن العربان البادية، أو أنها تترك الدخول لحوران وإذا بقي الجبل مركزاً لهذه القوى أي اللواء، يهدأ الجبل، فتهدأ بهدوئه سورية وبيروت وحوران والكرك، ويسكن العربان البادية. وليت هذه المخافر تربط بسماعات. (تلفونات) بعضها ببعض، لتضاعف نفعها في خدمة الأمن في هاتيك الربوع والقرى.

إسكان العربان الرحالة في حوران يقتضي تأليف لجان خاصة في قضاء عجلون وفي قضاء درعا وفي قضاء القنيطرة وفي قضاء صرخد وفي قضاء عاهرة وفي قضاء بصر الحريري، ويكون الرؤوساء فيها القائمقامين، ويسن مواد تكفي لإسكان العربان الرحالة البادية والشكارة وعرب الجبل وعرب اللجاه وعرب الصفا، والعرب النازلين في بيوت الشعر، ويعملون بالزراعة في الخرب. ومن الواجب حصر مبالغ الخزينة لإسكانهم، وإنشاء قرى لهم بأموال من أموالهم، تُضم على الأموال التي نخص بهم من الخزينة، والله الملهم للصواب.

■■■

# قرى الحوارنة تسلم أسلحتها[1] وتحرر نفوسها بكل ارتياح

أعد أسعد ساعة من حياتي الساعة التي رأيت فيها إخواني الحوارنة، يقدمون أسلحتهم ويحررون نفوسهم بكل ارتياح وتفاخر، والذي زاد سروري وفخري بعض فقرات سمعتها من شبان الحوارنة في قرية طفس فوقع نظري على فواز بن إبراهيم زين العابدين من قرية سحم الجولان، فقال لي: أهنئ نفسي وأهنئك على هذا اليوم السعيد الذي سيدخل فيه شبان الحوارنة في الجندية المقدسة، وعلى المدارس التي ستفتح أبوابها إلى أبناء الحوارنة، وقال إن تجنيد الحوارنة وإدخالهم في قاعدة المساواة والوحدة العثمانية هو مقدمة المدارس لهم، فيقضي الجندي ثلاثة أعوام يرى فيها تعاليم الضباط المخرجين من المدارس العليا، فيربونهم ويعلمونهم العلوم الجندية وغيرها.

وقال أنه عن قريب سيصير من شبان الحوارنة الضابط والموظف والعالم والاقتصادي وسيسعى قائد الحملة سامي باشا الفاروقي بفتح المدارس الثانوية الملكية والرشدية في القرى التي يزيد عددها عن ٤٠٠ دار والمدارس الابتدائية في القرى التي هي أقل عدداً من تلك القرى.

وقال سينشأ رجال من حوران يكون ذكاؤهم الطبيعي على نسبة خصب أرضها وجودة تربتها وطيب هوائها، فيكون منهم القواد في الجيش، والموظفون المحنكون في السياسة، والعلماء في الطب وفي الزراعة وفي العمران.

وقال: إن الشعب الحوراني بأسره ينظر بعين السرور إلى تلك المواد

---

[1] *المقتبس، العدد ٥٢١ الخميس ٨ ذي القعدة ١٣٢٨هـ. تشرين الثاني ١٩١٠م.*

الحيوية من القائد العام المحنك ليذكروه بالخير، كما سيذكر التاريخ العثماني في صفحاته الذهبية، وقال: إن أبي ذو مال، يقدر أن يدفع مئات من الليرات بدلاً عن الخدمة الجندية ولكن إني لا أقبل منه أن يدفع عني البدل، بل إني سأخدم الجندية بكل فخر.

وقال: إن ما هو من العار علي أن أعطي البدل، كي لا أقوم بواجب الخدمة الجندية التي بها سيحفظ الوطن وتعتز الأمة. وهذا الشاب هو في سن العشرين.

وقبل يوم عندما وصل بي القطار إلى موقف أزرع، وافاني إسماعيل أفندي الحريري فقال: إنه يعد ساعة من هذه الأيام التي حوران دخلت فيها بقاعدة المساواة أسعد من الثلاثين سنة التي تقضت من عمره.

وقال: إن الحوارنة أصبحوا كافة سعيدين عزيزين، وكيف لا يكونون سعداء أعزة وقد غدا كل فرد منهم مالكاً لحريته الشخصية أميناً على ماله وملكه وأرضه وداره، فيخلص كل فرد منهم من قضاة حوران الهمج ويكون كل فرد منهم سؤولاً عن حقوقه فقط، ويكون كل فرد أميناً على أرضه وزرعه وضرعه، وهذا سيتسنى بعدل الدستور والتدابير التي سيتخذها، بل سيخرجها من القول إلى العمل تجاه عرب الشكارة وعرب الجبل وعرب اللجاه وعرب الصفا وعربان البادية.

وقال: إن كل فرد من الشعب الحوراني ليشكر للحكومة الشورية التي أرسلت القائد العام الفاروقي، فيغدو كل فرد من الشعب في عيش رغد وسعادة دائمة بعدله وحزمه وعلمه.

■■■

# نظرة[1] في حوران عامة ونصيحة لأهلها كافة

هذه النظرة والنصيحة ثانية نظرة ونصيحة وكنت كتبت الأولى[2] قبل شهر ونصف عندما ركبت قطار السكة الحجازية من موقف القدم وسار بنا حتى وصل حدود حوران رأيت لسان حال حوران يقول إن حوران وما حوته من النفوس أصبحت سعيدة سعادة تامة وإن هذه السعادة جاءتها من عدة أسباب.

**أولاً** : دخولها في الجامعة العثمانية بالفعل وإجراء قاعدة العدل والمساواة فيها.

**ثانياً** : اضطرار أفرادها لاحترام حق بعضهم بعضاً.

**ثالثاً** : اعتماد المرء على قانون الحكومة وعدلها لا على نفسه كما كان في الزمن الغابر إذ كان الفرد منهم يبيع ثوره وفراشه ليشتري بندقية يحمي بها نفسه من جاره ومن البدوي ومن الأشرار من الناس فنحن نطلب من الله أن يوفق حكومتنا لوضع الأسس القانونية ليبقى هذا الاعتماد في ربوعها كما هو الآن لا كما كان في الزمن الغابر.

**رابعاً** : سيادة الأمن في أنحاء حوران إذ أنني أرى الفرد من حوران يطوف في تلك السهول والفيافي والربوع الواسعة الشاسعة بلا

---

[1] *المقتبس، العدد ٥٣١ الثلاثاء ٢٠ ذي القعدة ١٣٢٨هـ ١٩١٠/١١/٢٢م.*

[2] *المقصود هنا المقالة المنشورة في المقتبس العدد ٥٢١. انظر نصها في الصفحتين السابقتين من هذا الكتاب.*

سلاح آمناً على دمه وحريته وماله.

**خامساً** : اعتراف الأفراد أن الحاكم هو القانون الذي يسنه وكلاء الأمة فبدأوا رويداً يراجعون مقامات الحكومة في رؤية مصالحهم ودعاويهم بعد أن كانوا يحلوها عند زعمائهم ومشايخهم وقضاتهم.

**سادساً** : متى تمت سعادتهم بإنشاء المخافر في الحال اللازمة وفتح المكاتب وعلى اختلاف درجاتها على نسبة ترقي القرى ومكانتها وسعتها وتشويق الأهالي على أن يجدّوا ببذل الإعانات لترقي المدارس فوق الذي تخصصه الحكومة لها لأنها تأخذ منهم الضرائب باسم المعارف. متى تم هذا يقع حب المعارف والمدارس في قلوب الأفراد فيبذلون كل مرتخص وغال في هذا السبيل الحيوي المشروع بهمة رجال الإدارة في الحكومة ونرى حوران نالت تلك السعادة والعمران وإلا العكس بالعكس لا سمح الله.

لهذا نلفت أنظار القائد العام سامي باشا الفاروقي المصلح لتلك الشؤون ونطلب من المقامات الإيجابية تلبية مطاليبه خدمة للوطن والأمة.

**سابعاً** : اعلموا يا إخواني عامة أهل حوران أن الأمة هي التي تحكم نفسها بنفسها وذلك لأنها هي التي تنتخب منها وكلاء عنها في مجلس المبعوثان وهذا المجلس هو الذي يسن القوانين فبعد أن يقول بها مجلس الشيوخ وتتعلق بإرادة مليكنا الأعظم تصبح قانوناً.

فمن هذا يتبين أن الأمة هي التي تحكم نفسها بنفسها إي أنها سنت القانون واختارته برضاها فعليكم الآن إذا كنتم تحبون أنفسكم ووطنكم وأمتكم أن تنتخبوا الرجال منكم الذين إلى الآن لم يسعوا ولم يتوسطوا بالرشوة وإضرار زيد وعمرو لمنافعهم الخاصة الدينية لعضوية مجالس أخذ العسكر ومجالس المحاكم والمجالس الإدارية ومجالس البلديات وإلى المجالس العمومية في الولايات والألوية والأقضية والنواحي وإلى مشيخة القرى وعضويتها.

فإذا أنتم انتخبتم لهذه الوظائف رجالاً منكم صادقين عالمين عارفين عاقلين تنفق سوق الحق بينكم ولا تظلمون فتيلا. وستعمر بلادكم وتغنى وتصبحون

بسعادة تغبطكم عليها أكثر الأقاليم والأصقاع. وإن لم تفعلوا ذلك فـاعلموا أنـه سيسود بينكم الظلم فيتعذر نجاحكم لأنكم أنتم الذين ارتضيتم لأنفسكم ذلك وبحثتم عن حتفكم بظلمكم وتكونوا ظلمتم أنفسكم بأنفسكم.

اعلموا أيها الأهل والخلان أن الأمم والأقوام الراقية السعيدة لم تفـز بمـا تطالت إليه من رقيها وسعادتها وغناها إلا أنها قامت بواجباتها بإيداعها شـؤونها لأعلم رجالها وأعقلهم وأعزهم ممن صدقوها فما أهمتهم إلا المصـلحة العامـة للوطن والأمة وهم يفادون بمصالحهم في سـبيل مصـلحة الشـعب وجامعتـه العمومية.

اعلموا أيها الوطنيون الحورانيون الأبـرار أن شـيمكم الكـرم وأخلاقكـم السخاء فعليكم حصر كرمكم وسخائكم للمدارس لأنكم تخدمون أنفسكم فتكونـون كسبتم أجر ثواب الدنيا والآخرة بخدمة أولادكم بتكثير المدارس لهم واعلمـوا أن أفخر الكرم وأحسن السخاء هما ما كانا على هذا المشروع فتخلفون أطيب الذكر في الآخرة ويكتب لكم الفخر العظيم في الأولى. وهنا ألفت أنظار رجال الإدارة في اللواء والأقضية والنواحي لبث هذه الروح في الأفراد لأنها أحسـن خدمـة أبدية للوطن والأمة العثمانية.

واعلموا أيها الوطنيون أن من الواجـب علـيكم أن تفيقـوا مـن سـباتكم فتجاهدوا الجهل جهاداً حقيقياً بشـجاعتكم المشـهورة فيهـا تقـاومون الجهـل فتنصرون العلم نصرة عالية فهذا هو أشجع الشجاعة وأحسن الطرق الحسـنة. واعلموا أن أحسن فضيلة وأقوم دين واعتقاد هو احترام حقوق وحدود بعضـكم بعضاً والوقوف عند الحدود إذ أنتم أبناء تربة واحدة وهواؤكم واحـد ومـاؤكم واحد وسماؤكم واحدة هذه كلمة مني أقدمها لكم والسلام عليكم.

■■■

# المجلس العمومي[1]

.. وقد تقرر أن يكتب إلى متصرفية حوران بأن لا تمنع الحكومة هناك في الأقضية معاملة الفراغ بالأرض الواقعة على الخط الحجازي وجواره ومواقفه للحرث والبناء للعثمانيين فقط. لأن دوائر الطابو في حوران كانت لا تجري معاملة الفراغ حتى للعثمانيين أهل حوران في درعا وغيرها.

وتقرر أن يكتب إلى متصرفية حوران والمحال الإيجابية أن تعطي الأراضي المحلولة الواقعة في جوار الخط الحجازي إلى من يريد استملاكها من الحورانيين العثمانيين الذين ليس لهم أرض وتمليكهم لهم بموجب أوراق طابو بشرط أن يعمروا فيها القرى بصورة منتظمة ويحيوا أرضها الميتة. وإلى الأغنياء من الحورانيين ببذل المثل على أقساط متعددة. فقد طلب إعطاء تلك الأراضي حتى للأغنياء من الحورانيين مجاناً بلا ثمن خليل رفعت الحوراني فرفض طلبه بالأكثرية. وقد تقرر إجراء (بوقلمة) النفوس مجدداً بصورة جدية صادقة لأن في الولاية نفوساً مكتومة وافرة.

وتقرر تأكيد طلب الولاية تأسيس المحاكم النظامية في أقضية الولاية وأقضية ألويتها.

وأن يكون وقت تعداد الأغنام في شهر نيسان الرومي حيث تدخل المواشي المعمورة ويمكن جولان الجنود بكل راحة لأن الثلج والمطر يخلص فتكون المواشي موفورة فهذا سيكسب الخزينة واردات وافرة.

---

[1] *المقتبس العدد ٦٣٣ تاريخ ١٩١١/٣/٢٥ م٢٤ ربيع الأول ١٣٢٩. وهي مقتطفات من محاضر جلسات المجلس العمومي لولاية سورية. ولعل أهمية نشرها هنا تتأتى من صلتها العميقة بمضمون مقالات الحوراني.*

ومما فيه خليل رفعت الحوراني أنه إذا كانت الحكومة تجبي أعشار حوران عامة بصورة الالتزام يخرب الحورانيون لجهلهم معرفة قانون الأعشار فيتلاعب بهم الملتزمون وبعض من خلاف لهم من مختاريهم بأن يتفق مع الملتزمين كما كانوا يتفقون مع الجندرمة وبعض رجال الحكومة وقال يا حضرة الوالي سل إخواني أعضاء حوران هل يعرفون قانون فقال واحد منهم هل يوجد قانون للأعشار فقال خليل رفعت الحوراني يا حضرة الوالي إذا كان العضو يسأل هل للأعشار قانون ففكر بحال أهل القرى. فقال الوالي إن شاء الله تسعى الحكومة بالعدل فتحفظ به حق الفلاح الذي يتوقف عليه حياة الوطن والأمة والحكومة لأن بلادنا زراعية فقط.

- وتقرر أن يكتب إلى نظارة البريد والبرق بتأسيس مراكز في مواقف الخطوط الحديدية في حوران للبريد وبتعيين ٦ موظفين سيارين من النبك إلى الشام وثلاثة مراكز في لواء حماه. وتقرر أن يطلب من النظارة تنزيل أجرة المكتوب إلى عشرين بارة وتقرر نقل السيار للبريد الذي كان بين إربد والمزيريب إلى درعا وإربد.
- وتقرر أن يكتب إلى المحال الإيجابية يجعل المادة (٢٥٣) من قانون الجزاء تطابق مادة الحراج لأن مادة (٢٥٣) تقضي بحبس الذين يقطعون الأشجار عشرة أيام. أما المادة المتحققة أن المخافر العسكرية عدا عن مخافر الدرك التي تقرر إنشاؤها هي ٣٦ تبتدئ من الضمير فشرقي اللجاه فشرقي جبل حوران فقبليه فقضاء درعا فقضاء عجلون حتى بيار ناصيف وما والاها وذلك لمحافظة الأهلين من تخطي العربان إلى المعمورة.
- تقرر إنشاء دائرة للحكومة في درعا مركز لواء حوران تقدر نفقاتها بسبعة آلاف ليرة.

جَلْب الدروز الذين سيقوا إلى قلعة عكا لدمشق حتى يسجنوا في سجنها وذلك لعدم وجود مكان لهم في قلعة عكا.

## مخافر حوران[1]

قابلت البارحة متصرف حوران فهيم بك وقائد درك الولاية فجري بيننا حديث بشأن إصلاح الدرك في لواء حوران وتأسيس مخافر يقوم بها رجال الدرك ليجوبوا في المنطقة التي تعين لكل مخفرة من هذه المخافر خلا المخافر التي ستنشأ للجنود النظامية في تخوم البادية ــ فقالا لي أنهما قررا والقائد العام للحملة الحورانية إنشاء مخافر في قصبة درعا وقصبة السويداء وفي إزرع تكون مركزاً لبلوكين من الدرك فرساناً ورجالاً وبعض رجال الشرطة وإنشاء مخافر في الشهباء وبصرى اسكي شام وصرخد وشمكسين وعاهرة وإربد والمسمية تجعل مراكز السرايا الدرك فرساناً ورجالاً وإنشاء مخافر في غباغب وجباب وبراق والصورة الكبرى[2] والصورة الصغرى والهيت وطربة وقنوات والمزرعة وأم ولد وعرى وسالة وامتان وملح والجيزة والمسيفرة والحراك ونجران وبصرى الحريري ومحجة وخربة الغزالة وخبب وتبنه وكفر أسد وجرش وعجلون وكفرنجة والرمثة والمزيريب وجاسم ونوى تجعل مراكزاً لفرسان الدرك ورجالتهم وقد كتب للعاصمة بذلك فورد الأمر بصرف ستة آلاف ليرة من أموال هذه السنة لإنشاء هذه المخافر ورسم خطة لخرائط بتلك المخافر المبينة وصورة إنشائها وقد عُرضت على قائد الفيلق الخامس فتحي باشا للنظر فيها. وستوضع للمناقصة ويبدأ بإنشائها بعد خمسة عشر يوماً فنحن نتمنى من ق[3]. ع. س. ب ومن قائد الفيلق فتحي باشا ومن الوالي غالب بك ومن متصرف حوران فهيم بك التعجيل بإنشاء هذه المخافر لإقامة الجنود النظامية التي ستقوم بمحافظة الفلاح وملكه وأرضه من تعديات البدو ومعاملتهم البربرية التي عودهم إياها حكم الفرد.

ــ تقرر إنشاء أربعين مخفراً (فره غولاً) بمواقع مختلفة في لواء حوران أكبرها يستوعب ثلاثين نفراً وأصغرها يستوعب خمسة أنفار بموجب الرسم والكشف الأولين وشروط المناقصة موجودة عند قائد درك في الولاية: ومجلس إدارة لواء حوران فمن أراد أن يلتزم الجميع والقسم منها عليه أن يراجع بأقرب

---

[1] *المقتبس، العدد ٥٦٣ الاثنين ١ محرم ١٣٢٩، ١٩١١/١/٢.*
[2] *تسمى اليوم: الصورة الصغيرة والصورة الكبيرة.*
[3] *المقصود سامي باشا الفاروقي قائد الحملة.*

وقت القائد الموما إليه بمركز الولاية. ومتصرف حوران بمركز درعا.

■■■

# بيان خليل رفعت الحوراني[1]

ــ قدّم خليل رفعت أفندي الحوراني العضو في المجلس العمــومي (فــي ولاية سورية) عن لواء حوران لائحة إليك بيان ما فيها من مطاليب الإصلاح.

١ ــ تقسيم الأراضي المشاعة في حوران وإفراز حصص الأفراد وطــرح ضريبة مقطوعة عليهم يدفعونها مسانهة إلى الجباة أو إلى صــندوق الحكومة.

٢ ــ استيفاء الضرائب والأعشار في حوارن هذه السنة حسب القديم ريثما يتم التحرير وتجبى الضرائب على الوجه السالف.

٣ ــ إنشاء فروع للمصرف الزراعي في أقضية حوران وتزييد رأس مال الفروع.

٤ ــ جعل وقت تعداد الأغنام في جبل حوران واللجاه والصــفاه مــن ١٥ نيسان إلى ١٥ أيار لأنها وقت التعداد المعروف تكون فــي البادية هرباً من شدة البرد.

٥ ــ تزييد أعشار ويركو أقضية الجبل بصورة مقطوعة تضم على المبلغ المقطوع الذي كانت تأخذه الحكومة مساواة للدرزي بالحوراني.

٦ ــ تأسيس مخافر في وادي الشام أو في الزلف والمارة وفي سيس هــذا في الصفا وفي طربة وشبكة (اشبكي) وحبكــة (احبكــي) وامتــان والقرية في جبل حوران وفي نعيمة بني عبيــد وحيــان المشــرف ومكيس والزرقا هذا في قضاء عجلون وفي الجيزة والرمثا هذا فــي

---

[1] *انظر: المقتبس، العدد ٥٩٢ الأحد ٥ صفر ١٣٢٩هـ ٥ شباط ١٩١١م.*

حوران وفي فيك[1] وتل الفرس وفي منتصف الطريق الذي بين القنيطرة ودمشق. وهذا في القنيطرة في الهيجانة وضمير والدير علي أو بلي أو براق في الغوطة وفي إيب وحامر في اللجاة وأن يكون في كل مخفر خمسون فارساً وخمسون راجلاً وهذه زيادة على المخافر التي قررت الحكومة إنشاءها.

٧ ــ إصلاح الدرك في حوران وعدم توظيف الأنفار في المحال التي هي منها وإنشاء محاكم نظامية في الأقضية للنظر في الدعاوى الجزائية والحقوقية يكون أعضاؤه من خريجي مدرسة الحقوق.

٨ ــ إنشاء دور للحكومة وسجون في كل قضاء.

٩ ــ تنفيذ نظام النواحي في بلاد حوران كافة.

١٠ ــ تعيين مأمورين للزراعة في كل قضاء يعلمون الزرع على الأصول الحديثة وتعيين مأمورين للبيطر يتجولون في القرى ويعملون تربية للمواشي ومعالجتها.

١١ ــ إنشاء الطرق العمومية والخصوصية فإذا لم تكف صحة النافعة وبدل العملة المكلفة يدفع الأهلون الباقي إما نقداً أو بدناً حينما يرون أن المال ينفق في سبيل قراهم.

١٢ ــ إنشاء فرع للخط الحجازي من درعا إلى إربد فالحصن وفرع آخر من درعا أو خربة الغزالة أو إزرع والمسمية إلى مراكز الجبل وبصرى إسكي الشام.

١٣ ــ إنشاء طرق معبدة من درعا إلى بصرى اسكي شام ومنها إلى صرخد والسويداء ومن إزرع إلى بصر الحريري ومنها إلى عاهرة.

١٤ ــ تأسيس مدرسة رشدية وابتدائية في مراكز الأقضية والقرى العظيمة وتأسيس مدرسة زراعية ليلية نهارية في مكان مناسب لجميع لواء حوران.

١٥ ــ تعيين وقت دخول البدو وخروجهم من المعمورة وطريقة تحفظ الفلاح منهم ببضع مواد يصدق عليها المجلس العمومي.

---

[1] *تعرف بـ فيق وهي ضمن الأراضي الواقعة تحت الاحتلال الصهيوني بعد عدوان ٥ حزيران ١٩٦٧.*

١٦ ــ إعطاء الأرض الموات الخالية الخربة المحلولة التي لا تنقص عن نحو مليوني دونم ومائة وخمسين خربة بلا بدل لمن يرغب إعمارها والسعي بإسكان العربان الرحل البادية التي لا ينقص عدد نفوسها عن الخمسين ألف نفس وهي عشيرة الرولة وولد علي والمعجل والسوالمة وعبد الله والخريشات والسرحان والجبور والسردية والعيس وبنو خالد وعربان الجيل الشرافات والعضامات والمساعيد وغيرهم وعرب اللجاه وعرب الصفاه والنعيم.

١٧ ــ محافظة حراج عجلون وترغيب أهالي حوران في غرس الأشجار.

١٨ ــ حفر الآبار الارتوازية في قرى حوران لاحتياج الأهلين إلى الماء.

١٩ ــ تقسيم قضاء عجلون إلى قضائين نظراً لسعته وسلخ القرى المجاورة للمسمية من قضاء وادي العجم وإلحاقها بالمسمية إذا صارت قضاء.

٢٠ ــ حمل إدارة البريد والبرق على وضع صناديق للمكاتيب في كل موقف من مواقف الخط الحجازي في حوران وأن تعيّن ستة موظفين سيارين يجلبون المكاتيب من القرى ويوزعونها عليها على أن تكون مراكز الأقضية مراكز لهم وإبطال السروجي ما بين إربد والمزيريب وجعله بين درعا وإربد وإزرع وشمسكين.

٢١ ــ إنشاء خطوط برقية بين شمسكين وإربد والسلط وبين السلط ومأدبا وبين مأدبا والكرك وبين الكرك والطفيل وبين الطفيلة ومعان وبين شمسكين وإزرع وبين إربد ودرعا وبين السلط وعمان وبين زيراء والجيزة ومأدبا وبين الكرك والقطرانة وبين الطفيلة والحساء.

■■■

# من مطران حوران نيقولاوس قاضي إلى خليل رفعت أفندي الحوراني

## جواباً على ما كتبه في المقتبس الأغر عدد ٥٠٨

إن ما كتبته في المقتبس الأغر بمقالتي الأولى إن هو إلا حادثة تاريخية جرت لي رواها بعضهم مشوهة الحقيقة فجئت مصححاً لها كما حدثت بما تخللها على علاتها غير قاصد إطراء شخص أم عشيرة ولا التحكك بأحد ولذا لا أرى ما هي النسبة أو العلاقة بين مقالتي الأولى والأسئلة التي وجهتموها إلي للجواب عليها ومع ذلك فلكي لا تبقى حاجة في نفس يعقوب أجيب.

١ ــ على الأسئلة الثمانية الأولى إن ما ذكره أبو تمام في عدد المقتبس ٤٧٠ يكفينا مؤنة الجواب فليطالعها من يشاء وأما ٩ و ١٠ فلا شأن لي بالجواب عليها ولكن أن يعتقد ما يشاء وليس له أن يحتقر سواه ويعتدي عليه فالحرية قوامها الخير لا الشر وحرية كل أحد حدها بداية حرية الآخرين.

٢ ــ أنتم تعلمون مثلي أن الطوائف والعشائر مثلها مثل كل الأفراد ترقى وتنمو بمقدار عناية وكفاءة من يقوّم عوجها ويدير شؤونها وكما أنه لا يخلو الفرد من عيب مهما بلغت درجة رقيه وكماله.

**ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلاً أن تعد معايُبه**

وكذلك لا تخلو عشيرة من أشقياء يسودون صحيفتها فيما يأتونه من أعمال الجهالة والاعتداء ولاسيما إذا لم يلق ذلك الجاهل من رادع أو وازع (يا فرعون من فرعنك)؟ فالسر كله هنا كما الصيد في جوف الفرا وقد رسم قائد الحملة الخطة التي تجري عليها الحكومة بأبلغ

عبارة فاه بها لمشايخ الجبل الذين حضـــروا لمواجهـــة دولتـــه قبـــل غشيانه السويداء إذ قال لهم في الوداع ((إن الحكومة الدستورية هـــي للمطيع أب وراع وللعصاة حاكم شديد تقتص من المجرم وتنتصـــف المظلوم من الظالم)) فلو مشت الحكومة الماضية على هـــذه الخطـــة لما احتاجت الحكومة الحاضرة إرصاد هـــذه الحملـــة التـــي تكلفهـــا النفقات الطائلة.

٣ ــ وعلى كل فليس الموقف الحاضر يا صاح بموقف تشف مـــن البقـــرة وقد وقعتً بل المروءة والشهامة والإنسانية تقضي على كل عثمـــاني أن يعاون حكومة اليوم التي هي غير حكومة الماضـــي إقالـــة هـــذه البقرة عثارها فإنها قسم من المجموع أو عضو من الجسم العثمـــاني مادين لها يداً لأنها منها من سقطتها ولكل امرئ من طبعه ما تعودا.

٤ ــ أما أصحاب الأملاك المغصوبة مثل الزنيقة التـــي أنـــتم منهـــا بـــل مقدامها وكذا من نهبت أموالهم كالـــذين ذكـــرتم مـــن مســـلمين أو مسيحيين فما ضرهم لو راجعوا حكومة الجبل بمطالبيهم فقد نصـــبت اليوم موازين العدل وكسرت شوكة الظلم ولكـــل أن يطالـــب بحقـــه وترى أبواب العدل مفتوحة لكل أصناف التبعـــة العثمانيـــة وبطـــل الحملة قائدها المحنك لا يراعي في سبيل الحق والعدل خلـــيلاً وهـــو على ما به من شرف رفيـــع وأصـــل نبيـــل تـــراه رجـــلاً شـــعبياً (ديمقراطي) المبدأ يبش بكل أحد مهما كان ضعيفاً أو صغيراً ويسمع لـــه بانتباه وينصفه من خصمه القوي والكل عنده سواء أمام عـــدل القانون.

٥ ــ وفي الختام لا بأس من اطلاع حضرتك على شهادة سامي باشا بصـــدق مقالتي الأولى مما حدث لي يوم الثلاثاء الماضي ذهبت نحو الساعة ١١ عربية للسلام على فهمي بك متصرف حوران الذي كان نازلاً في نـــزل الخواجات خوام عند ساحة المرجة فوجدت عنده فتحي باشـــا قومنـــدان الفيلق الخامس العام الذي قدمني إليه سعادة المتصرف وأردف قائلاً: إن مقالتكم الأولى طالعها سامي باشا كلها وقال بعدما أتى عليها: لقد صـــدق المطران في كل ما كتبه فكفى بهذه الشهادة السامية تزكية لصدق نيتـــي وعدم قصدي التحكك بأحد والسلام.

نقلاوس مطران حوران

■■■

# مقالات متفرقة بين سنتي

## ١٩٢١ ـ ١٩٢٤م

عالج الحوراني مظاهر التاريخ الاجتماعي لحوران، حتى مطلع العقد الثاني من القرن العشرين ونظراً لأهمية المادة التي جاءت في هذه المقالات الهامة والمتعلقة بحوران والتي كتبها صحفيون بعضهم ذيل مقالاته باسمه، وبعضهم آثر كتابة اسم مستعار وجدتُ من المناسب أن أفرد لهذه المقالات التي يعود تاريخها إلى العقد الثالث من القرن العشرين مكاناً خاصاً في هذا الكتاب

تحدث كاتبو المقالات عن أوضاع حوران عامة وبعض مدنها بخاصة، مثل قضاء الزوية، فحدد لنا الكاتب، سنة إحداثه، وحدوده، ومساحته وعدد سكانه، وعرَّفنا على هؤلاء السكان، ثم وصف لنا موقعه الطبيعي بسهولة وجباله ووديانه وأشجاره الطبيعية ونباتاته وثرواته الزراعية والحيوانية ولم ينس إبراز معاناة السكان وأوضاعهم الاجتماعية العامة.

وفي مقالة ثانية كتبها عمر الطيبي أحد أدباء وكتاب المقتبس بعنوان (حوران) قدَّم فيها وصفاً لظروف السكان الاجتماعية، وما يحيط بهم من بؤس وظلم، داعياً لمعالجة هذه الأوضاع، وتخليص السكان من نتائج الأزمة الاقتصادية التي ألمت بهم، ومن آليات الظلم التي كانت تكتنف حياتهم، جراء تحصيل الضرائب بطرق جائرة، وتنامى دور المرابين والمشايخ في إرهاق الفلاح وإغراقه بالديون، وحرمانه من ثمرة جهده وشقائه على مدى عام كامل ويدعو عمر الطيبي في هذه المقالة الإدارة لحماية الفلاح ((إذا شاءت أن لا تهلك لواء حوران)) ويحثها على الاهتمام بالمعارف وافتتاح المدارس والمدارس الزراعية. ولا ينسى معالجة مسألة المياه ومياه الشرب، وتطوير

الزراعة في حوران ((الذي هو مستودع سورية الوحيد)) وتعطينا مقالة أخرى صورة عن مدينة إزرع وتاريخها وآثارها وعمرانها القديم والحديث ويخاطب كاتب المقالة معلمي التاريخ، ويدعوهم لزيارة حوران ((فيشاهدوا صورة حقيقية عن تلك العصور)) التي كانت ((أكثر حضارة مما هي عليه الآن)).

ولا ينس كاتب المقالة وهو يسهب في وصف إزرع أن يشخص معاناة السكان الاجتماعية والاقتصادية ((ولقد حلق الفقر فوق الموقع في سماء هذه البلدة، فأكسبها رهبة فوق رهبة وسواداً على سوادها إذ أن المدقع الأزرعي ليستدين مئة بالمئة لذلك فلا يستفيد من محصول حبوبه فائدة)).

ومن إزرع إلى درعا حيث الحالة الاجتماعية بما فيها من فقر وبؤس وظلم هي هي لا شيء يختلف فالإدارة لا تقصر في جباية الأموال من السكان، دون أن تقدم لهم ولو خدمات بسيطة فقد بلغت واردات بلدية درعا سنة ١٣٤٢هـ ١٩٢٤م١٢٠٠٠ ليرة سورية ((ورغم كل هذا لم أجد لها حتى في درعا الجديدة أثراً يذكر)). وينتقل بنا الكاتب إلى وصف الحركة العلمية فيها، وبعد أن يشخص سوء الوضع العلمي والتربوي، يقرر الخلاصة التي استنتجها قائلاً: ((إن الحركة العلمية في حوران لما يدمي الفؤاد ويدعى المرء يذرف العبرات الغزار على أموال الأمة التي تصرف دون أن تستفيد البلاد شيئاً البتة)).

أما مدينة إربد التي حظيت بمتصرف مخلص، هو نبيه بك العظمة، الذي اهتم بشؤون المدينة العمرانية والإدارية والاجتماعية فقد أثمرت سياسته هذه تطوراً ملحوظاً في التعليم وبناء المدارس. ((إذ بنى في عهده عشرون مدرسة إن في مركز القضاء أو نواحيها)) ولم يتمكن نبيه العظمة إكمال ما خطط له، من إنشاء طرق وإصلاح عام، لأن ((أمد حاكميته انتهى دون أن يتم ما أراده ولم يعقب خلفه خطته العمرانية)) لعل مواجهة الواقع المأساوي تبدو ممكنة عندما تحظى البلاد برجل مخلص، يتسلم إدارتها، فتظهر نتائج عمله خلال فترة قصيرة.

تناولت جريدة المقتبس بعض مدن حوران الأخرى، مثل مدينة جرش التي احتوت على آثار خالدة جاءت المقتبس على وصفها وتعداد أهمها ثم تعرفنا على عدد سكانها ((يبلغ عدد سكان جرش بما فيها من القرى (١٢٠٠٠) نسمة أما عد سكان البلدة نفسها فيبلغ (٣٠٠٠) نسمة فحسب)).

لم ييأس محررو جريدة المقتبس، إذ لم تكف أقلامهم عن وصف واقع

حوران وتشخيص الداء والدواء وتصوير سبل النهـوض بالحيـاة الاقتصـادية والاجتماعية، ((وعد رجال الحكومتين الوطنية والمنتدبة المرة بعد المرة بإنشـاء مدرسة زراعية في قرية شمسكين... ولما كانت حوران بلاداً زراعيـة وهـي خزان سورية الوحيد الذي يدر اللبن والعسل فإنا نلفت أنظار الحكومتين لتحقيق هذا الوعد الذي ينتظره الأهلون بفارغ الصبر)).

إن وجود صحفيين، توفرت فيهم الوطنية المخلصة وصدق الانتماء للشعب والمعرفة الواسعة، أدى فيما أدى إلى تقديم مادة تاريخيـة تصـلح لأن تكـون مرجعاً للباحثين خلال تلك الفترة.

## قضاء الزوبة[1]

هذا القضاء كان ناحية أي مديرية، ثم أفرغ بشكل قضاء قبل أربعة أشهر.

**حدوده:** يحده من الجنوب نهر الشريعة أي نهر اليرمـوك ويسـمى وادي خالد ويتألف من وادي مسعود ووادي الرقاد ووادي المقـارن ووادي الشـجرة. وهذا النهر هو الحد الفاصل بين أراضي عجلون وأراضي هذا القضـاء. ومـن الشرق وادي العلان، ومن الغرب سماخ والسمرة والنقيب من أعمـال طبريـا ونهر الشريعة الفاصل بين هذا القضاء وقضاء صـفد، ومـن الشـمال قضـاء القنيطرة.

**مساحته:** طوله من ٦ ــ ٨ ساعات وعرضه من ٤ ــ ٦ ساعات باعتبـار سير الإبل أي ما يساوي ١٧٥كم٢.

**نفوسه:** يبلغ عدد سكان القاطنين به سبعة عشر ألفاً، وكلهم مسلمون، بينهم عدد قليل لا يتجاوز المائتين من المسيحيين. ولا يوجد بين سكانه يهود أصـلاً. وأغلب السكان من العرب الذين يعتنون بتربية الماشية وهـم عـرب الـدياب. المناظرة، القلابات، التلاوية، النعيم. ولد علي.

**موقعه الطبيعي:** تشتمل أرضه على سهول ووهاد وأغوار وأنجاد، فالسهل منبت للغاية والغور والنجاد، وفيه ما يصلح لزرع الحبوب، فما لم يصلح لزرع الحبوب من الأراضي الصخرية ينبت فيها الحراج، وتنمو بسـرعة زائـدة لأن الهواء مشبع بالماء الذي يتبخر من بحيرة طبريا بسبب شدة الحرارة. فالأشجار

---

[1] *المقتبس العدد ٣٢٤٢/٥ محرم ١٣٤٠هـ ٧ أيلول ١٩٢١م.*

تمتص قسطاً وافراً من هذه الأبخرة التي تجعلها صالحة لحفظ حياتنا. والآثار تدل على أن تلك الأراضي بأجمعها كانت الأشجار فيها أدواحاً مشبكة. ولقد سمعت من رجل ناهز الثمانين من عمره، من قرية كفر الماء الواقعة على ضفة وادي الرقاد، أنه شاهد بعينيه أن ذلك الوادي كان مملوءاً بالأشجار.

وأغلب ما ينبت فيه من الأشجار البطم. المسلول. الزيتون. التين. الكرمة. اللوز. الخروب. الصبار. الخوخ البري ويسمونه (حنحون) وقد شاهدت شجرة من البلوط نابتة في وسط صخرة قد شقتها، وطلعت من جوفها.

الوديان فيها عظيمة جداً صعبة السلوك. يبلغ عمقها عمودياً ألف متر يقطعها الفارس من حنفة لأخرى بساعة ونصف.

إن هذه الوهاد تدل على أنها حصلت إثر هزات وزلازل قوية. لأن الناظر إليها، يرى في أسفل جداري الوادي صخوراً ورمالاً رسوبية. ثم يأتي بعدها طبقات من صخور نارية، ثم طبقة ترابية، فوقها أحجاراً نارية مستديرة الشكل. ومن هنا نستدل على أن الزلازل القوية التي حصلت في هذه الأماكن، تركت أديم الأرض يموج سنيناً طوالاً، حتى استدار شكل تلك الأحجار، بسبب اصطدام بعضها ببعض.

**القوة الإنباتية:** القوة الإنباتية عظيمة جداً. ولولا أن الأهلين يزرعون الأرض بلا فاصلة، لأتت بغلات مدهشة، ولكنهم بدلاً من إراحتها وتسميدها فإنهم ينهكون قواها بزرع الذرة البيضاء والصفراء.

**المياه موجودة بكثرة.** تكفي للشرب وسقي البساتين والخضر، وهذا المحيط تعيش فيه المواشي بسبب الوديان لأنها لا تعرف البرد القارص أيام الشتاء ولأن خصبها عظيمة للغاية. أخبرني من أثق بصدقه أنه لما منع دخول العربان في أواخر أيام تركيا صارت العنز تلد في السنة الواحدة ثلاثة بطون نظراً لكثرة الخصب وجودة المراعي.

الطرقات فيها صعبة السلوك بسبب الوديان. تجارتها ضئيلة، ومنتوجاتها الحنطة والشعير والذرة الصفراء والبيضاء والقطاني. وما زاد عن حاجاتهم من الحاصلات ومن نواتج مواشيهم، يجلبونه إلى أسواق دمشق، يبيعونه ويستجلبون منها حوائجهم.

الحاصلات في هذه السنة ليست كما ينبغي، لأن في بعضها سقياً وقد بلغت مائة ألف مداً حنطة، وستين ألفاً من الشعير، وسبعين ألفاً من الذرة، وعشرة

آلاف من القطاني تقريباً، وهذه قليلة جداً بالنسبة لسعة الأراضي وقوة الإنبات فيها، إلا أن هناك سبباً ظاهراً، وهو أن الأراضي المعروفة باسم الدياب، والتي هي تحت ملك أولاد المرحوم عبد الرحمن باشا، البالغة مساحتها السطحية تسعين كيلومتراً، أي ما يزيد عن مقدار النصف من عامة أراضي القضاء، أكثرها خراب. ليس فيها جزء من مائة مزروع ومفلوح.

**الوديان:**

ينتفع بها جداً. إذا اعتنت الحكومة وأجبرت الأهلين على تشجيرها لأن عجلون أضحت منطقة غير منطقتنا[1]. فعلى الحكومة أن تبذل جهدها في تشجير هذه البقاع، ليكون منها غابات صالحة، تنتفع بها البلاد قاطبة، ولتكون ثروة لها. لأن ثراء الأهلين بنسبة الأشجار التي يملكونها.

**النفع من تأسيس القضاء.**

لقد استفاد الأهلون من تأسيس القضاء فائدة جمة فإنهم أصبحوا يعدون أنفسهم أحراراً بانسلاخهم عن قضاء القنيطرة، لأنهم كانوا أرقاء يتنازعهم نفوذ بعض أرباب العلاقات هناك، حتى رأيت القسم العظيم من أهالي دبوسيه، كفر حارب، شكوم، نجيحية، فيق، خماسة عند أحد أعضاء مجلس إدارة قضاء القنيطرة، يدفعون له أخماس حاصلاتهم، لقاء مبلغ زهيد جداً، وربما لا يتجاوز الثلاث ليرات وربما بلغ الخمس في بعض السنين مائة مد من الحبوب المتنوعة. أي ما يربو على عشرة أضعاف الذمة، مع أن التخميس ممنوع سابقاً ولاحقاً. وليس في شرع من الشرائع المدنية والدينية ما يجيز ذلك فإلى ذلك ألفت أنظار الحكومة في اللواء والقضاء.

وعدا الأسباب الآنفة فإن الأهلين، كانوا يلاقون الأمرين في ذهابهم وإيابهم للقنيطرة، نظراً لبعد المشقة وكلفة السفر.

**الطريق:**

رأت حكومة القضاء أن العمران يتوقف على تأمين الرفاه في السير والترحال، فلهذا أخذت في تسهيل الطريق، وجعلها صالحة لمشي السيارة، وعما قريب ستصل السيارة من دمشق إلى مركز القضاء.

---

[1] *في إشارة إلى تطبيق اتفاقية سايكس بيكو وتقسيم سورية الجنوبية.*

**الحالة في حوران[1]:**

وعدت قراء هذه الصحيفة أن أوافيهم بتفصيل عن الحالة الحاضرة في لواء حوران الذي علموا بشيء عما انتابه من الأرزاء والمحن، وقد حال دون إنجاز هذا الوعد في حينه اشتغال هذه الصحيفة بأمر الانتخابات ونقصد صك الانتداب وما شاكل ذلك من المسائل العامة التي يجب الإسراع بوصفها على بساط البحث قبل فوات الأوان على أن اشتغال الجريدة بمثل هذه المواضيع وعدم إمكان تخصيص بعض حقولها للبحث بالمسائل الاجتماعية لم يمنعني من بسط أحوال حوران التي تجب معالجتها في القريب العاجل لمن يعنيهم الأمر وقد أثمر السعي فزار حوران حضرة المالي المعروف حمد بك النصر رئيس المالية زيارة استغرقت ثلاثة أيام وقف خلالها على مقدار البؤس الناتج عن الأزمة الاقتصادية المخيفة وعلى ما يشكو منه الأهلون وقد فاوض حضرة الإداري الفاضل متصرف اللواء فريد بك العمري وحضرة مستشار اللواء الكولونيل أرنو مفاوضات طويلة كان من بعض نتائجها تقرير منح سلفة لأهالي حوران وقد رأيت بعد أن أبسط للرأي العام شكاية الحورانيين مختصراً وما هي:

١ ــ أول ما يشكو منه حوران الجهل المطبق الذي عشَشَ في أدمغة بعض شيوخه حتى حملهم على محاربة المعارف وهذا أول ما يجب على الحكومة تلافيه بتعميم المدارس في جميع القرى وتطبيق التعليم الإجباري على الذكور والإناث وتأسيس مدرسة تجهيزية ليلية في درعا وقبول مقدار كبير من أبناء حوران في المدارس العالية مجاناً.

٢ ــ أثقل العشر المقطوع كاهل الحورانيين لأنه أضعاف ما يجب عليهم دفعه من العشر المشروع وقد اضطر أكثر الفلاحين في هذا العام لبيع جميع حاصلاتهم لدفع العشر والأموال المطلوبة منهم دون أن يتركوا شيئاً من غلتهم للبذار أو لمؤونتهم ولما لم يكف ذلك اضطروا للاستدانة بربى فاحش للغاية وقد مانع بعض الشيوخ من قبول العشر الشرعي الذي طلبه بعض الحورانيين حرصاً على العادات المتبعة ولو كانت لا توافق روح العصر الحاضر فعلى الحكومة إما أن تعيد العشر المقطوع إلى حده الحقيقي أو أن تحمل الأهلين على قبول

[1] *المقتبس العدد ٣٨٧٦، ١٨ ربيع الثاني ١٣٤٢هـ ــ ٢٧ تشرين الأول ١٩٢٣.*

قاعدة التلزيم أو التخمين هذا إذا شاءت أن لا تهلك لواء حوران.

٣ ــ انتهز المرابون الفرصة فصاروا يقرضون الأهلين بفائدة مئة في المئة ومن المضحك أن بعضهم يأتي بمعاذير يدعي أنها تحلل له الربى مثال ذلك أنه يبيع المستقرض مقداراً من الحبوب ديناً بأضعاف ما تساوي في الحال الحاضر ثم يبتاعها منه في نفس المجلس بنصف ثمنها حين العقد ويدفع له ذلك فعلى الحكومة أن تضع حداً لمثل هذه الأعمال التي لا تنطبق مع شرع ولا قانون وأن تفتح للفلاحين اعتماداً سنوياً تسلفهم إياه في كل سنة.

٤ ــ نضبت المياه في حوران وفقدت من أكثر القرى حتى اضطر الأهلون لشرب الماء الآسن واستنزف جلب الماء من المحال البعيدة عن القرى مبالغ من ثروتهم وقد خصصت المفوضية ٢٥ ألف ليرة سورية لتحري الينابيع في حوران وعهدت للمهندس القدير رشدي بك سلهب النظر في ذلك فعسى أن يتم المشروع على يده كما تم من المشاريع ما هو أهم من ذلك على أن المال المخصص لهذه الغاية قليل جداً فالأصل أن يبلغ إلى الحد المطلوب.

٥ ــ يجهل الفلاحون أصول الفلاحة الحديثة وذلك لعدم وجود مهندس زراعي في اللواء وأراضي حوران من أخصب الأراضي الزراعية المعروفة في العالم فواجب الحكمة يقضي بتأسيس مدرسة زراعية في حوران ومستودع للأدوات الزراعية وتعيين الكفاءة من المهندسين الزراعيين ليقوموا بتدريب الأهلين على الزراعة الحديثة بل وبإرغامهم عليها إذا اقتضى الحال وأن نؤسس في حوران حقولاً زراعية نموذجية.

٦ ــ في حوران بعض الموظفين الذين لا يقدرون على القيام بوظائفهم حق القيام وهم يسيئون للأمة والحكومة طبعاً وقد سهل لهذه الشرذمة القليلة التربع على كراسي الوظائف لأن الحكومة تعد حوران منفى لموظفيها فتهمل موظفي حوران وتضطر مقابل ذلك أن تغض عما لا يتفق مع القانون من أعمالهم فعسى أن تقلع الحكومة عن ذلك.

٧ ــ في حوران نفر من الشيوخ اعتادوا الاصطياد في الماء العكر تأميناً لمنافعهم الخسيسة وقد كثر تعيين المخاتير حتى صار في القرية

الصغيرة مختاران أو ثلاثة فزاد الشقاق وراج النفاق فعسى أن تنظر حكومة اللواء في تلافي ذلك هذا أهم ما تشكو منه حوران الآن وهناك شكاوى ثانوية يضيق النطاق عن استيعابها فألفت نظر من يعنيهم الأمر فتلاقيها بأسرع ما يمكن حرصاً على حياة حوران الذي هو مستودع سوريا الوحيد.

**********

**قدم الحاضرة**[1] فريد بك العمري متصرف حوران وأحمد بك السباعي محاسبها للمفاوضة مع الحكومة المركزية بشأن أعشار حوران. وسيعقد اجتماع غداً في درعا يوم الأربعاء يحضره مشايخ حوران لأجل المذاكرة مع حكومة اللواء بشأن الأعشار. وقد علمنا أنه تم الاتفاق مبدئياً على أن تكون أعشار هذه السنة ١٧٠ ألف ليرة والاجتماع الآنف الذكر هو لتوزيع المبلغ على القرى.

## إزرع[2].

بلد عريق في القدم تقع في الكيلومتر (٩٦) وقد ذكرت في الكتاب المقدس باسم اذرعين واذرعي فيها آثار قديمة جداً ومن آثارها مسجدها القديم الجامع وهو الآن قد قسم إلى قسمين قسم أصبح حظائر ومزارب للدواب والحيوانات ومداخر للتبن والقسم الثاني للسكن.

وبه الكثير من الحجارة المزبورة والنقوش التاريخية القديمة والكتابة من كوفية عربية إسلامية ويونانية قديمة. وعلى ما يقال بأن تاريخ هذا الجامع يرجع إلى العصور الإسلامية الأولى. أما منارة الجامع فذات طراز خاص بديع لم أشاهد منارة على شاكلتها وهي مبنية بالحجر الأسود الصواني على هيئة هرم.

ويوجد غير الجامع آثار أخرى في إزرع من بيوت قديمة وكنائس ومعابد وأنفس ما فيها من الآثار كنيسة القديس جورجيوس ويرجع تاريخها إلى عهد المسيح عليه السلام. وقد كانت قبلاً معبداً للأوثان ثم لما انتشرت الديانة وحجارتها منقوش عليها كتابات يونانية قديمة.

---

[1] *المقتبس* ٤٠١٣ ٢٩ *ذي القعدة* ١٣٤٢هـ ١/٧/١٩٢٤.

[2] *المقتبس العدد* ٤٠٠٦، ٢١ *ذي القعدة* ١٣٤٢هـ، ٢٣ *حزيران* ١٩٢٤.

تبعد إزرع عن المحطة زهاء ثلاثة أرباع الساعة أو أربع كيلومترات لذلك فإن الموظفين يسحبون مشقات عظيمة في ذهابهم على البلدة وعودتهم إلى دار الحكومة لذلك فالموظفون يضطرون في كل يوم على الذهاب والإياب إلى المدينة.

أراضي إزرع بركانية صخرية والناظر لها لا يرى غير بحر زاخر يمور بالحجارة السوداء ولا يكاد يميز الناظر إليها عن بعد بين الوعر والمعمور. أما طراز البناء فقد كان البناء قديماً جيداً جداً إذ تبنى البيوت وسواها من معابد وغيرها بالحجارة المنحوتة الجميلة بناء فنياً متقناً أما الآن فيكتفون برصف الحجارة دون ما نحت أم تنظيم وتسوية على الأقل ودون وضع شيء من الكلس والتراب (مونة) بين الحجارة ولو كان في هذه البلاد زلازل لما استقامت وانهدمت فوق أصحابها، وسقوف البيوت واطئة جداً وسبب ذلك أصول البناء الحالي أو بالحري رصف الحجارة دون أن تربطها رابطة ما ببعضها والبيوت مظلمة جداً لعدم وجود نوافذ أو على الأقل كوى لها ولا ينحصر هذا الحال في إزرع وحسب بل في جميع قرى حوران حتى وحواضرها. ويود زائر حوران لو وجد فيها شجرة أو نباتاً ولكنه يحاول عبثاً ويرجو أمراً صعب المنال ولعدم وجود الأشجار فإن البيوت تسقف بالحجارة هذه حال إزرع أما شوارع البلدة ومسالكها فلا يكاد يميز المرء بين واحدة وأخرى بل تؤخذ على المرء مسالكه ومذاهبه.

ولقد حلق الفقر المدقع في سماء هذه البلدة فأكسبها رهبة فوق رهبتها وسواداً على سوادها. إذ أن الأزرعي ليستدين مئة بالمئة لذلك فلا يستفيد من محصول حبوبه فائدة بل يستلمها مدينة. والحكومة المودع إليها النظر في مصالح الأهلين والسهر عليها ساهية لا تلتفت لما يقاسيه الشعب ويتألم منه فهي بدلاً من أن تقف سداً منيعاً يحول دون تحكم المرابين بالمزارعين تعاونهم فيما إذا تعسر على أحد المزارعين الدفع لهضم حقوقه وإكراهه على الدفع.

أما المياه هنا فأندر من الكبريت الأحمر وفي ظاهر البلدة مستنقع كبير قذر المياه يغسل فيه الأهلون حوائجهم ويسقون منه خيولهم. ويشرب بعض الأهلين منه. ويوجد فيها عدا عن هذا المستنقع عين ضئيلة جداً ضحلة المياه لا تكاد تكفي حاجة الأهلين الماسة.

ولم أجد هناك دليلاً يدل على أن في البلدة دائرة بلدية تقوم بإصلاح بعض الشؤون.

ولقد سرني ما شاهدته من تحابب الموظفين وتآلفهم وسعيهم يداً واحدة في سبيل المصلحة العامة.

ولا يسعني هنا إلا أن أرسل كلمة ثناء على حضرة قائمقام القضاء ومحاسبه وقائد دركه وسواهم من الموظفين لاهتمامهم بشؤون القضاء وإصلاح ما اختل من شؤونه الإدارية.

وأرى من الواجب على حضرات معلمي التاريخ في المدارس التي يدرسون تاريخ العصور الابتدائية الأولى أن يأتوا إلى حوران فيشاهدوا صورة حقيقية عن تلك العصور وأجزم بل وأحقق أن العصور الأولى كانت أكثر حضارة مما هي عليه الآن هذه البلاد إذ وجدت في القرون الأولى بنايات هائلة عظيمة لا تزال آية من آيات الفن والإبداع.

**********

## جرش[1]

غادرت إربد في الساعة الثامنة صباحاً قاصداً جرش فامتطيت متن إحدى النجائب لقلة السيارات التي تحيم جرش يصحبني صاحب النجيبة وسرت وإياه في طريق لا يجد السائر عليها في أول الأمر صعوبة وبعد أن اجتزنا أراضي قريتي الحصن والنعيمة هبطنا بطن واد كثير الأشجار وما أتينا على آخره إلا بعد ساعتين ومن ثم أصبحنا نتقلب في طريق شديدة الوعورة فنصعد تارة قمة جبل ونهبط أخرى بطن واد إلى أن اقتحمنا زهاء عشرين جبلاً ومثلها وادياً دون أن يقع بصرنا فيها على صادح أو باغم أو إنسان أو حيوان حتى ظننا أننا ضللنا الطريق وأننا سائرون على غير ما هدى وما أشرفنا على جرش إلا وبلغت أرواحنا التراق وكدنا نسلم النفس الأخيرة لكثرة ما أصابنا من النصب والتعب الشديد.

إن هذه الطريق التي سلكناها والجبال التي اجتزناها كثيرة الأشجار والظاهر أنها كانت غابات عظيمة حصدتها فؤوس الزراعين وقد عادت الآن لبعض ما كانت عليه وحبذا لو منعت الحكومة الأهلين عن

قطع الأشجار الآن حتى تعود إلى ما كانت عليه سابقاً فتكلل تلك الجبال

---

[1] *المقتبس، العدد ٤٠١٣، ٢٩ ذي القعدة ١٣٤٢هـ، ١/٧/١٩٢٤م.*

والرواسي بالغابات العظيمة التي تجر على البلاد المنافع الجزيلة ويكثر بواسطتها هطول الأمطار الذي يشكو الناس قلتها.

بلغنا جرش في الساعة الرابعة مساءً ونحن على ما نحن عليه من النصب الشديد.

جرش بلدة واقعة في بطن واد تتفجر منه عيون جميلة تروي بمائها العذب الرقراق تلك الأراضي الطيبة والخمائل الغناء وأول ما يلفت نظر القادم إلى جرش آثارها العظيمة القائمة في الجهة الشرقية منها الدالة على عظمتها وما لها في بطون التاريخ من جليل الأعمال وغرر المآثر والتي لم تفيد الحدثان رغم كر الدهور ومر العصور على النيل منها. وسأكتفي الآن بسرد ما فيها من الآثار الجليلة وأرجيء التفصيل لمقال خاص أكتبه أفيها حقها من الوصف وأني الفاعل إن شاء الله.

**آثار جرش.**

١ــ ملعبان عظيمان

٢ــ معرض

٣ــ بقايا كنيسة

٤ــ بقايا معبد الشمس

٥- جسران غريبا الصنعة أحدهما كبير والآخر صغير

٦ــ دائرة محكمة يبلغ نصف قطرها ٢٥ متراً

٧ــ سوق طويل تحفه أعمدة هائلة من جانبيه يقسم البلد من أولها إلى آخرها قسمين

٨ــ أقنية لتوزيع المياه بطرز عجيب يستدعي الدهشة والإعجاب

٩ــ حمام من أعظم حمامات العالم.

١٠ــ بركة عظيمة تسقي المواشي يبلغ طولها زهاء (١٠٠) متر وعرضها زهاء (٤٠) متراً

١١ــ باب عمان

١٢ــ سبيل عجيب.

١٣ــ جدران مسقوفة بالفسيفساء البديعة ١٤ــ بقايا سور المدينة.

والظاهر أن القسم الغربي كان للمحال الرسمية والقسم الشـرقي للسـكن. وأكثر هذه الآثار رومانية عربية. جرش مدينة عريقة بالقدم والحضارة ويقـال أن تاريخها يمتد إلى ما قبل الميلاد بـ (١٠٠٠) سنة تقريباً.

ولا يعلم السبب الذي من أجله دعيت بهذا الاسم من القديم إلا أن ما يقـال وتتناقله الألسنة هنا أن قبيلة الجرشيين التي كانت في اليمن أتت إلى هذه المدينة فدعيت جرش باسمهم. على أن هذه الرواية ليست ذات قيمة تاريخية أبداً علـى ما أرى ويراه غيري أيضاً إذ لم يهتد الباحثون حتى الآن ولم يعثروا على اسـم لها غير هذا الاسم.

ولقد أساء الأهلون استعمال هذه الآثار في زمن التـرك فبنـوا بأحجارهـا بيوتهم وكسروا من أعمدتها شيئاً كثيراً إذ لم يكن هناك رادع يزجرهم عن غيهم لأنَّ جرش كان قرية بالنظر لمكانتها جعلت ناحية وفي سنة ١٩١٨ عندما دخـل الجيش العربي سوريا فاتحاً وتألفت الحكومة السورية العربية تشـكلت جـرش قضاء.

يبلغ عدد سكان جرش بما فيها من القرى (١٢٠٠٠) نسمة أمَّا عدد سـكان البلدة نفسها فيبلغ (٣٠٠٠) نسمة فحسب.

يقوم بإدارة القضاء الآن سيادة الشريف عبد الرحيم ولقد قابلتـه فوجدتـه شيخاً طاعناً في السن لذيذ الحديث ذكي وهو محبوب من الأهليين والعشائر معاً في هذا القضاء خمسة مدارس للذكور ومدرسة للإناث وكلها أسست حديثاً تضم بين جدرانها زهاء (٢٠٠) طالب وطالبة مع أنه لم يسعف الحظ فيهما سلف هذه البقاع فيؤسس فيها ولو معهد علمي واحد يجلي عن سـمائها ظلمـات الجهـل الدامسة.

جرش كثيرة المراعي لتربية الماشية وأهم حاصلاتها الحبـوب والخضـر والفواكه بأنواعها.

**القرض** [1]

بعد طول العناء صدر الأمر بإقراض الحورانيين المبلغ المقرر لهم وفـي نهار السبت حضر أهالي القرى إلى درعا لاستلام القرض بعد أن تحملوا مشاقاً عظمى وتكبدوا مصاريف باهظة فأمرت الحكومة بأن لا تعطي الـدراهم لكـل

---

[1] *المقتبس، العدد ٤١٣٥ الأحد ١٩ ربيع الثاني ١٣٤٣هـ ١٦/١١/١٩٢٤م*

واحد بمفرده بل توزع على القرى وتسلم حصة كل قرية لشخصين أو ثلاثة من وجوهها وأمرت بأن يقتطع من أصل ما يصيب كل قرية الأموال الباقية على أهاليها وقد اقتطع أيضاً أربع أو خمس أو ست ليرات سورية لقاء ثمن السيف الذي قدم باسم حوارن لفخامة الجنرال ولأجل النفقات التي صرفت في ضيافته فلم يلحق الفقير البائس أكثر من بعض أوراق سورية أو خمسة عشر وهي لا تكفي لمؤونة عياله وهذا فضلاً عن أن الذين استلموا المبلغ أصبحوا يتحكمون بالفقراء المساكين وربما غدروهم ليشبعوا أطماعهم وليدفعوا لمن غير محتاج للدراهم وقد كان من جراء تسليم الدراهم لأناس مخصصين من أهالي القرى إن ضاع على أهالي قرية أم الميادن ١٣٠ ليرة سورية ولما يئس هؤلاء اضطر الكثيرون منهم للهجرة من القرية في سبيل إيجاد مرتزق لهم ولسان حالهم يقول:

((فيالك من نُعمى تحولن أبؤسا))

**الأعشار**[1]:

عقد اجتماع لدى الحكومة رأسه متصرف اللواء حضرة فريد بك العمري وحضرة أعضاء المجلس الإداري ومستشار اللواء والشيوخ للمذاكرة في توزيع الأعشار التي بقيت على ما كانت عليه في السنة السابقة أي (١٧٠) ألف ليرة سورية فصار كل واحد من الشيوخ يدافع عن قريته فقط ولا يهتم لمصالح القرى الأخرى أو لجعل التوزيعات عادلة ولما لم يتفق الشيوخ على توزيع عادل قامت الحكومة بإجراء التوزيعات وفي الحقيقة أن توزيعاتها كانت حسنة أرضت أكثرية الأهلين وقد رفع حيف عن بعض القرى كتل شهاب وطفس غير أن الحكومة تسعى لرفع الحيف عن أهالي تلك القرى وقد كان عمل الحكومة حسناً يوجب الشكر على أن لا بد لنا من أن نهمس كلمة في أذن الشيوخ الذين اعتادوا أن لا يتفقوا ولو مرة واحد فقط فقد ضجوا وصخبوا من توزيع الأعشار في العام الماضي لأنَّ حكومة لم تدعهم حين التوزيع ولما دعتهم في هذا العام برهن أكثرهم على أنه لا يريد إلا نفعه ونفع قريبته ولو خربت بقية القرى.

إن علة حوران على الأكثر هو آثار من أثر تخاذل شيوخها وعدم اهتمامهم بالمصالح العامة فعسى أن يعدلوا عن ذلك ولا فأنا مضطر لتقريعهم

---

[1] *المقتبس ٤٠١٩، ٦ ذي الحجة ١٣٤٢ هـ تموز ١٠٢٤م*

المرة بعد المرة حتى نصل للغاية المنشودة.

**المدرسة الزراعية:** وعد رجال الحكومتين الوطنية والمنتدبة المرة بعد المرة بإنشاء مدرسة زراعية في قرية شمسكين وقد مضى على هذه الوعود أكثر من سنة وحتى الآن لم نرَ أثراً يدل على اهتمام الحكومة بالأمر ولما كانت حوران بلاد زراعية وهي خزان سورية الوحيد الذي يدر اللبن والعسل فإنا نلفت أنظار الحكومتين لتحقيق هذا الوعد الذي ينتظره الأهلون بفارغ الصبر.

**حوران والديون:** مصائب الفلاح كثيرة تنهال من كل صوب وحدب ومن أعظم هذه المصائب الدين الذي أثقل عاتق الفلاحين وجعلهم فريسة للطامعين يشتغل الفلاح طول السنة مواصلاً ليله بنهاره ليؤمن معاشه ومعاش عياله على الأقل فإذا ما صار وقت البيدر يحضر إخواننا التجار يطالبون الفلاحين بديونهم التي يقرضونهم إياها بفائدة مئة بالمئة فقبل أن يقطف الفلاح باكورة عمله يضطر لأداء دينه فيبيع حاصلاته بثمن بخس أملاً بأن يرتاح من مطالبة الدائنين على الأقل غير أن هؤلاء بعد أن يشتروا

■■■

# ماضي الكرك وحاضره

كتب خليل رفعت الحوراني عدداً من المقالات التاريخية، ونشرها في جريدة المقتبس خلال عامي ١٣٢٨ ــ ١٣٢٩ هـ ــ ١٩١٠ ــ ١٩١١م بعنوان (ماضي الكرك وحاضره) تضمنت هذه المقالات معلومات علمية قيمة، حول موقع الكرك وحدوده وسهوله وجباله وأوديته ومدنه وقراه المعمورة والخربة وسكانه من حضر وبدو.

مثلما تناولت مظاهر الحياة السكانية، من عادات وتقاليد وتعليم وسكن فجاءت مقالاته هذه مشابهة لمقالاته عن لواء حوران إلى حد كبير.

ولأن لجنة التراث بجامعة مؤته في الأردن، قامت بتحرير هذه المقالات ونشرها في كتاب

(ماضي الكرك وحاضره) سنة ١٩٩٤، رأيت عدم نشرها مع مقالات لواء حوران.

بيد أن أهمية المادة المنشورة عن الكرك وغناها، جعلتني مضطراً لكتابة مكثفة مختصرة حول تاريخ الكرك تحقيقاً لهدفين:

١ــ تقديم صورة متكاملة، تغطي تاريخ منطقتي حوران والكرك

٢ــ المقارنة بين هاتين الدراستين، وما فيهما من تأريخ وإبراز ظروف هذين اللواءين والمعطيات الاجتماعية والاقتصادية والفكرية لتتكامل عناصر المشهد التاريخي الذي كتبه رفعت الحوراني، وبسبب تشابه مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية، وأدوات الحكم العثماني وأساليبه في التعاطي مع السكان، نجد أن تطور حركة التاريخ وأوجهها واحدة اقتصادياً واجتماعياً، لا سيما أن منطقة الكرك ليست

امتداداً [١] طبيعياً لحوران فحسبه بل كانت ولو لفترة قصيرة تشكل معاً وحدة إدارية، تتبع ولاية سورية ففي سنة ١٢٨٥ هـ ١٨٦٨ م قامت الإدارة العثمانية بفصل منطقة الكرك والسلط عن لواء حوران، واتبعتها إلى لواء البلقاء[٢].

وكانت التغيرات الإدارية تتتابع، ففصل قضاء السلط عن لواء البلقاء، وأتبع للواء حوران سنة ١٣٠٦ ـ [٣] ١٣٠٧ هـ ١٨٨٨ ١٨٧٩م. وورد في التقرير السنوي لولاية سورية أسماء المدارس الابتدائية، وأسماء أعضاء شعبة المعارف[٤] في قضاء السلط ومعلومات إدارية أخرى، غير أن هذا الوضع سرعان ما تبدل فأعيد قضاء السلط إلى لواء البلقاء، الذي كان مركزه مدينة نابلس، والذي كان يتكون من أقضية السلط والكرك ومعان. ثمَّ أحدث لواء الكرك[٥] سنة ١٢٧١ هـ ١٨٩٢ م دون أن يشمل قضاء علجون الذي بقي تابعاً للواء حوران حتى سنة ١٩١٨م

## لواء الكرك

### الموقع والحدود.

بعد أن تحول اسم لواء البلقاء[٦] إلى الكرك، أصبحت مدينة الكرك مركز اللواء الذي تكون من أربعة أقضية:

١ـ قضاء الكرك[٧] (مركز اللواء)

٢ـ قضاء معان

٣ـ قضاء الطفيلة

٤ـ قضاء السلط.

---

[١] *سالنامة الدولة العلية العثمانية، سنة ١٢٨٣ هـ ١٨٦٦/ ص ١٧٧ ـ ١٧٨*

[٢] *المصدر نفسه، سنة ١٢٨٥ هـ ١٨٦٨ م ص ٨٦*

[٣] *سالنامة ولاية سورية ١٣٠٦ ـ ١٣٠٧ هـ ١٨٨٨ ـ ١٨٨٩ م ص ١٣٢ ـ ١٣٣*

[٤] *المصدر نفسه، لسنة ١٣١٢ ـ ١٣١٣ هـ ص ٢١٠ ـ ٢١١*

[٥] *سالنامة الدولة العلية العثمانية، لسنة ١٢٨٣ هـ ١٨٦٦ م ص ١٧٧ ـ ١٧٨*

[٦] *المصدر نفسه، ص ١٨٦*

[٧] *سالنامة ولاية سورية، ١٣٠٦ ـ ١٣٠٧ هـ ١٨٨٨ ـ ١٨٨٩ م*

اشتملت هذه الأقضية على سبع نواحي، وتسع وسبعين قرية ومزرعة.

يحد لواء الكرك من الغرب نهر الأردن والبحر الميت، ومن الشرق بادية الشام ونجد والجوف، ومن الشمال لواء حوران ((ومن الجنوب حدود مدائن صالح أي حدود المدينة المنورة، وبعبارة أخرى حدود ولاية الحجاز وقد رسمت هذه الحدود بموجب التقسيمات الملكية الحاضرة [1]))

وأهم قرى مركز اللواء هي: العراق وكثر ربه وخنزيرة، وأهم قرى اللواء هي: الكرك والشوبك ومعان والفحيص ووادي السير ناعور وعين صويلح.

يلاحظ هنا أن عمان والسلط والكرك، ما زالت حتى العقد الأول من القرن العشرين قرى، كما يصفها خليل رفعت الحوراني في مقالاته.

## جبال الكرك وأنهاره.

لم يفصل الحوراني في ذكر أسماء الجبال والأنهار وروافدها إلا قليلاً، إلا أن ذلك لا يقلل من شأن دراساته، وأهمية معلوماته، في وقت لا توجد فيه المصورات الطبوغرافية والخرائط ووسائل البحث العلمي.

فرأى أن جبال الكرك تقع على ضفاف الغور [2] ((المتشعبة من جبال عجلون التي تنتهي من وراء قضاء الطفيلة وقضاء معان، بعد أن تجتاز قضاء السلط وقضاء الكرك فالطفيلة ومعان، فتدعى في كل قضاء باسم القضاء الذي تجتازه))

ثمَّ يشير إلى أنها ليست مرتفعة عن سطح البحر مثل جبل الشيخ، وفيها تلال مكسورة بالغابات والحراج وأشهرها جبال الكرك وجبل شيحان وجبل الشوبك.

## الأنهار أو السطوح المائلة:

وتتكون كلها من الشرق من لواء الكرك، فتسيل إلى الغرب، حتى تصب في نهر الأردن الشريعة [3]وأشهرها:

---

[1] *المقتبس، العدد ٥٥٧ ، ٢٤ ذي الحجة ١٣٢٨ هـ ٢٦/ ١ / ١٩١٠*

[2] *المقتبس، العدد نفسه*

[3] *وردت أسماء الأنهار في مقالة واحدة نشرها الحوراني في جريدة المقتبس: العدد ٥٥٧ تاريخ ٢٤ ذي الحجة ١٣٢٨ هـ ٢٦/١/١٩١٠*

(( ١ــ وادي الزرقاء، ينبع من رأس عمان، ويخترق أراضي عمان والزرقاء وجرش ويصب مع روافده في نهر الأردن.

٢ ــ وادي السلط. يتألف من قصبة السلط، ويمر من أراضي الغور لينتهي بنهر الأردن

٣ ــ وادي السير، يتألف من قرية وادي السير، ترفده في سيره ينابيع كثيرة، ويمر بأرض عباد، ثمَّ يجتاز عراق الأمير والغور، ويصب في نهر الأردن

٤ ــ وادي حسبان، يبدأ مياهه من موقع حسبان، وترفده ينابيع كثيرة، مروراً بالغور، ليصب في الأردن

٥ ــ نهر زرقاء معين، يبدأ من زرقاء معين، وينتهي في نهر الأردن

٦ــ وادي والا، يتألف من أراضي بني حميدة بقرب أم الرصاص، ثمَّ يمر من ناحية ذيبان، ثمَّ يلتقي مع وادي الموجب ليصب في نهر الأردن.

٧ ــ وادي الموجب، يتألف من اللجون الواقعة بين القطرانة والكرك، ويفصل أراضي بني حميدة عن أراضي الكركية المجالي، ثمَّ يجتمع بوادي الوالا ويصب في نهر الأردن.

٨ ــ وادي الكرك، يتألف، قصة بالكرك نفسها، وترفده مياه وينابيع المطر، ويصب في البحر الميت.

٩ ــ وادي الحسا، يبدأ من الحسا، ويفصل بين قضاءي الكرك والطفيلة، ويجتمع بمياه الشراة ووادي موسى، ويصب في البحر الميت.

١٠ ــ وادي موسى، بعد تكون يتصل بوادي الحسا والشراة وينابيع أخرى ويصب في البحر الميت.

١١ ــ وادي الثمد. يشبه هذا الوادي أودية حوران ويقع في أراضي بني صخر وينتهي بوادي والا، غير أنه يجف في الصيف))

١٢ ــ تحدث الحوراني في مقالاته عن الكرك بشكل مستفيض، شمل أثار (١١) أقضية اللواء كلها.

ولم يغفل عند الكتابة عن لواء الكرك عن أثاره، وإن لم تأخذ عنده هذه الآثار حيزاً كبيراً، ومن الظلم أن نوجه اللوم للرجل، لأنَّه لم يسهب في الكتابة

عنها، كما فعل في الكتابة عن أثار حوران ولعل نشأته في حـوران، وأعمالـه التي مارسها، وتجواله في أقضية اللواء، تكمن وراء المعلومات الـوفيرة التـي كتبها.

بينما كانت إقامته قصيرة في لواء الكرك، ويبدو أنه لم يستطع إلا بالاكتفاء بما ذكرته له المصادر القديمة المتوفرة التي اطلع عليها، ومـا تقدمـه الـذاكرة الشعبية فرأى أن أهم أثار الكرك هي أثار وادي موسى التي تفصل القدس عـن أرض الحجاز، ويذكر لنا أنها تعرف عند الأوربيين بالبتراء. ثمَّ يتحـدث عـن قلعة الكرك. ويرى فيها حصناً من أعظم حصون سورية، وهي [1] (( مفتـاح بين المصري والشامي والحجازي)) وباختصار يشير إلى قلعة الشـوبك قـرب الكرك.

## أضواء على مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية.

### أهم مظاهر الحياة الاقتصادية في لواء الكرك.

وصف لنا خليل رفعت الحوراني حياة السكان الاقتصـادية فـي البادية والمدينة والريف، دون أن يتحدث بوضوح عن الانقسام الاجتماعي، والتفـاوت في الدخل والملكية وعن بروز ظاهرة الأعيان، وإن ذكر لنا عدداً منهم، ممَّن له نفوذ على العشائر، ورأي مسموع عند الإدارة.

وحسب الحوراني فإن سكان لواء الكرك يعملون بالزراعة وبتربية الأغنام والجمال تماماً مثل سكان لواء حوران، وإن كنت الغلبة في الكرك لنمط الإنتـاح الرعوي وليس الزراعي، نظراً لبعد أراضي اللواء عن مركز ولاية سورية في دمشق. وبسبب كثرة الجبايات والغرامات التي كان يـدفعها البـدو والحضـر، بالإضافة إلى سنوات القحط والجفاف والصراعات العشائرية علـى المراعـي ومصادر المياه وكانت هذه العوامل كلها تضعف السواد الأعظم مـن الفلاحـين والبدو، وتقوي سيطرة المشايخ عليهم. ما دامت الدولة المركزيـة لا تعتنـي إلا بجباية الضرائب على حساب وظائف الدولة الأخرى، فتقوي سـلطة الأعـراف والتقاليد التي يمارسها شيخ القبيلة أو العائلة في التجمعات الحضـرية، لتسـير فئات المجتمع كلها نحو مزيد من الانكفاء نحو الداخل، باتجاه الحيـاة الداخليـة

[1] المقتبس، العدد نفسه

للعشيرة والقبيلة والفخذ أو العائلة، وتزداد شوكة الصراعات العشائرية والقبلية، لا سيما إذا علمنا أن لكل عشيرة حدود وهمية معترفاً بها توضح حدود مراعيها.

إذا ما أشار الحوراني إلى تعسف المشايخ بالفلاحين، في مقالاته حول تاريخ حوران، فإنه ووفق بنيته الفكرية والاجتماعية، لم ير مرتكزات الفكر العشائري وآلياته التي تمكنه من ديمومة استمراره. ما دامت هذه المرتكزات قابلة للاستمرار بفعل سيادة المصالح المشتركة التي تجمعه مع رموز ومؤسسات الدولة العثمانية وبنيتها شبه الإقطاعية والاجتماعية من جهة مادامت القوى المنتجة تعيش حالة عجز عن تطوير آلية صراعها، ضد القوى المهيمنة من جهة أخرى.

بيد أن كل ذلك لا ينفي الروح الإصلاحية التي تسكن خليل رفعت الحوارني، والتي دفعته ليراهن على الدولة للشروع بالإصلاح، فدعا إلى إصلاح الطرق ((لأنها ترقي التجارة وتزيد العمران[١] )) وتحدث عن الشركس وقيامهم بالعمل التجاري وافتتاحهم ((مئة دكان [٢])) في عمان.

وقدم لنا وصفاً لمعظم مظاهر الحياة الاقتصادية في لواء الكرك، فذكر أشجار الفاكهة مثل الرمان والعنب والزيتون والحبوب، واستخراج الفحم من الغابات، وحول زراعة العنب وانتشار كرومها

قال [٣]: ((وتجني من هذه الكروم من العنب أطيبه ومن الزبيب أحسنه ويخرج إلى نابلس والقدس والخليل منه ما يأتي إلى حوران والكرك)).

ويصدر أهل لواء الكرك من الحبوب، ما يفيض عن حاجتهم إلى نابلس والقدس وحيفا ودمشق. ثمَّ يتحدث عن الأراضي البائرة، ((ويقدرها بمئتي ألف دونم)) من الأراضي التي يفضلها على أرض حوران. فنراه يقول: ((فلو أتاح الله لتلك الأرض من يتوفر على زراعتها على الأصول الحديثة لأعطيت بدلاً من حبة مائة حبة [٤])).

لقد كان يعمل فكره في دعوته للإصلاح، ليقدم حلولاً ممكنة التطبيق، فقد

---

[١] المقتبس، العدد ٥٧٠ ، ٩ محرم ١٣٢٨هـ ١٠/١/١٩١١م

[٢] المقتبسن العدد ٥٥٧ ، ٤ ذي الحجة ١٣٢٨ هـ ٢٦/ ١/ ١٩١٠

[٣] المقتبس، العدد ذاته

[٤] المقتبس، العدد ٥٥١، ١٧ ذي الحجة ١٣٢٨ هـ ١٩/ ١٢/ ١٩١٠م

دعا إلى توزيع الأراضي في اللواء، لا سيما البائرة منها على الفلاحين من أهل معان عشيرة الحويطات وغيرهم في أراضي اللواء البائرة، بشرط أن يعمروا فيها القرى [١] ((لعمرت حينئذ في هذه البقعة (أي نقطة معان) نحو عشرين قرية على الأقل تنتفع منها الأمة والخزينة، فتحيا تلك الربوع المباركة ويتصل العمران وخصوصاً بين العقبة ومعان)).

يستدل من النصوص المكتوبة، أن الحوراني كان يدعو إلى توظيف معطيات الطبيعة في دعوته الإصلاحية لتطوير الحاضر وولوج المستقبل، بإعمار أراضي لواء الكرك وقراه الخربة [٢]

((التي إذا عمرت هذه القرى في هذه البقعة ستكون جنة من الجنات لأنها كثيرة المياه وافرة الخصب طيبة التربة ونقية الهواء)).

كثيرة هي الأمثلة التي تدلل على سعة مداركه وبعد أفقه، ولعل القارئ يراها واضحة، عند قراءة نصوصه في السطور وما بين السطور. ففي وصفه لأراضي وادي موسى، حديثاً قائلاً [٣] ((يقول العارفون بجوف هذا الوادي أن أرضاً وافرة جداً هي سقي تزرع وأكثرها معطلة إلا القليل منها بزرع سكانه أشجاراً وحبوباً فلو عني به حق العناية لأفاد أضعاف أضعاف تلك الفائدة)). وهنا لم يترك الحوراني قضاء أو ناحية أو قرية خربة، إلا وتحدث عن أرضها وزراعتها وطرقها، وأشار إلى ضرورة تطويرها، ولتحقيق ورؤيته الإصلاحية هذه، كان يدعو لتأسيس المصارف الزراعية، لتقديم القروض للفلاحين والبدو الذي توزع عليهم الأراضي الزراعية التي كان يقترح توزيعها. فيدر ((ذلك على الأهالي والأمة وخزينتها واردات عزيزة)) [٤]

كما لم تفته أهمية المعادن، وعملية استثمارها، وضرورة إيجاد السكك الحديدية واللازمة لتطوير الاقتصاد، مثلما مثلت في ذهنه أهمية الغابات والحراج واستخراج الفحم.

---

[١] *المقتبس، العدد ٥٥٦، ٢٣ ذي الحجة ١٣٢٨هـ ٢٥/ ١٢/ ١٩١٠م*

[٢] *المقتبس، العدد ٥٦٩، ٨ محرم ١٣٢٩ ١٠/ ١/ ١٩١١م*

[٣] *المقتبس، العدد نفسه*

[٤] *المقتبس، العدد ٥٧٦، ١٦ محرم ١٣٢٩ هـ ١٧ / ١/ ١٩١١م*

## من مظاهر الحياة الاجتماعية.

قدم الحوراني توصيفاً غنياً لبعض مظاهر الحياة الاجتماعية في لواء الكرك. وإن لم يفصل فيه، كما هو الحال في دراسته للواء حوران، ولعل الأسباب ذاتها التي دفعته للتكثيف والاختصار في حديثه عن الحياة الاقتصادية في الكرك. هي وراء الإقلال في الحديث عن مظاهر الحياة الاجتماعية في الكرك.

بيد أن قدم صورة عن عادات وتقاليد سكان لواء الكرك في البادية والقرية والمدينة وعن توزعهم الديني والعرقي، مثل الشركس الوافدين الذين أسكنتهم الدولة العثمانية في مدينة عمان وقرى وادي السير ورأس عمان ورصيفة وناعورة وعين صويلح وعين الحمر. مثلما فعلت في قضاء القنيطرة، وعدد من قرى القضاء.

ثمَّ تحدث الحوارني مثلاً عن ساكني مدينة السلط ((وزعيم النوابلسة والغرباء في السلط منيب عبد الرزاق [1])).

يشتغل معظم سكان لواء الكرك بالزراعة وتربية الماشية، ومنهم من يصدر فائض إنتاجه لفلسطين أو دمشق. ممَّا يعني ن طابع الحياة الاقتصادية، يتوزع بين نمطي الإنتاج الزراعي والرعوي ولم يتطور بعد باتجاهات أكثر بعداً، لتتشكل فئات تجارية وحرفية قادرة على التأسيس لولادة بورجوازية تجارية لها مشروعها السياسي والاقتصادي والاجتماعي الإصلاحي والتنويري أو النهضوي.

ولعل فهم تلك المعطيات، يسعد حتى الآن وبعد مضى قرن، على فهم أسباب التخلف الاقتصادي في المنطقة العربية كلها، وسهولة احتوائه أو الهيمنة عليه، من قبل الاقتصاديات العالمية فقد ظلت مفاهيم العشيرة سائدة في ذهنية الناس، تسكن عقولهم، وهيمنت آلياتها التجزيئية، على عقولهم وفكرهم وبنسبة غالبة. فالعشيرة تنقسم إلى قبائل، والقبيلة إلى أفخاذ وعائلات. ولا سيما أن المدينة بمعناها العلمي والسياسي، لم تكن قد ولدت بعد في المنطقة وفي بلاد الشام، باستثناء عدد من المدن الكبرى فبقيت الغلبة لاقتصاد البادية ونمطه الرعوي، إلى جانب اقتصاد زراعي بدائي يقوم على الاكتفاء الذاتي، إلى حد

---

[1] المقتبس، العدد ٥٥٧، ٢٤ ذي الحجة ١٣٢٨ هـ ٢٦/ ١/ ١٩١٠

كبير من الإنتاج الزراعي والحيواني لا سيما أن سكان الريف لم يتركوا تربية الماشية، فإلى جانب قيامهم بالنشاط الزراعي كانوا يربون الماشية، ولا يخرج اقتصاد حوران عن هذا الاقتصاد بشقيه الزراعي والحيواني، وإن كان الأمر يخلف قليلٍ، بسبب غلبة الزراعة في أقضية حوران على الاقتصاد، وقيام مناطق زراعية واسعة، كانت تجبر الإدارة العثمانية على توفير مناخاً آمناً نسبياً يساعد الفلاحين على جني محصولهم. ليس لسد حاجة سكان حوران من الحبوب فحسب بل لأنَّ حوران كانت مصدراً رئيساً للغذاء لولاية سورية.

ومع تطور الحياة الزراعية في حوران، أخذت ملامح اجتماعية جديدة تبرز. تمثلت في ظهور ملاك وفلاحين [1] منتجين تنامى الوعي الاجتماعي بينهما ليولد ملامح صراع اجتماعي بين مالكي الأرض وفلاحيها، ويؤثر في الحياة الاجتماعية شيئاً فشيئاً. إلى أن شهد القرن التاسع عشر هبات وانتفاضات فلاحية، أضعفت النظام شبه الإقطاعي في حوران، واستبعدت مشيخات أو زعامات عائلية، لتحل محلها زعامات عائلية أخرى، مثل زعامة آل الشبلاق في السهل الحوراني وآل الحمدان في جبل حوران دون أن يبرز التناقض الطبقي، إذ كان جوهر الصراع يتسم بطابع عشائري على الزعامة والنفوذ وينطوي على بذور جنينية لدور فلاحي، يعمل على توظيف هذا الصراع لصالح الفلاحين إذ برز بوضوح في الانتفاضة العامية لفلاحي الجبل على مشايخهم سنة ١٨٨٨ ــ ١٨٩٠م [2] التي كان لها تأثير كبير في خلخلة مرتكزات النظام المشايخي السائد في حوران، وإن لم تتمكن من إنجاز أهدافها كلها.

لم يحدثنا الحوراني عن ملامح هذا التطور الاجتماعي بشكل واضح في لواء الكرك، ولعل تكوينه الفكري والسياسي وانتماءه الاجتماعي لا يدفعه للحديث عن معاناة الفلاحين، إلا في الحدود التي تحدث عنها، عن أشكال العلاقة بين المشايخ والفلاحين في حوران والكرك.

كما أن سيادة العلاقات العشائرية وضعف الإنتاج الزراعي، لم تساعد على بروز تناقضات اجتماعية في لواء الكرك [3] كما هو في بعض أقضية لواء

---

[1] أبو فخر فندي، تاريخ لواء الاجتماعي، دمشق ١٩٩٩، ص ١٣٠ ــ ١٣٥

[2] المرجع نفسه ص ١٤٧ ــ ١٥١

[3] المرجع نفسه، ص ١٥٨ ــ ١٦١

حوران، فاستمر الصراع العشائري الذي يلف المجتمع، ويدفعه للسير في حلقة دائرية مفرغة، تعيق التطور والنهوض الاجتماعي، وتعرقل التماسك الاجتماعي ضمن نسيج وطني واجتماعي، يولد قوى اجتماعية جديدة.

اكتفى الحوراني بوصف بنية السكان الاجتماعية من خلال حديثه عن الزراعة وضعف تطورها وفقر الفلاحين، وما يعانونه من جهل وتخلف، بسبب فساد رجال الإدارة العثمانية وطرق تحصيل الضرائب التي أثقلت كاهل السكان، وحرمتهم من قطف ثمار تعبهم وإنتاجهم

((فأعشار [1] الكرك ٦٢٠٠٠٠ قرش

وخراجه ٣٧٥٠٠٠ قرش

ورسوم أغنام مركزه ٦٠٠٠٠٠ قرش

وتعد الأغنام على صورة مجحفة رديئة، لأنَّ أرباب النفوذ يتولون ذلك باسم موظفيها))

فالفلاح والبدوي الفقير يواجهان حلفاً ضدهما، مكوناً من موظفي الإدارة ودركها وعساكرها من جهة، والمشايخ والوجهاء من جهة أخرى.

## السكان.

قدّر الحوراني عدد لواء السكان نحو ((مائة وخمسين ألفاً [2])) إذ يشمل هذا العدد سكان المدن والقرى والمزارع والبادية. وأشار إلى أن عدد سكان الكرك نفسها نحو ثمانية آلاف نسمة منها خمسمائة من السكان المسيحيين. ويبلغ عدد سكان قضاء الكرك نحو ثلاثين ألف نسمة. وأما عدد سكان قضاء السلط فيبلغ نحو أربعين ألف نسمة بادية وحضر، منهم عشرة آلاف نسمة في قصبة السلط، ويبلغ عدد سكان قضاء الطفيلة نحو ١٥٠٠٠ نسمة. والطفيلة نفسها نحو ثلاثة آلاف نسمة. وعدد نفوس معان بين ٣ ــ ٥ آلاف نسمة.

---

[1] *المقتبس العدد، ٥٥٦ ، ٢٣ ذي الحجة ١٣٢٨ هـ / ١٩١٠/١٢/٢٥ م يقدر عدد سكان اللواء بمئة وخمسين ألفاً، بينما يرى في مكان آخر أن عددهم لا يزيد كثيراً عن مئة ألف نسمة، أنظر المقتبس، العدد، ٥٧٠ ، ٩ محرم ١٣٢٨ ، ١٠/ ١/ ١٩١١م*

[2] *المقتبس، العدد ٥٥٩، ٢٦ ذي الحجة ١٣٢٨ هـ ٢٨/ ١٧/ ١٩١٠ م وأفراد هذه القبيلة يعملون في الزراعة والفلاحة ويربون الماشية معاً، العدد نفسه*

## أسماء عشائر اللواء وعدد بيوتها

أ ــ عشائر قضاء الكرك، وتقسم هذه العشائر إلى قسمين عشائر لها فروع تتكون منها.

ب ــ عشائر لم تنقسم إلى فروع وهي عاشر: آغوات، الصاصمة، بياضة، جلامدة، خرشة، ذنيبات، كفاوين، شمايلة، صرايرة، صعوب، العمرو، عكشة وحجازين، فقرا، قطاونة، قضاة، مجالي، مبيضين، مصاروة، مدانات، بقاعين، نوايسة، هلسة.

أمَّا العشائر التي تتكون من فروع فهي:

بنو حميدة [1] وهي عشيرة كبيرة تقسم إلى ثلاث فرق هي:

١ ــ أبو بريز. وتنقسم بدورها إلى فرقتين، هما، الفواصلة، التوايهة، وتنقسم كل منها إلى أربع جماعات لكل منها مختار.

٢ ــ أبن طريف. وتنقسم إلى ست فرق هي: ابن طريف، رواحنة، الحيصة، الضرابعة، الشخامبة، شقور حمارين.

٣ ــ أبي ربيحة [2]. وتتكون من أربع فرق هي: الشروانة، حواتمة، هواوشة، اللواتسي قواسمي.

وهناك عشائر أقل عدداً من عشيرة بنو حميد، لكنها تنقسم أيضاً إلى فرق وهي:

سليط، وتقسم إلى فرقتين هما: بحارات، رجيلات

حباشنة، وتقسم إلى فرقتين هما: العمرود، جعافرة

ضمور، وتقسم إلى فرقتين هما:محمود، سحيمات

طراونة: وتقسم إلى عيال جبرين، عيال جبران، مجامعية، عيال عودة.

عشائر كثر ربة. وتقسم إلى فرقتين:

١ ــ القرالة وتتألف من زعيلات سالم، زعيلات سعيد وسلمان، مهاينة، مخاترة، سلامات.

---

[1] *المقتبس، العدد ٥٥٩، ٢٦ ذي الحجة ١٣٢٨ هـ ٢٨/ ١٧/ ١٩١٠ م وأفراد هذه القبيلة يعملون في الزراعة والفلاحة ويربون الماشية معاً، العدد نفسه*

[2] *المقتبس، العدد ٥٥٦ ، ٢٣ ذي الحجة ١٣٢٨ هـ ٢٥/ ١٢/ ١٩١٠م*

٢ــ الرماضنة وتتألف من: الرواشــدة، الختاتنــة، شــواورة، كساســبة، مطارنة، جوازنة.

المعايطة تتألف من فرقتين ساهر، يوسف.

النعيمات، تتألف من العبادلة، الجعافرة، الأحامدة.

حجايا، تتألف من محمودين، هدايات.

عشائر معان.

تقسم مدينة معان إلى قسمين:

أ ــ الشمالي الشرقي والمعروف بالحي المصري.

ب ــ الغربي والمعروف بالحي الشامي.

وعدد نفوس معان بين ٣ و ٥ آلاف نسمة كما مر معنــا، أمَّــا عشــائرها وعدد بيوتهم فهي حسب التالي:

| اسم العشيرة | عدد بيوتها |
|---|---|
| الحويطات [١] وتتألف من المطابقة والفريحات | ٥٠٠ |
| بني عطية | ١٠٠٠ |
| الفقير والايدي | ٢٠٠ |
| عشائر البلقاوية [٢] | |

بيّن الحوراني أسماء أفخاذها وأسماء مشايخها وعدد بيوتها وفق الجــدول التالي:

| اسم العشيرة | عدد بيوتها | اسم شيخها |
|---|---|---|
| الدعجة | ٢٥٠ | محمد الخدام |
| الايديات | ٢٥٠ | شاهر الحديد |
| أبو الغنم | ٢٥٠ | سالم المفلح |
| الشوابكة | ٢١٠ | عبد الله دعيبس |
| الأزايدة | ٢٠٠ | شهاب أو ستة |

[١] *المقتبس، العدد ٥٦٩ ، ٨ محرم ١٣٢٩ هـــ ١٠ / ١٢ / ١٩١١م وفي هذا العدد معلومات وفيرة عن معان وحدودها وطبيعتها الجغرافية*

[٢] *المقتبس، العدد ٥٥٧ ، ٤ ذي الحجة ١٣٢٨ هـــ ٢٦/ ١٢ / ١٩١٠*

| اسم العشيرة | عدد بيوتها | اسم شيخها |
|---|---|---|
| الأبووندي | ٢٠٠ | |
| العجارمة، المطيرين، الأسفة | ـــ ـــ | صايل الشهوان |
| النمر، الكايد، الصالح | ـــ ـــ | سلطن بن علي العدوان |
| العباد | ٨٠٠ | ـــ ـــ |
| الفاعور، الربيع | ـــ ـــ | توفيق الصالح |
| بنو صخر | ٧٠٠ | ـــ ـــ |
| الزبن | ـــ ـــ | ـــ ـــ |
| الهكيش، الغبين، الفايز | ـــ ـــ | فايز وفواز |
| المشالخة | ٢٠٠ | ـــ ـــ |
| المناصير، الفقهاء، الزيود، الزيادات، الجروم | ـــ ـــ | علي أبو حسين |

## المعارف في لواء الكرك

يبدو أن الحوارني لم يرَ وجود المدارس ولو كانت قليلة في دائرة اللواء. إذ كان هناك أواخر القرن التاسع عشر شعبة للمعارف يقوم برئاستها نائب القائمقام في كل قضاء ومكونة من كاتب ومفتي وأمين صندوق وعدد من الأعضاء. وكان في السلط مدرسة، افتتحت سنة ١٣٠٣ هـ ١٨٨٥ ـ ١٨٨٦ م ضمنت نحو مائة تلميذ وخصصت الدولة ميزانية لمدرسة السلط بلغت سنة ١٣١١ هـ ١٨٩٣ م ثمانية وعشرين ألفاً وثلاثمائة واثنين وسبعين قرشاً عثمانياً. وشهدت الكرك أيضاً إحداث عدد من المدارس الابتدائية ثمَّ الرشدية [١] وأواخر القرن التاسع عشر، ثمَّ أحدثت مدرسة للإناث سنة ١٣٢١ هـ ـ ١٩٠٣ م بيد أن إحداث المدارس لا يعني مباشرة التعليم فيها، ولا يمكن أن يركن المرء لصحة هذه الفكرة، ما لم تذكر سالنامة ولاية سورية اسم معلم المدرسة، وعدد تلامذتها، لذلك نرى الحوراني يتجاهل وجود المعارف

[١] *سالنامة نظارة المعارف العمومية، سنة ١٣٢١ هـ ص ٥٤١، وأيضاً: المقتبس، العدد ٥٥٣، ص ١ ـ ٢*

والمدارس فكتب في المقتبس قائلاً [1]: (بدأت مديرية المعارف الولاية بعد الانقلاب بتأسيس بعض المكاتب في القرى والمكاتب الابتدائية والرشدية في مراكز الأقضية فأملنا وطيد بهمة مدير المعارف الحالي أن يسعى بإخراج ذلك من القول إلى العمل).

■■■

[1] المقتبس، ٧١٣ ، ١٣٢٩ هـ ٢٤/ ٦/ ١٩١١م

# المصادر والمراجع:


* أبو فخر، فندي، تاريخ لواء حوران الاجتماعي، ١٨٤٠ ــ ١٩١٨ ، دمشق دار الماجد، ١٩٩٩
* الأرناؤوط، محمد، معطيات عن دمشق وبلاد الشام الجنوبية في نهاية القرن السادس عشر، دار الحصاد، دمشق، ١٩٩٣
* الحسيني، الأمير علي عبد العزيز، تاريخ سورية الاقتصادي، دمشق ١٩٢٣
* الحموي، ياقوت، معجم البلدان، اختار النصوص وقدم لها عبد الإله نبهان، ٤ أجزاء وزارة الثقافة، دمشق ١٩٨٣م
* الحوراني، خليل رفعت، ماضي الكرك وحاضره، جمع وتحقيق محمد سالم غثيان الطراونة، جامعة مؤتة، الأردن، ١٩٩٤م
* الخوري، فيليب، أعيان المدن والقومية العربية (١٨٦٠ ــ ١٩٢٠ ) ترجمة عفيف الرزاز، منشورات الأبحاث العربية، بيروت ١٩٩٣
* ديسو، رينيه، العرب في سورية قبل الإسلام، ترجمة عبد الحميد الداخلي، دار الحداثة، بيروت، ط٢
* رافق، عبد الكريم، العرب والعثمانيون ١٥١٦ ــ ١٩١٦ مط أطلس، دمشق ١٩٧٤م
* زكريا، أحمد وصفي، عشائر الشام، جزءان دار الفكر، دمشق، ط٢ ، ١٩٧٣م
* العطار، نارد، تاريخ سورية في العصور الحديثة، الجزء الأول ١٥١٦ ــ ١٩٠٨ مط الإنشاء دمشق، ١٩٦٢م.
* عطار، عدنان، الحويطات من كبرى قبائل العرب، دمشق، بلا تاريخ ودار نشر.
* عوض، عبد العزيز، الإدارة العثمانية في ولاية سورية، دار المعارف بمصر، ١٩٦٩م
* فريد ريك، بك. تاريخ شرقي الأردن وقبائله، ترجمة بهاء الدين طوقان، الدار العربية للدراسات والنشر، عمان ١٩٣٤م
* موسى، سليمان. رحلات في الأردن وفلسطين، المجموعة الثانية، دار الثقافية والفنون، عمان ١٩٨٧م

* سالنامة دولت علية عثمانية، دفعة ١٢٨٣هـ ١٨٦٦م
* سالنامة دولت علية عثمانية، دفعة ١٢٨٥ هـ ١٨٦٨م، واحتفظ في مكتبتي بما هو مدون عن حوران في أعداد هذه السالنامة منذ بداية صدوره ١٨٤٦ م ولغاية ١٩١٨م
* سالنامة ولايتي سورية وهي ٣٢ عدداً صدر العدد الأول ١٨٦٨ م والأخيرة سنة ١٩٠٠ م وفي مكتبتي هذه الأعداد كلها
* سالنامة نظارة معارف عمومية، دفعة ٢، ١٣١٧هـ مطبعة عامرة، دار الخلافة العلية، استانبول
* سالنامة نظارة معارف عمومية، دفعة ٣، ١٣١٨هـ مطبعة عامرة، دار الخلافة العلية، استانبول
* دفتر مفصل لواء عجلون (طابور دفتري رقم ٩٧٠) دراسة وتحقيق وترجمة د. محمد عدنان البخيت، نوفان رجا الحمود، عمان ١٩٨٩
* مختارات من القوانين العثمانية، جمع وتقديم يوسف قزما خوري، دار الحمرا بيروت ١٩٩٠م

## الصحف والمجلات:

ـ المقتبس، الأعداد المحفوظة لدى مكتبة لديّ نسخة منها محفوظة بميكروفيلم منذ صدروها سنة ١٩٠٨ وحتى سنة ١٩٢٨
ـ المسرة، أعداد متفرقة من أعوام ١٩٠٨ / ١٩٢٥م

# الفهرس

**أضواء على شخصية محمد رفعت خليل الحوراني ((الزنبقة)) ..... ٧**
**نصوص المقالات التقسيم الإداري لحوران ..... ٢٤**
حدود هذه الكورة .....٢٤
*الجبال في حوران: .....٢٤*
*السطوح المائلة أعني الأنهر الحوارنية .....٢٥*
تقسيم حوران الملكي والإداري .....٢٧
*أولاً: الأقضية .....٢٧*
*ثانياً: النواحي.....٢٧*
تقسيم حوران الطبيعي .....٢٨
*شلالات حوران:.....٢٩*
*امواه اللجاة وجوارها: .....٣٠*
إلى رئيس البريد والبرق في سورية ومفتشيها: .....٣٠
المعارف في حوران : .....٣٣
الطرق في حوران: .....٣٥
أرض حوران وتربتها :.....٣٦
تاريخ حوران .....٣٨
*١ ــ بصرى ــ بصرى اسكي الشام ــ .....٣٩*
*جرش .....٤٢*
*السويداء .....٤٣*
*مكيس: (أم قيس) .....٤٣*
*بيت راس:.....٤٣*
*الصنمين:.....٤٣*
*إزرع:.....٤٣*

*قنوات:* .....٤٣
*شهبا:* .....٤٤
*درعا :* .....٤٥
*نوى:* .....٤٥
*بصر الحريري:* .....٤٦
*جاسم:* .....٤٦
*صرخد:* .....٤٦
*عرمان:* .....٤٧
*القنيطرة :* .....٤٨
الحراج والغابات في حوران: .....٤٨
*الحرج في القنيطرة.* .....٤٩
*الحرج في عجلون* .....٤٩
السكك الحديدية : .....٥٢
المعادن في حوران. .....٥٥
*الصخور:* .....٥٥
*الرخام :* .....٥٦
إحصاء المواشي في حوران: .....٦٠
*الأرض:* .....٦١
*نفوس حوران:* .....٦٢
*الزراعة:* .....٦٢
عادات وأخلاق حوران: .....٦٤
*لباس الحوارنة:* .....٦٤
*غذاء الحوارنة:* .....٦٥
*القضاء:* .....٦٦
*المختار:* .....٦٨
العربان الرحالة في حوران .....٧٠
*أسماء العشائر زعيمهم عدد بيوتهم* .....٧٠
*عربان الجبل اسم العشيرة عدد بيوتهم* .....٧١
*عربان اللجاه* .....٧١
*عرب الصفا:* .....٧٢

*بنو عناز* ..... ٧٢
*وهذه أسماء الخرب ومقدار دونمات أرضها.* ..... ٧٤
*القسم الثاني من العربان الرحالة:* ..... ٧٩
*القسم الثالث من الأعراب الرحالة:* ..... ٨١
عادات العربان في حوران وأخلاقهم: ..... ٨٤
*عادات سكانها وحياتهم:* ..... ٨٧
*عادات دروز جبل حوران وأخلاقهم:* ..... ٨٩
*النسب عندهم:* ..... ٩٠
*أخلاق جراكسة القنيطرة وتركمانها وعاداتهم:* ..... ٩٠
*الجراكسة:* ..... ٩٠
أصل الحوارنة ..... ٩١
*أما أسماء الزعماء في حوران فهم من المسلمين:* ..... ٩٢
مملحة الجوف أو قرى الملح: ..... ٩٣
*جبل حوران:* ..... ٩٤
*قضاء القنيطرة:* ..... ٩٥
*قضاء عجلون:* ..... ٩٥
**قرى الحوارنة تسلم أسلحتها وتحرر نفوسها بكل ارتياح** ..... ٩٧
**نظرة في حوران عامة ونصيحة لأهلها كافة** ..... ٩٩
**المجلس العمومي** ..... ١٠٢
مخافر حوران ..... ١٠٤
**بيان خليل رفعت الحوراني** ..... ١٠٦
**من مطران حوران نيقولاوس قاضي إلى خليل رفعت أفندي الحوراني جواباً على ما كتبه في المقتبس الأغر عدد ٥٠٨** ..... ١٠٩
**مقالات متفرقة بين سنتي ١٩٢١ ــ ١٩٢٤م** ..... ١١٢
قضاء الزوية ..... ١١٤
إزرع ..... ١١٩
جرش ..... ١٢١
**ماضي الكرك وحاضره** ..... ١٢٦
لواء الكرك ..... ١٢٧
*الموقع والحدود* ..... ١٢٧

*جبال الكرك وأنهاره.* ..... ١٢٨
*الأنهار أو السطوح المائلة:* ..... ١٢٨
أضواء على مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية. ..... ١٣٠
*أهم مظاهر الحياة الاقتصادية في لواء الكرك.* ..... ١٣٠
*من مظاهر الحياة الاجتماعية.* ..... ١٣٣
السكان ..... ١٣٥
*أسماء عشائر اللواء وعدد بيوتها* ..... ١٣٦
المعارف في لواء الكرك ..... ١٣٨
المصادر والمراجع: ..... ١٤٠
الفهرس ..... ١٤٢

■■■